عَـــلَّـــمَـنيْ فِــقــهُ الـتَّـحَـوُّلاتْ

تَلْـخِيصَاتٌ وَمَـفَـاهِيمٌ مِـنَ الْـفِكْر الإِسلامِيّ الأَصيل المُسْـنَد الْـوَاعِي مِن غَـالِب كُـتُبِ سَـيِّدي العلاَّمَـة المربي الحَبيب د/ أَبُـو بَكرِ العَدَنِيّ ابن عَلي المشْهُور

عَـلَّـمَـنِيْ فِـقـهُ التَّـحَـوُّلاتْ

جمع وترتيب وتنسيق :

أحمد عبد الملك أحمد محمد هِـزَبْـر : [العواضي : لـقَـبـاً].

عدد الصفحات :[٢٧١].

الطبعة الأولى لعام ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧م

لإبداء الملاحظات والتصويب والنصيحة التواصل مع الـمُلَخِّص:

تـلفوني والوتساب والتلجرام برقم : ٠٠٩٦٧٧١١٤٢٤٠١٢

صفحتي على الفيس بوك :أحمد عبدالملك العواضي العواضي..

عَـلَّـمَنيْ فِـقـهُ التَّـحَـوُّلاتْ

تَلْـخِيصَاتٌ وَمَـفَـاهِيمٌ مِـنَ الْـفِكْر الإِسلامِيّ الأَصيل الْمُسْـنَد

الْـوَاعِي مِن غَـالِب كُـتُبِ سَـيِّدي الـعلاَّمَـة الْمُـرَبِّي الحَبيب

د : أَبُو بَكـرٍ الـعَدَنِيّ ابن عَلِي المشْهُور

حفظه الله وأمتعنا به في خيرٍ وعافية

جمع وترتيب

المستمد / أحمد عبد الملك أحمد محمد هِـزَبْـر : [العواضي: لـقَـبـاً].

عفا الله عنه وفتح عليه ظاهراً وباطنا

المطلع القرآني

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴾

شـــاهـد الحـــال

قــــــــــال رســــــول الله ﷺ:

((إذا لعن آخر هذه الأمــــة أولها فمن كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم يومئذٍ ككاتم ما أُنزل على محمد))

انظر كنز العمال عن جابر رضي الله عنه

الإهـــداء

- أُهدي هذه الأبواب والتلخيصات المتواضعة إلى جناب سيدي وشيخي وسندي الحبيب العلامة د/ أبو بكر العدني ابن علي المشهور الذي منه ولازلت أستمد .

نفعنا الله به وأمتعنا الله بـه وأطال الله في عمره في خيرٍ ولطفٍ وعافية .

- وإلى كافة شباب المرحلة وأحزابها وجماعاتها المتكتلة والحائرين والراغبين في معالجة قضايا الأمة المعاصرة .
- وإلى الراغبين في الفكر الإسلامي الصافي الواعي الأصيل المُسنَد الذي يبحث عن السلامة ، وينبذ التحريش والمنافسة في كل شئون الحياة .

إلى الأمة جميعاً أُقدِم هذا التلخيص .

تعضيد كتاب عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحوّلات لسيدي الحبيب

د/ أبو بكر العدني بن علي المشهور حفظه الله وأمتعنا الله بـه

عِلْـمٌ يُبَـيِّنُ غَامِضـاً يُحْـيِي الأَثَـرْ ... عَـنْ عِلْـمِ فِقْـهٍ مـا لَهُ فينـا خَـبَرْ

دَقِّـقْ تَفَاصِـيلَ الفُهُـومِ لِـتَرْتَقِي ... نَحْـوَ الَّذِي يُبْـدِي تَصَـارِيفَ القَـدَرْ

قَـدْ ظَـلَّ هـذا العِلْـمُ مَجْهُـولاً على ... مَـرِّ الزَّمَـانِ وخَـامِلاً بَحْـراً وَبَـرْ

وَاليَـوْمَ يَبْـدُو وَاضِـحاً مُسْـتَجْمِعاً ... شَرْحاً وَنَشْراً بِالفتى زَاكِي النَّظَرْ

قُـلْ لِلعَـوَاضِيِّ : فمـا أَوْضَـحْتَهُ ... في جُمَّـلٍ قَـدْ صُـغْتَ مَكْنُـونَ الدُّرَرْ

لَخَّصْـتَ لِلطُّـلّابِ مـا يُجْلِي لَهُـمْ ... مِـنْ غَامِـضٍ مُسْـتَعْجَمٍ لـم يُشْـتَهَرْ

عِلْمُ الزَّمَـانِ وَكَـمْ بِـهِ مِـنْ حُجَّـةٍ ... مَعْلُومَــةٍ نَـصَّ الحَـدِيثُ المُعْتَـبَرْ

وَمُبَيِّناً عَنْ عَصْرِنا ولحالِنا ... مَـا يُبْهِـرُ المَلْهُـوفَ مِـنْ خَـيْرٍ وَشَرّْ

أو ما أَصابَ النّاسَ مِنْ إِفْكِ العِدا ... أَوْ حِيلَـةِ الشَّـيْطَانِ في هَـدْمِ السِّـيَرْ

عِلْمٌ بِهِ التَّمْكِـينُ في عَصْرِـ الغُثَـا ... بَـلْ بُلْغَـةُ المَـأْزومِ في لُـجِّ الخَطَـرْ

قَدْ جَاءَنا في قـول طـه المُصْـطَفَى ... أَكْرِمْ بهذا العِلْـمِ مِـنْ حَيْـثُ صَـدَرْ

حَمْداً لِمَنْ أَعْطَـى وَأَسْـدَى كَرَمـاً ... عِلْمـاً لطـهَ المُجْتَـبَى خَـيْرِ البَشَرِـ

في أَرْبَـعٍ بِحَـدِيثِ جِبْرِيـلَ الّذي ... قَـدْ جَمَّـعَ الأَشْـتَاتَ في عِلْـمٍ أَغَـرْ

تَفْصِـيلُهُ إِنْ شِـئْتَ تَـدْرِي شَـأْنَهُ ... في مِثْـلِ هـذا السِّـفْرِ مَجْمُـوعاً ظَهَـرْ

والخَـتْمُ بِالهَـادِي كَـرِيمِ الإِنْتِمـا ... والآلِ والأَصْحَابِ مـا المُزْنُ انْهَمَـرْ

بقلم الحبيب العلامـة د/ أبوبكر العدني ابن علي المشهور

٢٦ جمادى الأول ١٤٣٨هـ

خطة الكتاب

يشتمل على أبواب وهي :

المقدمـة ، وترجمة لسيدي الحبيب أبوبكر المشهور .

الباب الأول : باب أمور الدين وعلامـات الساعـة .

الباب الثاني :باب فقـه التحولات وعلـومه ومفـاهيـمـه .

الباب الثالث : باب سـنة المواقف والـدلالـة .

الباب الرابـع : باب عـالميـة الإسـلام .

الباب الخـامس :باب قراءة التاريخ من منظور فقه التحولات ، المدرسـة الأبـوية والأنويـة .

الباب السـادس : بـاب النمـط الأوسـط .

الباب السـابع : باب الخلافـة ومتعلقاتـها .

الباب الثامن : باب القرار ودعـاة الاستقرار وما يتعلق بـذلك .

البـاب التاسـع: بـاب :بيـان عصرـ الغثـاء، وفِقـه الواقـع ، ومجريـات الأحداث..

الباب الـعاشـر : بـاب إحـياء منهج السلامـة الواعي .

الباب الحادي : الـمرأة في فقه التحولات .

الباب الثاني عشر : مـداخـل الفساد الأسـاسيـة على الأمـة .

الباب الثالث عشـر : المـدارس النفاقيـة .

الخاتمـة : ذكر وسـائل النجاة والتحصين الشرعي من الفتن .

المقـدمـــــــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الهادي من يشاءُ من عِباده إلى الصراط المستقيم ، والمهيء قلوب المؤمنين لاتباع المنهج القويم ، في الدنيا بالعلم والمعرفة والصدق والإخـلاص ، وفـوق كل ذي علـمٍ علـيم ؛سـبحانك مولانا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنكَ أنت العليم الحكـيم ، وأُصلّي وأُسَـلم على سـيدنا ومولانـا محمد بن عبد الله الصادق الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصـحابه الغُـر الميـامين ، وعلى التابعين لهم بصدق وإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد :

فـإن واقعنـا الـذي نعيشـه المحـبط والمـليء بـالفتن والتحـولات والتقلبـات والنـوازل والمتغيرات لجديرٌ لكل عاقلٍ أن يبحث عما يُنجيـه وينقـذه ويحميـه ، وأيضـاً إلى فكـرٍ يقـوده ويرشده نحو الطريق الأصـوب الصحيح والموقف الراجح الذي يصـنع حـلاً في الواقـع ، ويساعد أيضاً على إخماد نيران الفتن والمحن والإحن ؛

فإن الأمـة لا ترتقي إلا بفكرٍ واعي وشرع راعي ؛

ونحن في هذا الزمان الذي كثرة فيه الثقافات والأفكار ، وازدادت الرؤى والمفـاهيم ، وكثر أيضاً المفكرون من جميـع الـرؤى والمـذاهب والمشـارب ، وازدادت وسـائــل الإعـلام بجميع أشكالها وأنماطها وتوجهاتهـا وانتماءاتهـا، وكثـر انتشـار هيشـات الأسـواق وظهـور الرويبـضـة ، وأصبح الإنسان المسلم متشتت لا يدري من أين يأخذ فكره أو مبادئه أو قيمه ، أو ما الذي سينـتشله من الواقع الغُـثائي المُسَـيَّس إلى منهج السلامة ، ولا يعرف مـا الـذي ينفعه أو يضره ..

فلـذلك كـان لزامـاً عـلى العلـماء والـدعاة والمصـلحين أن يتحركـوا في توعيـة النـاس وإرشادهم وإيجاد الحلول المناسبة والتوجيهات المباركـة التي تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع الأخلاق النبوية ..؛

ومن هؤلاء الأعلام والرجال الكُمَّل الذين يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع الأخلاق النبوية العالية سيدي وسندي وقُرّة عيني العلامة الحبيب أبو بكرٍ العدني بن علي المشهور حفظه الله ومتعنا به في خيرٍ وعافية ؛

فإنه دعا إلى الله بجميع الوسائل والأساليب وأفنى حياته كلها في الدعوة إلى الله يجوب البلاد من شرقها إلى غربها باذلاً ماله ووقته وحياته في سبيل الله تعالى ، وقد دعا إلى الله بجميع الوسائل والأساليب من خطابة ومحاضرات ومؤلفات وفتح الأربطة والمنتديات والدورات الصيفية وإعادة ترشيد وإبراز قيمة الحوليات في أصقاع البلاد كلها ، وأيضاً برز سيدي الحبيب بوسيلةٍ عُظمى في الدعوة إلى الله تعالى وهي المؤلفات المباركة في شتى المجالات وخصّص جانباً كبيراً من مؤلفاته في خدمة فقه التحولات ورباعية الأركان وخدمة منهج السلامة الواعي ومنهج النمط الأوسط وهذا فتحٌ من الله منَّ عليه ببركة النسبة المباركة للعترة الزكية والتي أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك بهم وهم تركَتَهُ المباركة فقال : ﷺ ((إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)) وأيضاً ببركة الصدق مع الله والإخلاص والهم الكبير في إصلاح الواقع وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من طوفان المرحلة ، وأيضاً بالعلم الـمُسند المتصل بالسلسلة الذهبية إلى النبي ﷺ ، فهو المربي ، وهو المُعلّم ، وهو الـمُسنِد أمتعنا الله به ؛

وقد شرفنا الله وأكرمنا بفضله ومِنّته بالارتباط به والأخذ عنه ؛

أسأل الله أن لا يخلفنا عن ركْبِهم ولا يُبعدنا عن منهجهم ولا عن طريقتهم آمين ؛

وأيضاً : اجتمع لنا العدد الكبير من مؤلفات سيدي الحبيب في تفصيل علم الركن الرابع من أركان الدين و علم فقه التحولات والمتغيرات فوجدنا السلامة و النجاة والفائدة ملموسةً في الواقع وأيضاً العناية تعم علينا حين نسلك منهجه المبارك ، ولمسنا ذلك في تعاملنا مع الواقع والأحداث ، وأن صلاح الواقع إتباع ما وجهنا به خصوصاً

منهج السلامة كحفظ اللسان من الذم واليـد من الدم ، وهو استمد ذلك من مشكاة النبـوة ، واعتمد على كل ما كتبه من التأصيل الشرعي بالنصوص الشرعية من كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ ،ومن النصوص الأبوية ؛

ولكن عندما نقرأ كُتب سيدي الحبيب نجده بحراً زاخراً وجبلاً راسخاً وعلمـه واسـعٌ وعبارات وتعبير راقي يليق بمستوى علمه ، ولا أستطيع كمبتدئ في هذا العلـم أن افهـم كل فكره ، وله البُـعد الواسع في ما يـرنـوا ويهدف إليه وفهمه أكبر وأوسع ببركـة التقـوى والأنـوار والاسـتقامة كـما قـال تعـالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فلـذلك حاولـت جهدي وعلى حسب فهمي الضـئيل وبقدر استطاعتي أن أُلخـص وأقتـبس بعـض الأفكـار والمفاهيم لكي يسهل علينا وعـلى الـراغبين فهـم كُتـب سـيدي الحبيـب ، وجعلتـه نُـبَـذاً وتلخيصاً كمدخلٍ لفكر سيدي الحبيب أو لبعضه أو حتـى للتقريـب في الفهـم للكثـير مـن القواعد والأفكـار بأسلوبٍ مبسط وتعبير جديد وسميته :

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلَاتْ:

أي : علَّـمَني شيخنا الحبيب أبوبكر المشهور هذا العلم ..

وهذا التلخيصات والاختصارات كانت من عدة كتب لسيدي الحبيب وهي:

{ التليد والطارف ــ النمط الأوسط ــ المواجهة السافرة ــ الدلائل النبوية ـــ بـين يـدي الدجال ــ كشف الأقنعة ــ إحياء لغة الإسلام العالميـة ـــ الزوبعـة العاصـفة ــــ الأسـس والمنطلقات ــ النبذة الصغرى ــ دوائر الإعادة ــ الإقـلـيد ــ مـنهج السـلامة الـواعي ـــ الوثيقـة ـــ المهيع الميمون ــ الصديق الأكـبر ـــ سلامـة الـدارين ـــ رسـالة شخصـية ـــ إظهار العلم المكنون ــ المرصـد النبوي ج١ وج٢ ــ تفردات مدرسة حضرموت ــ سلسلـة أعلام حضرموت ــ شروط الاتصاف لمـن يُطـالع كتـب الأسـلاف ، وغيرهـا مـن الكتـب والمقالات .} ..

وكل هذا العمل والجمع إنما هو تلخيص للراغبين من جميع فئات المجتمع لكي يعرفوا بعضاً من الفكر الإسلامي الصافي العذب ، المقتبس من مشكاة النبوة ، البعيد عن أفكار المبشِّرين والمستشرقين والمنحرفين ؛

ويعرفوا أيضاً أنه فكرٌ مُسندٌ إلى النبي ﷺ ، وهو أيضاً مُعالج لغالب قضايانا المعاصرة ؛

وليس لمثلي أن يلخّص فكر سيدي الحبيب أو ينتقي أو يقتبس ، ولكن غرفٌ من بحره ، وأيضاً من أجل أن يسهل عليَّ أولاً فهم ما كتبه سيدي الحبيب ، وأيضاً من أجل أن نستفيد ونُفيد من بعض ما وهبه الله لسيدي الحبيب ، والتماساً للبركة وتعرضاً للدعاء والنظر ، وقد حصل لي الإذن من سيدي الحبيب في التلخيص والاقتباس ولله الحمد والمنة ؛

أسأل الله أن يجعلنا من الذين ساهموا في إحياء ونشر هذا العلم ، وأن يجعل لنا نصيبٌ من ذلك ، وأن يحقق مرادات شيوخنا فينا ، ويجعلنا معهم في الدنيا والآخرة ، ويرزقنا فهم النبيين ، وعلم المرسلين ، وإلهام الملائكة المقربين ، و يغننا بالعلم ويزينا بالحلم ويكرمنا بالتقوى ، ويهدينا إلى خير سبيل آمين اللهم آمين .

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

بقلم المستمد وطالب الدعاء / أحمد عبد الملك أحمد محمد هِزَبْر : [العوا ضي لقباً..].

القويرة المحروسة / دوعن / حضرموت اليمن

الجمعة ٢٤ رجب ١٤٣٨هـ الموافق ٢١ / ٤ / ٢٠١٧ م

نبذة عن حياة سيدي الحبيب العلامة

د/ أبو بكر العدني بن علي المشهور

- هو الداعي إلى الله العلامة المربي د/ أبـو بكـر العـدني ابـن عـلي بـن أبي بكـر بـن علـوي المشهور.. ينتمي إلى السادة آل با علوي بحضرموت حيث ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول سيدنا محمد ﷺ .
- ـ ولد بمدينة أحور بمحافظة أبين ـ اليمن ـ عام ١٣٦٦هـ في أسرةٍ تسلسل فيها الفضل والعلم واشتهر.، وتربى وتعلّم منذ صغره على يد والده مفتي مدينة أحور وعالمها الداعية إلى الله والعارف بالله الحبيب / علي بن أبي بكر بن علوي المشهور.
- تعددت وتنوعت ينابيع التحصيل الديني والدنيوي في حياة العلامة أبي بكر المشهور، زماناً ومكاناً، حيث تلقى دراسته الابتدائية في أحور و المحفد وتلقى دراسته الثانوية في عدن، التي احتضنت انتسابه للدراسة الجامعية في كلية التربية العليا.
- ـ وتلقى العلوم على المشايخ في أحور وعدن وارتحل مع أبيه إلى حضرموت لطلب العلم .
- ـ جمع في تعليمه بين التلقي عن الشيوخ عن طريق التعليم الأبوي والمُسند ، وبين التعليم الأكاديمي المعاصر ، حيث تخرّج من عدن كلية التربية قسم اللغة العربية .
- كما حصل مؤخراً على شهادة الدكتوراه من جامعة عدن ١٤٣٦هـ .

الهجرة إلى الحجاز :

- ـ اضطرته الظروف أبان الحكم الشيوعي في جنوب اليمن عام ١٤٠٠هـ إلى السفر للحجاز وهناك استمر في تلقي العلم الشرعي على عدد من مشايخ الحجاز والشام ومصر ـ وفي مقدمتهم المربي الفاضل العلامة الحبيب / عبد القادر بن أحمد السقاف رحمه الله رحمة الأبرار .
- ــ عمل إماماً وخطيباً لبعض مساجد جدة خلال فترة وجوده فيها ..

العودة إلى الوطن :

عاد إلى وطـنه عام ١٤١٢هـ حيث تجرّد لخدمـة الدعوة الإسلاميـة تربيــةً وتعلـيماً ومنهجـاً ، ونشر الوعي الديني على منهج : ((الوسـطيـة الشرعيـة والاعتدال الواعي))..

- ـ أنشأ عشرات المعاهد التربويـة التعليمية تحت مسـمى ((أربــطة التربيــة الإسلاميــة)) فأسس أكثر من (٢٢) رباطاً علمياً و(٨٦) مركزاً تعليمياً في أنحاء الجمهورية اليمنية.
- ـ أقام العديد من الندوات والحلقـات العلميــة ونشـاط المنتـديات الثقافيــة والـدورات التعليميـة .
- ـ أقام عشرات الدورات الصيفية لطلاب وطالبات المدارس .
- ـ أسّس دار الزهراء لتعليم المرأة وأقام عدة فروع لها في أنحاء المحافظات .
- ـ أسّس مدرسة الفتيان لتحفيظ القرآن الكريم.
- ـ أسّس مركز الإبداع للدراسات وخدمـة الـتراث وأهـم مـا يؤديـه المركـز الإشراف عـلى الحلقات العلمية التي تصحح طرفي الإفـراط والتفـريط بـين مـدارس الإسـلام في الواقـع المعاصر وخصوصاً في العلاقات الروحية .
- ـ أسّس المنتديات الثقافية الاجتماعيـة ومنهـا منتـديات حضرـموت التـي تُسـهِم في إثـراء الجانب الثقافي من خلال الحلقات العلمية والنـدوات في مختلـف المجـالات ، وفي الجانـب الاجتماعي من خلال النزول الميداني طبياً ودعوياً ورياضياً إلى المناطق .

رحلاتُـهُ :

- ـ لـه رحلات لطلب العلم ورحلات للدعوة إلى الله إلى العديد مـن بلـدان العـالم كمصر والشام والأردن وسيرلانكا وماليزيا وإندونيسيا وغيرها من البلاد ، التقى بعلمائها وارتبط بأسانيدهم وأخذ عنهم ..

آراؤه وأُطروحاتـه في الساحـة الدعويـة : ـ أعاد لحمية ركنية (العلم بعلامات السـاعة) كـركن رابعٍ إلى أركان الدين الثلاثـة (الإسلام والإيمان والإحسان)كما هو مقرر في حـديث جبريـل وفقهـه الخاص المُسـمى بـ((فقـه التحولات)) ، وقد تناول هذا الموضوع بتفصيل في كتبيـه .

- ـ أضاف (سنة المواقف ، وسـنة الدلالـة)كإضافة محمودة في علم فقـه الدعوة .
- ـ وضع فكرة تقسيم المسيرة الإنسانيـة إلى قسمين :

(المدرسة الأبوية) وروادها الأنبياء والعلماء والصالحون .

و(المدرسة الأنوية الوضعيـة) ورائدها الشيطان وأعوانه من الدجاجلة والكفار..

- وضع فكرة (الثالوث الوبائي) : الشيـطان ــ الدجال ــ الكُفر ؛
- ويقابله (المثلث المدموج والمعادل الرابـع): التربيـة ــ التعليم ــ الدعوة إلى الله ، والمعـادل الرابع : الاكتفاء الذاتي .
- ـ كشف برؤيةٍ تحليلية الأسس والمقومات التي قامت عليها مدرسة حضرـموت في تأريخهـا المتتالي بدءً بموقف المهاجر أحمد بـن عيسـى في جمـع أشـتات الأمـة عـلى قواسـم الإسـلام المشتركة ومروراً بمواقف الفقيه المقدم في كسر السيف كدلالة على التعايش السلمي .
- ـ دعا إلى تصحيح الانحرافات الفكرية من خلال المفاهيم المصحّحة التالية :العقل السـليم في القلب السليم . :الغاية تقرر الوسيلة .:الإنسان قبل البنيان. والمعلم قبل المنهج .والتربية قبل التعليم .

المؤلفات :

- لـه مؤلفات ومنظومات في مختلـف العلـوم والفنـون ، مثـل : الفِكـر ، والتربيـة ، وفقـه الدعوة ، والتاريخ ، والتراجم ، والسِّـيَـر ، والفقـه ، والشِّعر ..

من أهم مؤلفاته في خدمـة الدعوة الإسلاميـة والتربيـة الأبويـة الشرعيـة :

{ قبس النور ـ لوامع النور ـ جني القطـاف ـ التليـد والطـارف ـــ الـنمط الأوسـط ـــ المواجهـة السافرة ــ الدلائل النبوية ـــ بين يدي الدجال ــ كشف الأقنعة ــ إحياء لغة الإسـلام العالميـة ـــ الزوبعة العاصفة ـــ الأسس والمنطلقات ـــ النبذة الصغرى ـــ دوائر الإعـادة ـــ الإقـلـيد ـــ منهج السلامة الواعي ـــ الوثيقـة ـــ المهيع الميمون ــ الصـديق الأكـبر ـــ سلامـة الـدارين ـــ رسالة شخصية ــ إظهار العلم المكنون ــ المرصـد النبوي ــ تفردات مدرسة حضرموت ــ سلسلـة أعلام حضرموت ــ شروط الاتصاف لمن يُطالع كتب الأسلاف ، وغيرها من الكتب والمقالات .}

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الباب الأول :

باب رُباعية الأركان وأمور الدين
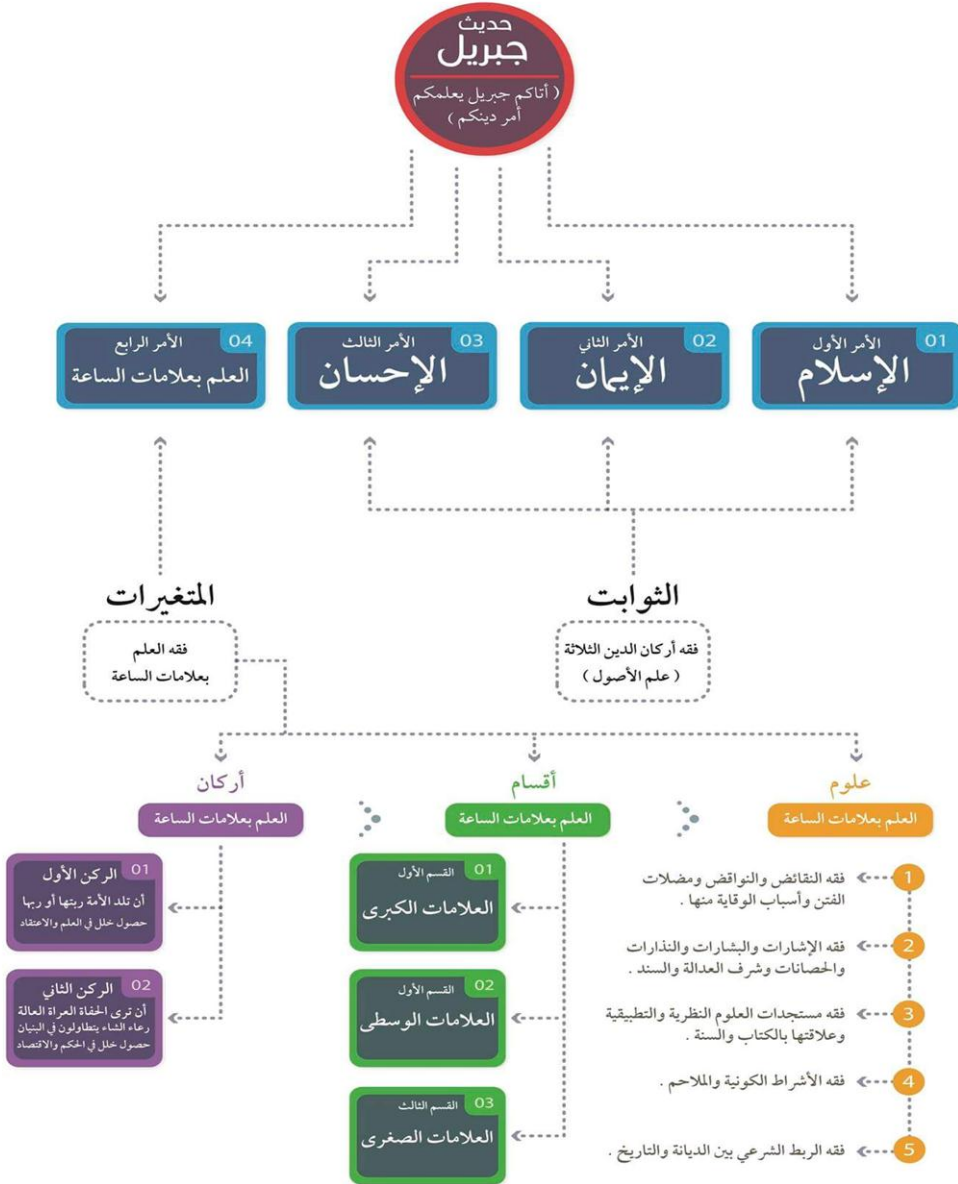
أن أمور الدين : أربعة ؛

وأن أصل معرفة أمور الدين الأربعة ، عمق النظر في حديث جبريل ـــ عليه السلام ــــ وهو الحديث المعروف لدى أهل العلم بـــ ((أمّ السّـــنّة)) والذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقُسِّم هذه الأركان بعد ذلك إلى : ثلاثة ثوابت ، ومتغير .

فالأصول الثلاثة : هي ثابتة المدلول والمعنى ، واضحة البيان والقصد ، يتدرج بها المكلَّف في شؤون العقيدة والشريعة ومراتب السلوك ، وعليها ينشأ الأجيال ، وتفهم الأمة علمها الفرضي الواجب ؛ و الأصول الثلاثة هي : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

أما الأصل الرابع أو الأمر الرابع : (فمتغير) وهو : ما يترتب عليه معرفة العلم بعلامات الساعة وتفاصيلها ، وهو علم(فقه التحولات) والركن الرابع : غير مرتبط كما تقدم بمتعلقات التربية وبناء المكلفين في شؤون العقيدة والشريعة ومراتب السلوك ، وإنما يختص بالحوادث وأسبابها ، وما يترتب عليها من شؤون الإشارات النبوية والعلامات الرحمانية وأحوال المنافقين والمرجفين والمفسدين في الدين وأحوال الكفار وأشباههم وأثرهم وتأثيرهم مجريات التحول البشري والإنساني وما يطرأ على الأمة في الحكم والعلم والعلاقات والأخلاق والعرى من ينعكس بالضرورة على الديانة والتدين ذاته سلباً وإيجابياً اهـ[1] .

إذاً فالركن الرابع من أركان الدين : ركن اعتنى بإبراز الهادمين من الكاذبين والمنافقين ، ومن سار سيرهم في تأريخ التحولات المتلاحقة ، ولهذا فإن الركن الرابع : يحمل فقهاً خاصاً به يسمى (فقه التحولات) ومادته العلمية هي مجموع الأحاديث الشريفة التي نطق بها خير الورى ﷺ: عن مظاهر علامات الساعة ، وهي على ثلاثة أنماط :ـ

---

[1] التليد والطارف (ص ٣٣ـــ ٣٤)

١) العلامات .٢) الأشراط والملاحم .٣) الفتن والفتن المضلة .إهـ[1]

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

أن وظيفة الركن الرابع من أركان الدين يشتمل على وظيفتين أساسيتين :

١ ــ تَجْدِيدُ لُغَةِ فِقْهِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ ، باعتبار أَن فقه الدعوة إلى الله فقهٌ سابقٌ لفقه الأُصُول منذ بداية البعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وهو أيضاً الفقه المجدد في البلاغ والإبلاغ منهج الأئمة العدول القائم على الحكمة والموعظة الحسنة وتأصيل مَبدأ السلامة والسَّنَدِ القائم على حفظ الألسنةِ من الذَّمَّ وحِفظِ الأَيدِي من الدم ؛ إلا فيما شرع الله وأوجب ، تحت قاعدة المعنى القرآنيِّ :

{ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ }

٢ ــ صِيَانَةُ عُلُومِ الثَّوابِتِ [علم الأصول] ، والمقصود بالصيانة حِفظُ شرف العدالة والأسانيد من عبث المتغيرات ومُضلات الفتن في علوم (العقيدة والشريعة ومراتب السلوك) مراحل وأوعيةً ، تحت مدلول الحديث النَّبويِّ : ((يرِثُ هذا العلم من كل خَلَفٍ عدوله ؛ يَنْفونَ عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين)) إهـ[2]

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

أن من مهمات الركن الرابع من أركان الدين وقراءة تفاصيل علمه وأدلته :

كشف الحقائق المغيبة عن عقول المسلمين ، وخاصّةً ما يتعلق بكيد الشياطين وأضاليل المفسدين في أمر الدنيا والدين ، حتى لا يُصاب المرءُ يوم يلقى ربه بالإحباط الذي لا علاج له ، والفشل الذي لا نجاح بعده . إهـ[3].

---

[1] إحياء لغة الإسلام العالمية ص (٦٥) .

[2] النبذة ص (١٤) .

[3] دوائر الإعادة ص (٨٠) .

أنَّ أركـان العلم بعلامـات الساعـة ينقسم كما ورد في حديث جبريل عليه السلام إلى ركنين أساسـيـين هُـما :

الركن الأول : أن تـلد الأمـة ربَّـتهـا أو رَبَّـهـا ، وهو ما يَختصُّ بنقضِ قـرار العلـم والاعتقـاد ومـا تفرع عنهما ، (والمقصود بالنقض نقض أساليب المعرفة كالفصل بين التربية والتعليم والدعوة إلى الله ، والفصل بين الديانة والتاريخ ، والفصل بين الدعوة إلى الله وبين الحكمة والموعظة الحسنة وهكذا.)

الـركن الثاني : أن ترى الحفاة العراة العالـة رعـاء الشَّـاءِ يتـطـاولون في البنيـان ، وهو ما يَخـتَصُّ بنقضِ قرارِ الحُكمِ والاقتصاد وما تفرعَ عنهما ؛

(والمقصود بالنقض هنا خروج الحكم العام من دائرة الإسـلام في مسـماه الشرـعي إلى مسـميات أخرى تمثِّل سياسـة الكفر وسقفه الوضعي كالجمهورية والديمقراطية والحزبية والمنظمات السياسـية التي نقلت في نهجها السياسي من عالم الغرب والشرـق ، مثلهـا أسـاليب وأنظمـة الاقتصـاد والمـال وتصريف الأعمال خاصـة تلك الأسـاليب والأنظمـة المعارضـة للشرـع كـالبنوك الربويـة وغسـيل الأموال ونظام الأسهم العائم وبعض القوانين الاقتصادية المشبوهة[1].

كما أن من معاني التطاول : دفع الأموال والمخصصـات المـاديـة لإذكـاء الصـراع الشـيطاني بـين الشعوب

(ظاهـرت التحريش) الطبقي والاعتقادي والطائفي وهلم جرّا .

فترى كثيراً من هؤلاء التجار وحملـة رؤوس الأمـوال يُـنفقـون عـلى الجماعــات والأحـزاب والفئات ما يُمكنهم من زرع الفتن وتفريق الشعوب وإسـالة الدمـاء ، وهـم يظنـون أنهـم يخـدمون الديانة ؛ لجهلهم بثوابت الدين من جهةٍ ، وجهلهم بالفتن ومضلاتها من جهـة أُخرى ، ولـو علمـوا ذلك لما فعلـوا ، وحـاشـا أن يفعل مسلم مـا يضره في دينه وآخرتـه وهـو يعلـم ذلـك يقينـاً ولكنهـا الفتنة والتحريش ، نسأل الله السلامـة [2].

---

[1] الأسس والمنطلقات ط ٢ ص (٥٢ ــ ٥٣) .

[2] الأسس والمنطلقات ص (١٤٨) ط٢ .

عَلَمِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

الوَحْدَةُ الشَّرْعِيَّةُ لِأَرْكَانِ الدِّينِ الأربعَةِ وَنَفيُ عَلاقةِ علامات السَّاعةِ باليومِ الآخر ؛

إنَّ من مهمات حديث جبريل عليه السلام مُهِمَّةٌ ذاتُ مدلولاتٍ عظيمةٍ جعلت عُلماءَ الأصولِ يُطلِقون عليه حديثَ ((أمِّ السُّنَّةِ)) برغم تجاوزهم للركن الرابع منه ، وحصرهم الرُّكنية على الثوابت الأولى :

الإسلام والإيمان والإحسان فقط ، وربما كان عذرهم اعتناؤهم بما هو أهمُّ في نظرهم لإقامة البناءِ العقديِّ والشرعي والسلوكيِّ الذي تستقيمُ شؤونُ الأمة ؛

وأما النواقض والنقائض والعلاماتُ والأشراطُ فقد كان حظُّها عندهم إلحاقها بركنِ الإيمان باليوم الآخر لِتصبِحَ فرعاً لا يتجزأُ من العلمِ بأمرِ الآخرةِ .

والسياقُ الشَّرعيُّ في حديث جبريل ينفي هذا الإلحاقَ ويُفرِدُ علاماتِ الساعة عن الإيمان باليوم الآخر ، ويضعُ هذا العلمَ مُستقلاً بذاته ومراتبه ومقاماتهِ وعلومهِ ، وأن الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان يربطُ بين المرءِ وعالمِ الموت والبرزخِ والبعثِ والنشور ، مع ذلك اليوم من أمور الحسابِ والعقابِ ورفعِ الدرجاتِ ونيلِ الثواب.

وإذا كان هناك ربطٌ بين اليوم الآخر وعلوم الساعة فإن المقصود بالساعة حلول ساعة الموت وما بعدها كما سبق ذكره ،

وأما ما نحن بصددِهِ في إثبات رُكنيّة الرُّكن الرابعِ فهو علاقته بالحياةِ وأمور تقلباتِها وتحوّلاتها وما يطرأُ على الإنسانيةِ وعلى الأمة الإسلامية من حبكةِ الشيطانِ وجنوده ، وما يقع من فتنة المسيخ الدجال وهيمنته المتوقعة على الأمم والشعوب ، وما يسبقُ هذه الهيمنة من امتداد فتنته في مجموع حياةِ الأمة حاكماً أو محكوماً عالماً أو متعلماً ، حتى يُترك ذِكرهُ على المنابرِ ويخرج في خِفَّةٍ من الدين وإدبارٍ من العلم .

وفي فهمنا المحدود نعتقدُ أنَّ من معاني ((يَخْرُجُ في خِفَّةٍ من الدِّين)) نَقصَ رُكْنِهِ الرَّابِع ، وإن من معاني ((في إدبارٍ من العلم)) إهمالَ أركان الدين كلها وكُلِّ تفريعاتها كفقهٍ شرعيٍّ للحياةِ والتحولات .

وعلى هذا التأصيل الشرعيِّ يصبحُ الركن الرابع من أركان الدين مُتحرراً من تبعيته لركن الإيمان باليوم الآخر ومنفصلاً عنه ومستقلاً بذاته ضمن حديث جبريلَ بأركانه الأربعةِ ،

وعلينا أن نعذُرَ علماء الأصولِ ومَن نَهَجَ مُنتَهَجَهُم في تعطيل ركنية العلاماتِ ، ربما لعدم الحاجة إليه إبانَ مرحلة التدوين والبناءِ الشرعيِّ لمراتب علوم العقائدِ والأحكامِ الشرعيةِ ومراتبِ السلوكِ ، وربما لسببٍ آخر الله أعلم به .

وحديث جبريل عليه السلام ((أُمُّ السُّنَّةِ)) يحتاج إلى إعادةِ القراءة النَّصِّيَّةِ والتبويبِ الأُصُوليِّ لركنيّته كي ينسجمَ مع الوحدةِ الموضوعيةِ للحديث ذاتِه ، ولوظيفته الهامة بين الأركان الأُخرى ، وخصوصاً في عهدنا المُتّصِفِ كذلك بما لا يَمُتُّ إلى ((الدِّيانةِ الحقَّةِ)) بِصِلَةٍ .

ولسنا في حاجةٍ لإصدارِ حُكمٍ لمن آمنَ به أو لم يُؤمنُ به ، فهذا ليس من مُهمَّتِنا ، وربما اشتغل به البعضُ تبعاً للمألوفِ لدى علماءِ الأصولِ وفقهاءِ الثَّوابتِ .

والمسألةُ مسألةُ إعادةٍ واعيةٍ للقراءةِ والتوظيفِ فحسبُ ، وبهذه الإعادةِ تتجددُ القراءةُ مُرتبطةً بالمعاني الشرعيةِ لفقهِ التحولاتِ إهـ[1].

عَلَّمَني فِقهُ التَحَوّلات :

أن أعذر الأئمة السابقين في عزلهم الركن الرابع من أركان الدين ؛

يقول سيدي الحبيب أبو بكر المشهور حفظه الله : كان لا بد لي من الكتابة في هذه المسألة التي شغلت العشرات من المعاصرين الذين تلقُّوا أمر الإعادة للركنية الرابعة بالقبول والاقتناع ، ولكنهم شغلوا أنفسهم بإحراج السابقين وإحراجنا حول مسألة الإثم المترتب على إغفال الركن أو عدم الإيمان به ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداهُ لدى الآخرين إلى مطالبتهم تجنيب الأمة التناولَ لركنية الركن الرابع تماماً طلباً للسلامة في إصدار الأحكام المفترضة ، وقالوا : كفانا التناول فإن ما وسع السلف يسعُ الخلف ، وكَثُرَ اللجاج وأقاويل الإحراج ، حتى شعرنا بضرورةِ التناول للموضوع من وجهة ((فقه التحولات))

[1] دوائر الإعادة ص (٥٤ ــ ٥٦) .

لا من وجهة نظرنا ، حيث إنَّ الغالبية من معاصرينا يعتبرون الأمر المطروح نزوةَ ذاتٍ وفكرةَ مُفَكِّرٍ وثمرة قراءةٍ شرعية وإلى غير ذلك .

ولابد أن نعذرهم بوَعي ، كما نعذُر السابقين الذين لم يتناولوا الموضوع من أساسه ، ونبسط لمعاصرينا وجهة نظر صاحب الملة ذاته ﷺ ليتفهموا أهمية ما يقوله من لا ينطق عن الهوى ﷺ حول الموضوع ، أو في أقلّ التقديرات فهمنا عن الموضوع .

فهناك الحديث الذي رواه ابن ماجة وأورده صاحب كنز العمال برقم (١٠ : ٢١٦)عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا لعن آخرُ هذه الأمةِ أوَّلَها فمن كان عنده عِلمٌ فليُظْهِرهُ ، فإن كاتمَ العلم يومئذٍ ككاتمِ ما أُنزلَ على محمد)) وفي روايةٍ ((إذا لعنَ آخرُ هذه الأمة أولها ، فمن كتم حديثاً فقد كتمَ ما أنزل الله))، وحديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : ((إن الدين بدأ غريباً ويرجعُ غريباً ، فطوبى للغرباء .. الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سُنتي)) .

ومن معاني هذه الأحاديث يُفهم ضرورةُ إحياءِ ما أمات الناس من السنة ، ومنها (الركن الرابع من أركان الدين) . كما يجبُ إظهارُ هذا العلم عند ظهور لعن آخر الأمة لأولها ، وفي الحديث وعيدٌ شديدٌ لكاتم هذا العلم .

والعذر المعلوم لكتم السابقين هذا العلم ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه : (حفظتُ عن رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثثتُه فيكم ، وأما الآخر فلو بثثته قُطِعَ هذا البلعوم) .

ففي عصر أبي هريرة وما تلاه كان التناول لهذا العلم المختص بالنواقض والنقائض وعلامات الساعة ومُضلات الفتن والإفصاح عنها والتحدُّثِ بها مشغلةً للناس وتحريضاً على إثارة الفتنة بين المصلِّين ، وخاصة في عصر المُلك العضوض الذي اضطر فيه غالب علماء الحقِّ والأمانة لكتم أنفاسهم ومجاراة الواقع في الظاهر ، مع الاستقباح والاستنكار بالباطن وصرف العقول والقلوب والجوارح إلى بناء الثوابت الثلاثة وإشاعة أمرها وخبرها وأثرها وتأثيرها باعتبار القاسم الشرعي المشترك بين الجميع ؛

أما علمُ الساعـة ومضلات الفتن والأشـراط والعلامـات فأمـر يكشف عيونَ الفـتـنـة ونماذج النفاق وزعمـاء الضلالـة في مستوى قراري الحُكم والعلم .

وأما في عصرنا الحديث فالأمـر لا يحتاج إلى مجاراة ولا مداراة ، لأنَّ مُـلَّاك القرار الفعـلي لا صـلة لهم بالإسـلام كـله ، وهم أعـداءُ الأمـة مـن الكفـار المهيمنـين عـلى المقـدرات الخاصـة والعامـة ، ومـا الـرمـوز الحـاكمة والعـالمـة في مـرحلتنا المعاصـرة إلا أدوات تنفيـذ ، وعسـاكر ضبطٍ للـواقع ومن فيه ، وأمام هذه الحـالة المشينـة لا يلـزمنا التخفِّـي ولا الانـطواء ، بـل يلزمنا الإبلاغ والإظهـار ؛ لإنقـاذ مـا يمكـن إنقـاذه ، و ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

فالعصُر عصرُ دَجَـلٍ ودجـاجـلـةٍ ودجّـال ، ونحن أُمـة أُوكِلَـتْ إلينا مُهمــةِ الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر إحياءُ السُّنن الميـتـة والمهجـورة ، بـديلاً عن تحويل العلم والسُّنن إلى صراعٍ اعتقادي واقتصادي وطائفي وطَبقي كما هـو مُلاحـظٌ ومُشـاهدٌ في المرحـلةِ ومسيراتها الانفعالية باسم الـديانـة والتديُّن . فإعـذارنا للسابقين واجبٌ ، وتـحمُّـلُـنـا لمسؤولياتنا في المـرحلـة المعاصـرة أكثر وجـوباً وإلـزامـاً ، وإظهـارُ مـا كتمَ الناسُ من عِلـم الكتـاب والسـنة حياةٌ وتجديدٌ ووفـاءٌ للـدين والملـةِ والأمـة الـمرحـومـة ..

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

وأمـا إصـدار الأحكـام على من لـم يؤمن بالـركن الـرابع ولـم يتعبـدَ اللهَ بـهِ فـلا نُـقِـرُّره ولا نـدعـو إليـه ، ولا نـرى فيه إلا فتـنةً من الفتنِ المُـضـلة باسـم العقيـدة والـدين ، سـواءً في النظـر للسـابقين أو في النظر للمـعاصرين ومـواقفهم مـن قبـول هـذا الـركن أو ردِّه ، ومـبدأ الحكمـة والموعظـة الحسـنة تقتضي عرضَ هـذا الأمـر على العقلاءِ والأمنـاءِ من القادة والعلـمـاء ، ليعـرف الناس بهم أهميـة الابتعاث الواعي لـهذا الركن المهجور على ضـوابط الشريعـة ومـنهج الـوسطيـة الشرعيـة والاعـتدال الواعي دون غلـوٍ ولا جفاءٍ ولا إفراطٍ ولا تفريط . إ هـ[1] .

[1] دوائر الإعادة ص (٦٣ ــــ ٦٦) .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أن عذر العلماء في مسألة فصل الركن الرابع عن موقعه من الأركان :

راجعٌ إلى ما فيها من سِرِّ التحوُّل والتَّبدُّل ، فعزلوها عن مكانها وصنَّفوا فيها كتباً مُستقلة ومؤلفات خاصة .

ولكن هذا العزل والإقصاء : جعل الأجيال ترتكس في الخطأ وتقع في المحذور واختلاط الحابل في النابل ، وظهور السُّفهاء الأحداث بمظهر العلماء الأثبات ، فكان الاتِّباع والاقتداء بمن لا خلاق له ، والاستماع والاستفادة من علماء الفتنة والدجاجلة ، وانقلب المِجَن على أهله فأُتهم آل البيت وعلماء المذهبية والصالحون بما ليس فيهم ، واعترت الحيرة غالب الدُّهماء والبُسطاء حتى ارتكس الجميع فيما لا تُحمَد عُقْباه والعياذ بالله ، وإلى هذا العلم وإظهاره يُشير الحديث الذي رواه ابن ماجه : ((إذا لعَنَ آخرُ هذه الأمة أولها فمن كان عنده علمٌ فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذٍ ككاتمِ ما أُنزِلَ على محمَّد)).

والمعتقد أن العلم المراد هنا في أحد معانيه: ((العلم بعلامات الساعة وركنيته)) لأن ما يترتب على الكتم يعادل كتم الوحي ، وإظهار هذا العلم ـ إذا فهم هذا الحديث بهذا المعنى ـ يكون واجباً عيناً .[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أن أساس دراسة الركن الرابع من أركان الدين يقوم على النَّظرِ الواعي في الأمور التالية :

١ ـ القراءة المُستفيضة في حديث جبريل عليه السلام بكافَّةِ مواضيعِه .

٣ ـ القراءة الواعية لِطَرَفِي النَّصِّ النَّبويِّ في إجابته عن الساعة عموماً ثم علامات الساعة تحديداً .

٤ ـ القراءَةِ الواعية لكافة أبواب العلامات والأشراط المرتبطة بالموضوع في كُتُب الصحاح قبل غيرها .

[1] إهـ من كتاب :الزوبعة العاصفة ط١ لعام ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥ م ص [١٩٦ـ ١٩٧].

٥ ـ توسيع الدراسة والقراءة في بقية السُّنن والمسانيد ، وأخذ المُستفاد منها في خدمة فقه التحولات المنصوص عليه في الكتاب والسنة .

ولعلَّ من أهمِّ مهمات النظر في هذا العلم تجنُّبَ الهمزِ واللَّمزِ والغمزِ الذي يبني عليه الناقضون والقابضون سياسة التجريح للموضوعِ ودراسته ،
كقولهم :هذا خرقٌ للإجماع ، ومخالفةٌ لِما أُثِرَ عن السَّلف ، وهذا قولٌ بِدعيٌّ لم يسبِق لأحدٍ تناوُلُه بالرُّكنية المُشار إليها ..، واشتغال البعض بملاحقة الأحاديث الضعيفة والرواياتِ المُتكلَّمِ فيها ومُحاولةِ إسقاطِ قيمة الدراسة بعمومها بتسليط الضوءِ على الدراسة الحديثيةِ لِما ضَعُفَ أو ما كان مردوداً من الروايات إنما هو رغبةٌ في صرف الناس عن دراسة الركنية الرابعة .

وقد نَبَّهنا لهذا الشأنِ لِما قد يُصاب به بعض المسلمين من عِلل الاستتباعِ لفقهاء القصعة وعُلماءِ المُبَرِّرات والتحريش عند البعض ، ولِما يُصابُ به البعض من استيحاشٍ من كلِّ ما لم يسبق له تناوُلٌ وبحثٌ مألوف ، والله الموفِّق والمُعين[١].

علمية فقه التحولات :

إن إشكالنا الكبير .. رفض الغالبية العظمى من طلبة العلم الشرعي والمثقفين أخذ الدراسة الشرعية لفقه التحولات ، بحجة سكوت السلف الصالح عن هذا العلم وعدم الخوض فيه ؛

مع أن الجميع يخوضون في لغو ولهو الأفلام ، وثمرات الأقلام ، وشرِّ ما تأتي به الليالي والأيام ، وخصوصاً في عصر الإعلام والانهزام ، واختلاط الحلال بالحرام .
والخير كل الخير لنا جميعاً أن نرجع إلى نصوص الديانة ونتفَقَّه في مفاهيمها لأنها مرجعنا الوحيد ، ومخرجنا الأكيد ، من شر الفتن ، وأثر الاستتباع والوهن ، ما ظهر منها وما بطن .

ولعل من شرف الأمانة أن نُشير إلى المكسب العظيم الذي اكتسبناه من الدراسة المستفيضة لفقه التحولات ، ومن إطالة النظر في أحاديث سيِّد البريات ، تحت نظر وتوجيه مشايخنا الأجلاء ، وقد وجدناه لنا خيراً من متابعة تقارير الإعلام ، ومناقشة فضول الكلام ، وبحوث الفشل والاستسلام ، وصراعات القال والقيل وتبرير الانهزام ، وعرفنا من خلاله

---

[١] . إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١لعام ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٤ م ص [٥٤ ـ٥٥] .

خـارطـة الطريق الإلـهيـة التي بلّـغهـا أميـن الرسـالة المأمــون ﷺ لأمــته ، مسـتفيدين أيضـاً مـن خـدمـة العلمـاء الباحثين عن الحقيقـة في هـذا العلم المفيـد ، وجمع الأئــمة المحدثيــن الباذليــن قصـارى الجهـد في البحث والتصحيح والترتيب لـغوامض القريب منه والبعيـد ،

وهم قـومٌ كثر جزاهم الله عن الإسلام خيراً .. إ هـ[1] .

علمي فقه التحولات:

أن هذه الفوضى الفكرية العارمة لن يتأتى للمسلم المخذول معرفة الحقيقة إلا بالنظر الواعي في النصوص الشرعية ؛

وهي النصوص المبثوثة في فقه الركن الرابع من أركان الدين (علم آخر الزمان) ، أو ما يُعـرف بالعلم بعلامات الساعة ، فهو العلم الكفيل بإبراز خطورة المرحلة من كافة الحيثيات وإدانـة الجفـاء والغلو المتربص بالأمة داخل خيمتها الإسلامية ، سواءً لدى أهل الحكم أو لدى أهل العلم أو لـدى الشعوب المستغفلة المدفوعة إلى خراب دينها ودنياها ، بشتى البرامج السياسية الانهزامية القائمة على ترجيح الإفراط ضد التفريط أو العكس منها ، مما يضمن للعـدو المـتربص إضـعاف الفـريقين ، بـل إضعاف الإسلام كله بهذه السياسـة القائمة على علتي (المنـافسـة والتحريش)..

كما أخبر عنها من لا ينطق عن الهوى في قولـه ﷺ:

١) ((لسـت أخشى عليكم الشرك ، وإنما أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلككم كـما أهلكـت من كان قبلكم)).

٢) : ((فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، وإنما أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على مـن كـان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم)) .

٣): (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم).

---

[1] من كتاب إظهار العلم المكنون ص (١٥ ــ ١٦) .

٤) : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن)) .

إن البديل القرائي للمرحلة وساستها ومخرجاتها لدى الغلاة والجفاة في أهل السنة والشيعة وغيرهما من واقع نصوص فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة ، خير مُفَسِّر للمشكلة الإسلامية والإنسانية كلها .

حيث يتضح بهذه القراءة النصية :

١ ــ ضرورة العودة في الاستدلال والاحتكام والجرح والتعديل إلى مرحلة الوحي والعصمة

٢ ــ وتجاوز ما حدث من الصراع المذهبي والسياسي اللاحق : ليبقى الصراع شاهد انحراف ، وليس شاهد استدلال على سلامة فرد ولا جماعة ولا دولة ولا مذهب .

فالضابط النصي الصحيح مربوطاً بالمرحلة الأولى وهو الأصل في تعديل أو تجريح ما يلي :

١ ــ الأفراد من الصحابة والتابعين .

٢ ــ المراحل من حكم وراثي أو شورى أو خلافة .

٣ ــ المستجدات من نصرةٍ للدين أو حصول شرك أو استتباع أو ظهور مجدد أو مفسد أو اختراع أو اكتشاف أو هيمنة استعمار أو استهتار أو استثمار .

٤ ــ الموعودات كالمهدي والدجال والمسيح ويأجوج ومأجوج والكوارث وما قبل ذلك وما بعد ذلك .

إن علم آخر الزمان كفيل بالإجابة على كافة الأسئلة المحيرة ذات العلاقة بمسيرة الإنسان في المراحل المعاصرة .

أما علم الثوابت التي يدرسها المسلمون على مختلف مذاهبهم وأفكارهم السياسية فلا علاقة لها بآخر الزمان وتقلباته ، وإنما علاقتها بالبناء الشرعي للإنسان في إسلامه وإيمانه وإحسانه فحسب .

وبالقراءة النصية للزمان وظواهره ومظاهره وألسنته الناطقة والصامتة ومستجداته وموعوداته تنجلي الحقيقة، وتنكشف الأوجه المقنعة ذات العلاقة بالبرامج الإبليسية المتنوعة: كالإحتناك والتربص والتزيين والتسويل وجملة فهوم المعاني القرآنية ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾:[الإسراء: ٦٤] .ولا ينجو من هذا المشروع إلا من سمَّاهم القرآن ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ ﴾ .وهم في معنى من معاني الآية الذين لم يندرجوا تحت سياسة المرحلة باعتبار أن من معاني لفظة السلطان (المرحلة) .

والمرحلة الغثائية بالخصوص وما تلاها هي المرحلة التي برز فيها دور العمل المبرمج المشار إليه في الآية الكريمة بدورٍ فعّال ومتطور .

وما مشكلتنا أمامها إلا سوء القراءة للنصوص القرآنية والنبوية، أو النظر إليها من خلال الثوابت باعتبارها المادة الأصولية المدروسة، وإهمال المتغيرات بإهمال السابقين لها . إ هـ[1].

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أنَّ دراسة الركن الرابع تمنع الزَّجّ بالشعوب في سبيل المطالبة بالقرار؛

تؤكد الدراسة الشرعية للركنِ الرابعِ من أركان الدين، وما يترتب على هذه الدراسة من النظر في مسألة امتلاك القرار أو المطالبة به خلال مرحلة الغُثاءِ والوهن المنصوص عليها في الأحاديث الشريفة؛ أنَّ الواجب الشرعيَّ عدم الانزلاقِ بالمُطالبة أو الحرب في سبيل امتلاكِ القرار أو المطالبة بالقرار الجُزئيِّ الإقليميِّ أوِ المحليِّ تحت أي مبرّرٍ كان .بل لا يليق بمن ينتمي لآلِ البيت النبويِّ أو من ينتمي للإسلام بعمومه ممن يرغبون في القرار أو يرون جدارتهم له كوراثةٍ أو استحقاقٍ أو غير ذلك أن يَزُجُّوا بالأمة والرعايا في حروبٍ وصراعٍ من أجل ذلك لأسبابٍ منها:

---

[1] المرصد النبوي ص (٢٠٧ ــ ٢١٠).

❖ أنَّ مـرحلـة الغثاءِ والوهـن ينقطع فيها الحكم الشـرعي العـام القـائمُ عـلى حفـظ هــويَّةِ الإسلام في مجموع العالمِ كـوحـدةٍ سياسيـةٍ واحـدةٍ ، ويبقى الحُكـمُ الـذي وصفــه النبـي ﷺ بِتَـكادُمٍ ، أي : الأطماعِ والصراع على السلطـة وامتلاكها .

❖ أنَّ القرار العالميَّ ليس بيـد المسـلمين حُـكَّامــاً وشُعــوباً ، وإنـما لِكُــلٍ مـنهم حُــدودُه وسلـطته الخاصـة تحت سـقفٍ عــالميٍّ كــافرٍ ينطـوي فيـه ويلتــزمُ بقراراتــه في السـلم والحـرب ، بـل ويلتجئُ إليـه لفضِّ الـنِّـزاعـات وشكوى الاعـتداءات كــالأمم المتحـدة ومجلس الأمن وغيرهـا ، ويتبعـه كُـلّـيَّـةً في الاقتصـادِ والنظـامِ المـاليّ .

❖ أنَّ المُطـالبين بالحُكم تحت اعتباراتٍ ((مـذهبيةٍ ، عـائليـةٍ ، قبليّـةٍ)) أو غيرهـا كمطالــبة ((بعض أهل البيت بالحُكم أو الحربِ في سبيلـه)) أو غيرهم ــ ممن كان لهم مجدٌ وسلطانٌ لآبائهم ــ عليهم أن يعلمـوا أنَّ العـودةَ إلى الحكمِ الشـرعي يُشْـتَـرطُ فيـه ((الحكمُ الإسلاميُّ الـعـامُّ في مفـهومِ الخلافـة المرتبطـة بالقرار الإسلامي العام)) .

❖ أمـا أن يكون أحدهم حاكماً على مـدينـةٍ أو مقاطـعةٍ أو دولـةٍ ، ولكنَّ قـراره الاقتصـادي والسياسيَّ والإعلامي جُـزءٌ من الثقافـة العالمية والسياسـة الـدولـية كما تُسمّى ؛

فهو أمـرٌ لا يخـدم هـدف الإسـلام وقـضيـة الاصطفـاءِ أو الأحـقـيّـةَ في الحُكمِ ، بل على مثـل هـذا ــ من أهل البيت أو مِـن غيرهم ـ أن يتجنب المـاحكات السياسيـة المشبـوهـة ويحفـظ دمـاءَ الرعايا والأمـة ، ويُعيـد النظـر فيما هـو مطـلـوبٌ منه شـرعـاً لتحقيق الاسـتقرار في الشـعوب كـما فعل الإمـام الحسنُ وعليٌّ زين العابـدين رضي الله عنهما ، وليس بإشغال الشعوب بعودتـه وامـتلاك الحُكم ، مع أنـه لا يترتب عليه أي نُصـرةٍ للإسلام ولا للـدعوة ولا للجـهـادِ في سـبيل الله إلا بمــا يوافق سـقوفَ السياسـةِ العالميــة المهيــمنة ، التـي تبـدأُ بــادئ ذي بــدءٍ بشــرط الاعـتراف بــه وبـوجـوده ، ثـم بقبــوله عُــضواً في المنظومــة الدوليــة المُلزِمــةِ للنظــامِ باللــوائح والقــوانين الـدوليـة التي لا علاقـة لها بالإسـلام ولا بالمسـلم .

❖ أنَّ كـافـة الـدول والأنظـمـة التي بــرزت وظــهرت في مـرحلــة الغُـثــاءِ إنـما هـي قـائمــةٌ في مشــروعيتها عـلى اعـترافِ الــدول الكـبرى مـالكــةِ قـرار (الفيتــو) ،

والـدُّولُ الكبرى لا تعترف بنـظـامٍ إسلاميٍّ صحيحٍ ، إلا أن تكون إسلاميته وفِـق مـا يُرضي الدول المتنفـذة في القرار السياسي .

- وفـوق كل ذلك فإن حركـة الاقتصاد العالميـة والنظام المـالي الربوي وحـركـة سـوق العملات لكـافـة دول العالم هي السقف المهـيمن عـلى مشـروعيـةِ الـدول ومـدى بقائهـا منذ نـشـأتهـا وحتى سقوطـهـا .

وعلى هـذه الشـروط التي يكشفهـا فقه التحولات والـركن الرابع من أركـان الدين تُصبحُ مسألـةُ امتلاكِ القرارِ أو المـوت دونـه أو الـدفع بالرعـايا للاقتتـال من أجلـه مسـألـةً لا تـرتبطُ بالحُكّـام ولا حتى بآل البيت أنفسهم ، وإنما تـرتبط بقراءة نصوص فقه التحولات الشرعي .

فالنصـوص الـشرعيـة طعنت في الملك العضـوض ــ وهـو نظـام إسلامي وحُكّـامه من قُريشٍ ــ لفقـدان بعض الشروط في الحُكَّـام والمـراحل .

وكـذلك في عصر الغثـاء والـوهن كمـرحـلةٍ لا يمكن بأيّ حالٍ مـن الأحـوال أن يُهلِـكَ امـرؤٌ نفسـه أو رعـاياهُ من أجل قرارٍ ثبت شـرعـاً أنه لا يعـود على الإسلام بعـائدٍ يُـؤبـهُ لـه.

إنَّ الإسلام قضـيةٌ ، والحكم وظيفـةٌ ، فـإن تمكـن المـطـالـب بالوظيفـة أن يجعلهـا في خـدمـة القضيـة فـذاك ، وإلا فإنَّ التـزامـه بخـدمـة القضيـة من حيثمـا وضعـه الله في الحياة الاجتمـاعـيةِ كفيلٌ بإنجـاح وظيفـته الشـرعيـة . إ هـ[1].

عَـلَمِيَّة فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن هذا العلم [أي العلم بعلامات الساعـة] يحوي أخبار ما سيقع من الفتن ، وما تقع فيه الأمـة من الاختلاف والتحريش والضغائنِ ؛

وما يُناسب هذه الظواهر عند وقوعها من المواقـف الشرعيـة والمعالجـات النبويـة التـي تحفـظ الرَّجل والمرأة من الانزلاق وسوء الاستتباع المهيمن ، ومعرفـة ثوابـت العـزة التـي يُحفـظ بهـا شَرَفُ الدِّيانـة وحفظ الأمانـة من خِداع الدجاجلـة وإفك المنافقين الذين لم يسلَـم مـنهم مجتمـع الرسالـة الأول إبان نزول الوحي على النبي ﷺ ؛

---

[1] الأسس والمنطلقات ص (٢٦٨ ــ ٢٧٠) ط ٢ .

وقد حدد النبي ﷺ أساليب وكيفيات وثوابت هذا الحفظ للديانة والأمانة ، وعرَّف الأمة بأهله وخلفائه حتى لا يختلط الحقُّ بالباطل ، والحابل بالنابل ..[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن التأريخ في أوراق العلم بعلامات الساعة : إما أَزَلي ، وإما أَجَلي ، ولكل تاريخ ضوابط وثوابت ؛

وضابط التاريخ الأزلي : الإيمان بالقضاء والقدر وعلم السوابق والخواتيم ، وهذا علم لا يُعرَف إلا بالديانة الإسلامية وحدها .

وضابط التاريخ الأجلي : عُمق النظر في فقه التحولات وعلم المتغيرات ، وهذا علم لا يُعرف إلا بدراسة أركان الدين الأربعة مجتمعةً لا متفرقة :

الإسلام ــ الإيمان ــ الإحسان ــ العلم بعلامات الساعة .

ومن استفزته العبارات وضاق صدره من عمق التعليلات فلن يستطيع الخروج عن دائرة المألوف ؛

والمألوف لدينا كان سبباً في الأزمات وطول خراجها ، ولا زلنا نعاني وسنظل في المعاناة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ..[2]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن تقسيمات علامات الساعة كالآتي : علامات : كُبرى ، ووسطى ، وصُغرى :

فعلامات الساعة الكبرى إجمالاً :

1. المهدي : ويمثل ظهور الخلافة الإسلامية ، والعدل الاجتماعي بعد مراحل الجور
2. الدجال : ويمثل إعاثة الفساد في العالم ، ويكون ظهوره نصرةً لليهود والكفر العالمي .
3. عيسى ابن مريم عليه السلام : ينزل بالشام ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويقيم العدل ، ويقتل الدجال ومن معه من اليهود .

---

[1] إهـ من كتاب : التبصرة الدعوية ط١ لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠ م ص [٣٧] .

[2] إهـ من كتاب : المرصد النبوي ط١ لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٥٠] .

٤. يأجوج ومأجوج : يخرجون من جهة المشرق ويكتسحون الأرض حتى يموتون في أرض الشام في آخر مرحلة عيسى عليه السلام .

٥. ظهور الدخان .

٦. الخسوفات الثلاثة .

٧. النار الحاشرة .

٨. الدابة .

٩. طلوع الشمس من مغربها .

١٠ . النفخ في الصور .

علامات الساعة الوسطى :

تعتبر العلامات الوسطى في فقه التحولات من أهم العلامات تقريراً ومكانة وقواعد ، لأنها ارتبطت بمرحلة التأسيس الأول للدولة الإسلامية ، وتكاد أن تكون هي القاعدة الشرعية ، وخاصةً مرحلة الرسالة المحمدية الحاوية على قسميها الهامين : المرحلة المكية والمرحلة المدنية ، ففي هاتين المرحلتين تأسس علم فقه التحولات كما تأسست بقية العلوم الشرعية ، وتبدأ مراحلها ببعثة النبي ﷺ كما سيأتي :

١) مبعث النبي ﷺ بالرسالة .

٢) موت النبي ﷺ .

٣) مقتل الخليفة عمر رضي الله عنه .

٤) مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه .

٥) وقعتا الجمل وصفين وظهور الخوارج .

٦) مقتل الإمام علي كرم الله وجهه ، ورضي الله عنه .

٧) تنازل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة .

٨) مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه .

٩) وقعة الحرة ، واستباحة المدينة .

١٠) مراحل الملك العضوض (الأموية والعباسية) .

١١) مراحل الدويلات والتمزق .

١٢) عودة قرار الخلافة في عهد الدولة العثمانية .

١٣) سقوط قرار الخلافة .

١٤) المرحلة الغثائية ، وتنقسم إلى مرحلة الأحلاس ، والسراء ، والدهيماء ، والفتنة الرابعة البكماء العمياء الصماء التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكافر .

١٥) المرحلة السفيانية الأولى والثانية .

علامات الساعة الصغرى :

وهي العلامات والفتن المضلة والتحولات قبل الميلاد النبوي ، وما تلا ذلك من الأمارات المحددة في أحاديث علامات الساعة ، وحتى نهاية الكون ، ونفخ إسرافيل ــــ عليه السلام ـــــ في الصور ، وهي كثيرةٌ ومتنوعة ، ومنها :

١) بشارات الأنبياء عليهم السلام بالنبي الخاتم ﷺ .

٢) تحذير الأنبياء عليهم السلام من الدجال وفتنته .

٣) علامات ظهور نبوة النبي محمد ﷺ .

٤) غزوة بدر وأحد والأحزاب .

٥) ظهور مدارس النفاق والإرجاف .

٦) ظهور مدارس الكذب .

٧) الحروب والاختلاف في الدين .

٨) تناكر القلوب .

٩) التهاون بالسنن .

١٠) كثرة المطر وقلة النبات .

١١) فتن المشرق .

١٢) نقض العلم وقبض العلماء وكثرة الجهل .

١٣) ظهور الزنا والربا .

١٤) ظهور الكاسيات العاريات .

١٥) بيع الدين بالدنيا .

١٦) اتخاذ القينات والمعازف .

١٧) شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها .

١٨) كثرة القراء وقلة الفقهاء .

١٩) كثرة الأسواق وقلة الأرباح .

٢٠) بيع الحُكم .

٢١) زخرفة المساجد مع خراب القلوب .

٢٢) تعظيم رب المال .

٢٣) انتشار السحر والسحرة .

٢٤) ذهاب الصالحين وكثرة الأسافل .

٢٥) التماس العلم عند الأصاغر .

٢٦) صدق رؤيا المؤمن .

٢٧) كثرة الكتابة وانتشارها .

٢٨) ظهور قرَّاء للقرآن لا يجاوز حناجرهم .

٢٩) قطيعة الأرحام وعقوق الوالدين .

٣٠) ظهور الشرك وعبادة الأصنام بعد عيسى عليه السلام .

٣١) هدم الكعبة . ٣٢) رفع القرآن . ٣٣) الريح القابضة للمؤمنين .

عرضٌ عامٌّ لبقيةِ العلامات الصغرى :

- ظهور الرويبضة .
- ارتفاع الألفة بين الناس .
- إذا لم يأمن الرجل جليسه .

- التحية للمعرفة .
- انتشار شهادة الزور .
- كثرة النساء .
- ظاهرة موت الفجأة .
- وقوع التناكر والجفاء .
- عودة الجزيرة مروجاً وأنهاراً .
- كلام السباع والجمادات .
- تمني المؤمن للموت من شدة البلاء .
- كثرة الروم وقتالهم للمسلمين .
- التدافع على الإمامة في المساجد ، وفيه حديث :

{ إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماماً يصلي بهم } .[1]

- غربة الإسلام . ذهاب الخشوع من الناس .
- كثرة الذين لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً .
- تَعَلُّمْ العلم لغير الدين .
- القضاة الخونة والفقهاء الكذابون (الكذبة) والقُرَّاءُ الفسقة .
- ظهور نار الحجاز .
- مشاركة المرأة للرجل في التجارة .
- إستبدال التلاعن بالسلام .
- تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال .
- طغيان النساء وفسق الشباب .
- التغاير على الغلمان .
- ذهاب ماء الفرات وظهور كنز الذهب .

---

[1] مسند أحمد (٢٧٨٩٨) .

- كثرة الشح .
- ظهور النساء الكاسيات العاريات . ا هـ[1]

التسلسل الزمني الشرعي الجامع لِسير العلامات والأمارات إلى قيام الساعة :

- المرحلةُ النَّبويَّةُ .
- بشارات الكتب السماوية للأمم بظهور الرسالة الخاتمة .
- ميلاده ﷺ وما برز فيه من العلامات.
- نشأته ﷺ وما رافقها من الآيات البيِّنات .
- بعثته ﷺ .
- وفاته ﷺ .
- مرحلة الخلافة الراشدة ثلاثون عاماً .
- مرحلة الملك العضوض (الأموية ـــــ العباسية)[2] .
- مرحلة الدويلات .. التداعي .
- مرحلة الغثاء والوهن ونزع المهابة .
- مرحلة لاستتباع .
- الاستعمار ـــــ الاستثمار ـــــ الاستهتار .
- العلمانية ـــــ العلمنة ـــــ العولمة .
- مرحلة الاستنفار ((يقظة الشعوب)) من نهاية الفتنة الرابعة إلى أوساط المرحلة السُّفيانية .
- مرحلة الاستقرار ((المهدية)) .
- مرحلة الدجال ((الدجالية)) .

---

[1] باختصار وتصرف من كتاب الأسس والمنطلقات ص (٣٤٤ ـــ ٣٤٦) .

[2] وتنقسم المرحلة بعمومها إلى أقسام كما جاء بالحديث : { بدأ هذا الأمر بنبوةٍ ورحمة ، ثمَّ خلافة ورحمة ، ثم ملكاً عضوضاً ثم عتواً وجبرية } اهـ ص ٣٦٤ الإشاعة .

- مرحلة عيسى ابن مريم ((المرحلة النهائية بين الشعوب ، ووحدة الأديان تحت هيمنة الإسلام)) ((المرحلة العيسوية)) .
- مرحلة الاجتياح ((بدء الانهيار)) ((اليأجوجية)).
- مرحلة الشرك وعبادة الأصنام ((اللادينية)) .
- تتابع الآيات والعلامات ((مرحلة اليأس من قبول التوبة)) ((الدابة ، الدخان ، الريح القابضة ، طلوع الشمس من مغربها))[1] نهاية الكون الإنساني ((النفخ في الصور)) ـ[2].

عَلَمَي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن قراءة التأريخ على منهجين أو قراءتين :

الأولى : قراءةٌ تاريخية ما دِّيَّةٌ عقلانيةٌ مُجرّدةٌ .. وهي ما نسمِّيها في فقه التحولات (بالقراءةِ الأنويةِ الإبليسية الوضعية) ، وما تفرَّع عنها من المفاهيم النفاقية والإنتقائية المُسيّسةِ لمصلحة الانحرافات الكافرة والمُلحدةِ الموسِّدةِ ، المعنية بحديث : ((إذا ضُيِّعتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعة)) قال : وكيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : ((إذا وسَّدَ الأمرُ إلى غير أهله)) .

الثانية : قراءةٌ شرعيةٌ غيبيَّةٌ موجّهةٌ وهي ما نُسمِّيها في فقه التحولات (بالقراءة الأبوية النبوية الشرعية المسندة) ومفتاحها قوله تعالى في أوَّلِ آيةٍ أُنزلت على رسول الله ﷺ : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } وما تفرع عنها من تأصيلٍ وتفصيلٍ شرعيٍّ مدعومٍ بأدلّته ودلالاته مما يدخل تحت معنى قوله ﷺ :

((يحمل هذا العلمَ من كُلِّ خلفٍ عدوله)) إ هـ[1] .

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : { خروج الآيات بعضها على أثر بعض ، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام } وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : { الآيات خرزات منظومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها البعض }

[22] من كتاب الأسس والمنطلقات ص (٣٤٧ــ ٣٤٨) .

الباب الثاني :

باب : فقه التحولات ومفاهيمه المتعددة

[تَعْرِيف فِـقْهُ التَّحَوّلات]

يطلق مسمى فقه التحولات على فقه النصوص القرآنية والحديثية الخاصة بعلامات الساعة وأشراطها.

وتعريف هذا الفقه : هو الفهم الشرعي لما يجري من سنن التغيرات والمتغيرات في الحياة الإنسانية والكونية ، و ما طرأ أو يطرأ من مستجدات العلم النظري والتطبيقي والثقافة و الحوادث والفتن في مراحل الحياة الإنسانية عموماً ومراحل الأمة المحمدية خصوصاً إلى قيام الساعة .

فهو تعليل وتحليل العلوم الخاصة بعلامات الساعة المجتمعة في الركنين الأساسيين السابق ذكرهما وأقسامهما الخمسة الآتية .

ويقصد (بفقه التحولات) فهم ما يجري من سنن التغيرات والحوادث في المراحل المتقلبة وما ترتب عليها من نقضٍ وقبضٍ وصلاح أو فساد وما تطابق من هذه التحولات مع نصوص الكتاب والسنة في شأن الإفصاح عن بعض الظواهر ومجرياتها ؛

عَلَمِيَّة فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

إن التحولات كانت أهم شاغلٍ يُشغِل ذهن رسول الله ﷺ من بعده ،

ولأن في التحولات ومجرياتها أخطر الفتن ، ومنافذ الدمار، فقد كان لابد له عليه الصلاة والسلام أن يضع أصحابه أمام الأمر الواقع ويرسم لهم مخرج السلامة عند اشتباك الأمور ، ويأتي

---

[1] الأسس والمنطلقات ص (١٤ ــ ١٥) .

حديث العرباض بن سارية المروي في الصحيح ، حاملاً الفصل ، ومجسداً موقف الإسلام من مجريات التحول ، ويكاد هذا الحديث أن يكون قاعدة: (الفقه الخاص بالتحولات) بكل رواياته ،

وخاصةً أن روايةً تؤكد أن هذا الحديث كان آخر ما تكلم به ﷺ في حياته فيكون بذلك على غاية الأهمية في شأن هذا الفقه الخاص .أ هـ [1]

وحديث العرباض بن سارية هو قوله : وعضنا رسول الله ﷺ موعظة جليلة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا ؛ قال: {أُوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضو عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة } [2]

فعند وقوفنا أمام هذا الحديث الشريف بتأمل واعٍ نجد أن الرسول ﷺ ربط من خلال هذا الحديث بين التحولات والمواقف وإعطاء السنة مدلولاً جديداً لا علاقة له بسنة الأحكام ، والحلال والحرام المقررة سلفاً .ففي قوله ﷺ: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي .

إشارة واضحة إلى المواقف الأخلاقية تجاه التحولات وعليها يقتصر مفهوم السنة هنا .

فالمعلوم أن السنة التي تحتكم إليها الأمة هي : سنته ﷺ، وليس للخلفاء سنةً أخرى غير سنته ، فالخلفاء سواءً كان حسب مفهوم البعض أنهم الخلفاء الأربعة ، أو كان الفهم العام المناسب لمعنى الحديث أنهم (الراشدون) من الرشد (المهديون) من الهداية إلى يوم الدين ، ليس لهم سنةً متفردة متميزة غير سنة المواقف ؛

وليست السنة في اصطلاح الفقهاء والمحدثين ، ولهذا يؤكد الرسول ﷺ أن سنته في هذا المعنى (مواقفه أمام الفتن والتحولات) وسنة الخلفاء (مواقفهم أمام الفتن والتحولات)

---

[1] التليد والطارف ص (٣٢)

[2] رواه أحمد وغيره .

{عُضُّو عليها بالنواجذ } إشارةً إلى اتخاذ موقف الثبات ، والالتزام بهذه السنة ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ: {فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً } ؛

فالاختلاف من هنا لا ينحصر بالسنة القولية أو الفعلية أو التقريرية ، أو ما اختلف عليه المذهبيون فحسب ، وإنما الحديث يشمل قضية القرار والحكم ، والمتتبع برؤية لوقائع المقولة النبوية وتأريخها يستفيد ما يلي :

١) أن هذا الحديث يشمل مسائل القرار والاختلاف حوله .

٢) أن هذا الحديث يضع سنةً جديدةً تقعِّد مسألة المواقف .

٣) أن سنة المواقف تكتسب من النظر في سلوك رسول الله ، وخلفائه في العلم ، أهل الهداية والرشد عند انقطاع خلافة الحكم .

٤) أن هذا الحديث مؤكد حصول اختلاف في قرار الحكم وعلاجه ما أكده ﷺ من قوله : {اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي }

٥) أن موقف الصحابة بعد رسول الله ﷺ كان قائماً على فهم هذا الحديث ، ولم يشذ منهم أحدٌ على قرارا الخلافة في أبي بكر رضي الله عنه ومن بعده ، فالشذوذ في هذا الأمر لدى المتقولين لا يدخل تحت معنى ((الخلفاء المقتدى بهم عند الاختلاف)) ..

ويصبح هذا الحديث (منهجاً خاصاً) لفقه التحولات وسنة المواقف ، وما ترتب على هذا الفقه من فرعيات وإضافات . اهـ[1]ـ

علمية فقه التحولات :

أن غياب فقه التحولات وفقه علامات الساعة جعل الأمرَ مُعمَّىً على الكثير من العلماء في أمر التحولات والنقائضِ ،

---

[1] التليد والطارف ص (٣٧ـ٣٨)

والتبس عليهم الأمر في شأن الولاءِ والبراءِ ومفهومِ الخلفاءِ الراشدين المهديين والخُلفاءِ المفسدين الناقضين ، واختلطت الأمور وعاث الشيطان بخيله ورجله لاستثمار المراحل والدين لصالح برامجه الإبليسية ، مع أنَّ من لا ينطق عن الهوى قد أقام الحجة وبَيَّن الأمر من كافة جهاته ، فلا عذر لأحدٍ في تجاوز علمٍ نَصَّت عليه اللسانُ المُحمَّديَّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . أهـ[1]

عَلمَيِ فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن عودة الاحتكام المشروع إلى النصوص النبوية والأبوية في شأن التحولات والمتغيرات المتمرحلة ..

تُعتبر العلاج الأنجح لسيل التراكمات التاريخية المتناقضة ، بل ومُساعِدة على انشاء جيل إسلامي مجتمع النظر والفكرة من واقع المرحلة الإسلامية الأولى ..

مرحلة الرسالة والوحي والعصمة والمعجزات .

وبهذه المرحلة ومخرجاتها المنصوصة كتاباً وسُنةً تضبط المراحل اللاحقة ، وتضبط العلاقة بالأوعية السياسية والدينية ، كما تضبط أيضاً أقاويل وتعليلات المؤرخين والكُتّاب وحملة الأقلام قديماً وحديثاً .

لقد انضبط أمر الشريعة في شؤونها والعقيدة في صفائها ومراتب السلوك في تطبيقاته بعلم الأصول وخدمته الجليلة وعرض ذلك كله على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وأما حوادث التاريخ السياسي ، ومواقف الرجال في مفاصل التحول وسلامة قراري الحكم في أهله والعلم في رجاله وأوعيته فانضباطه منوطٌ بالربط بين هذين الأمور ونصوص فقه الدعوة إلى الله وأصول علم المتغيرات وفقه التحولات وما طابقه من معاني كتاب الله تعالى وأحاديث العلم بعلامات الساعة لا غير ذلك .

لقد انضبط بنصوص فقه التحولات شأن العلاقة بين الإمام علي وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما بقول النبي ﷺ : ((سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ ..)) و((إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْدُدْهَا إِلَى مَأْمَنِهَا)).

---

[1] المهيع الواضح الميمون ص (٥٣) .

وبين الإمام علي والزبير رضي الله عنهما ساعة اللقاء في معركة الجمل وقول الإمام علي له : [ألم يقل لك رسول الله ﷺ : ((لَتُقاتِلَنَّهُ وأنت ظالمٌ له)) فكان هذا سبباً في انسحابه من المعركة ..

إذاً فالنصوص فيما سبق من المواقف السياسية يحتاج إلى عُمق تأمل وتدبُّر ، حيث لا حكم على العدل بمجريات الحوادث وإنما الحكم بالنصوص ، والنصوص هي الحد الفاصل بين تصوّر العقل وغيرة الطبع وبين حقيقة الموقف للمتناول شأنه وحاله وإقامة الحجة له أو عليه ، وخصوصاً فيمن عاصر رسول الله ﷺ وجرى تعديل مواقفه بنبي الأمة ﷺ [1].

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلات :

أنَّ من خصوصيات فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة دراسة النصوص القرآنيّة والحديثية الخاصة بالمتغيرات والتحولات على ثلاثة صفات :

١ ـ قراءة خُصوصيّات مرحلة الرسالة والوحي ، وهي المرحلةُ التي عاشها ﷺ وفيها نزل القرآن مُنجّماً حسب الحوادث والوقائع ، وما اجتمع في هذه المرحلة من شأن التدرج في التشريع ومقتضيات أسباب النزول .

٢ ـ قراءة النصوص الاستباقية ، وهي الآيات والأحاديث المُتناوِلةُ أخبارَ المُستقبل والتَّنَبؤَ بالعلامات والأشراط والكوارث والفتن ومُضلاتها إلى يوم النفخ في الصور .

٣ ـ قراءة النصوص الاستقرائيَّةِ ، وهي الآيات والأحاديثُ المُتناوِلةُ أخبارَ الأمم السابقةِ ، وما أجراهُ الله من العذاب والابتلاءِ من قبل بعثة النبي ﷺ إلى عصر آدم عليه السلام : (عصر التكوين ، عصر الخلافة) إ هـ [2].

وأضاف سيدي الحبيب مؤخراً القراءة الرابعة وهي : القراءة الاستدلالية التي تَخُصُّ مرحلة رسول الله ﷺ..

---

[1] إهـ من كتاب : الصِّدّيق الأكبر ط١ لعام ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤ م ص [٦٠ ـ ٦١] .

[2] النبذة الصغرى ص (١٩) .

علمي فقه التحولات:

أنه يندرج تحت دراسة العلامات الكبرى والوسطى والصغرى جُملةٌ من العلوم الإيجابية والسلبية المرتبطة بمهمات الاستقراء الشرعي الاستباقي في فقه التحولات ، وتتلخّص في خمسة علوم ، وهي :

١ ـ فِقه النواقض والنقائض ومُضلات الفتن وأسباب الوقاية منها في الحُكم والعلم والاقتصاد .

٢ـ فقه الإشارات والبشارات والنذارات وفِقهُ الحصانات وشرف العدالة والسند.

٣ ـ فقه مستجدات العلوم النظرية والتطبيقية والثقافات ، وما يخصُّ الإعجاز العلمي والمعارف المتنوِّعة السلبية والإيجابية (النظريات وآليَّات التطبيق) .

٤ ـ فقه الأشراط الكونية والملاحم .

٥ ـ فقه الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ . إ هـ[1].

[1] النبذة الصغرى ص (٢٠) .

الرسم البياني لعلوم فقه التحولات :

الرسم البياني لعلوم فقه التحولات

العلم بعلامات الساعة

علوم فقه التحولات

فقه النواقض والنقائض ومضلات الفتن وأسباب الوقاية منها في الحكم والعلم والاقتصاد	فقه الإشارات والبشارات والنذارات والحصانات وشرف العدالة والسند	فقه مستجدات العلوم النظرية والتطبيقية وجديد الثقافة والمعارف السلبية والإيجابية وما يخص الإعجاز العلمي	فقه الأشراط الكونية والملاحم	فقه الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ

عَلَامَتِي فِقْهُ التَّحَوّلاتُ:

أنَّ الفقه متعدد ومفاهيمه متعددة وله نماذج وأنواع منها :

فِقْهُ الإِشَارَاتِ :

وهو الفقه الخاص في علوم الساعة ومتغيراتها بالإشارة والرمز لأمرٍ مُعيَّن أو حالةٍ متوقّعة قد يُفصح عنها ﷺ تصريحاً أو تلميحاً ، إمَّا بوقوعه في حياته أو بعد وفاته ، كقوله ﷺ :((مَن نَجَا مِن ثلاثٍ فقد نجا)) قالها ثلاث مرات ، قالوا : ما ذا يا رسول الله ؟ قال : ((موتي ، وقَتلُ خَليفَةٍ مُصْطَبِرٍ بالحق يُعطيه ، والدجالُ)) .

ومنها قوله ﷺ: ((إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كِسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتُنفَقَنَّ كُنُوزَهُما في سبيل الله)) .

وقد وقع ذلك في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

ومن الإشارات أيضاً قول أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((لا تُصيبكم فتنَةٌ ما دام هذا فيكم)) وأشار إلى عمر رضي الله عنه ؛

وحديث حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن عُمر رضي الله عنه سأل عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال : (يا أمير المؤمنين لا بأسَ عليك منها ، إنَّ بينك وبينها باباً مُغلقاً ، قال : يُفتح الباب أو يُكسر ؟ قال : لا بل يُكسر ، قال ذلك أحرى أن لا يُغلق) ، وفيه أن الباب عمر رضي الله عنه .

ومنها أيضاً ما جاء عن سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺقال : لـمَّا بنى رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء أبو بكر رضي الله عنه بحجرٍ فوضعه ثمَّ جاء عمر رضي الله عنه بحجرٍ فوضعه ثم جاء عثمان رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ : ((هؤلاء يلون الخلافة بعدي)) .

ومنها قوله ﷺ لعليٍ رضي الله عنه لـمَّا طلب الإذن بقتل الرجل الذي كان يُصلّي بعد أن رجع أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ولم يقتلاه فقال له : ((أنت له إن أدركتهُ))، فذهب فوجده قد خرج من المسجد فقال ﷺ :

((لو قَتَلْتَهُ ما اختلفَ اثنانِ من أُمَّتي)).

فِقْهُ البِشَارَاتِ :

وهو الفقه الذي يُبْرِزُ فيه ﷺ: العديد من تَنفُّسات المراحل وما يجعله الله من خيرٍ وبركة ونصرٍ للدين واجتماع للمُسْلمين في زمنٍ مُعيَّن أو شخصٍ مُحدد أو بلدٍ مخصوص ، ومُجمَل هذه البشارات يتحَدد فيما يلي :

١ــ بِشَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذواتٍ مُعاصِرَةٍ لِرَسُولِ الله ﷺ:

كبشارته لبعض صحابته رَضي الله عنهم ، وبشارته للإمام علي رَضِيَ الله عَنْهُ بقوله : ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) وبشارته لجعفر بن أبي طالب رَضِيَ الله عَنْهُ : ((أشبهت خَلقي وخُلُقي)) وقوله لأبي بكرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : ((لو كنت مُتخِذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً))، وبشارَته لعمر رَضِيَ الله عَنْهُ : ((لو كان من بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب)) ، وبشارته لعثمان رَضِيَ الله عَنْهُ لما جاء بمالٍ جهَّزَ به جيش العُسرةَ : ((ما ضَرَّ عُثمان ما عمل بعد اليوم)) مرتين ، وبشارته لأبي عُبيدةَ عامر بن الجَراح رَضِيَ الله عَنْهُ بقوله : ((هذا أمينُ هذه الأمة)) ، وبشارته لخالد بن الوليد رَضِيَ الله عَنْهُ بقولِه : ((سيفٌ من سيوفِ الله)) .

٢ــ بِشَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذواتٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ :

كبشارته بعالم قريش : ((إنَّ عالِمَ قُريشٍ يَمْلأُ طِباقَ الأرضِ علماً)) ، وإخبارُه بفتح القُسطنطينية وأميرها ، وأحاديث ظهور المهدي وعيسى ابن مَريم عليهِ السَّلام في آخر الزمان .

٣ـــ بِشَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِأَمَاكِنَ : كقولِه ﷺ في المدينة : ((والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ..)) ، وقوله ﷺ: ((اللَّهُمَّ بارك لنا في شامنا ، اللَّهُمَّ بارك لنا في يمننا ..)) ، وقوله ﷺ: ((الإيمان يمانٍ ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية)) .

٤ـــ بِشَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِظَوَاهِرَ : كقوله ﷺ: ((ثمَّ تطلع الرايات السود من قِبَل المَشرِق .. فبايعوه ولو حبواً على الثلج)) .

فِقْهُ النَّذَارَتِ : ..

وهو الفقهُ الحديثي أو القرآني الذي يَنُصُّ على خطرٍ قادم أو شرٍ مُسْتَطيرٍ مُقْبل أو كارثةٍ من الكوارث المتوقعة مما يرتبط بذواتٍ أو مراحل أو أماكن أو ظواهر مما يحتاج فيه المُسلم حفظ نفسه وأهله وماله ولسانه ويده ،

ومنها :ــ

١ ـــ نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذَوَاتٍ مُعَاصِرَةٍ لِرَسُولِ الله ﷺ:

كما هو في بعض سور القرآن من نذارات للمشركين ، والمنافقين من مثل ما في سورة التوبة والمنافقون ، كقوله تعالى : ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

وفي القرآن آياتُ نذاراتٍ عامةٍ وخاصةٍ ارتبطت بالذوات والفئات والجماعات والقبائل المعاصرة لرسول الله ﷺ، وليس هنا موقع بسطها .

ومن الأحاديث المختصة بالنَّذارات الخاصة بالذوات المعاصرة قوله ﷺ لسيدنا عثمان : ((إنَّ الله مُقَمِّصُكَ قميصاً ـــ أي الخلافة ـــ فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه)) ، وقوله ﷺ : ((إني لأرى مواقع الفتن خِلال بيوتكم كمواقع القطر)) .

٢ ـــ نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذَوَاتٍ مُعَاصِرَةٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ :

وفي هذا الباب آياتٌ قرآنية كثيرةٌ كقوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

وأما أحاديث النذارات الخاصة بالذوات المُستقبلية كقول أبي هريرة : (اللهم لا تُدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان) فاستجاب الله دعائه ومات عام ٥٩ هـ . وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : سَمعتُ الصادق المصدوق ﷺ يقول : ((هَلَكَةُ أُمَّتي على يد غِلمَةٍ من قريش)) .

٣ــ نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِمَرَاحِلَ : كقوله ﷺ : ((إذا تقارب الزمان أناخَ بِكُم الشُّرْفُ الجُون .. فِتنٌ كقطع الليل المُظلِم)) .

٤ــ نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِأَمَاكِنَ : كقوله ﷺ : ((لا تقوم الساعة حتَّى يَحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب ، يقتتل النَّاس عليه فيُقتل من كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون ، ويقول كل رجل منهم : لَعَلّي أكون أنا الذي أنجو)) وفي رواية مسند أحمد بنحوه وزاد ((يا بنيَّ فإن أدركته فلا تكونن ممن يُقاتل عليه)).

ومنها قوله ﷺ : ((ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت ــ أو من حضرموت ــ تحشُر الناس)) قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : ((عليكم بالشام)) .

فِقْهُ الْحَصَانَاتِ ..

ويرتبط هذا العلم في قسمه الهام من فقه التحولات بسلامة الديانة وحفظ الأمانة ، وانتقال مشروعية التسلسل المسند للقرآن والسنة والعلم الشرعي ، في أوعيته المشهود لها نصّاً بالسلامة من الفتن والزيغ والنفاق والفسق والبهتان والتحريف والتضليل ، جيلاً بعد جيل ، وزمناً بعد آخر ، تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩ وقال تعالى : ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٩

ولقـولـه ﷺ : ((يرثُ هذا العِلمَ من كلِّ خَلَفٍ عدولـه ، ينفـون عنـه تحريـف الغـالين ، وانتحـال المبطلين ، وتأويل الجاهلين)) .

وتزداد أهـميـة هذا القسم بازدياد التحولات الفكريـة والسياسيـة ، وشـمول الـفتن المضلـة في أمـر الديـن والحكم ، وشـؤون الاعـتـقـاد والاقـتـصـاد ، وتـدخُّـل أعــداء المسـلمين في شــأن قـرار الحكم والعلم ، كـما هـو في مـراحل الاسـتعــمار والاستهـتــار والاسـتـثـمــار ، ودفــعهم بـتـيّـارات الـطـائـفيـة والقبلـيّـة والـقومـية وغـلاة الأفـكــار المـذهــبية والـفـئـويــة لإنـجــاح سياسـة الـتحـريش الـشيـطانـيّـة في الشعوب ، والمـنـافسة على السلطـان والقرار ، واتخاذ فقـه الـصـراع والـمغـالـطات والـمـبررات في الاخـتلافـات الـعقـديـة والـفـقـهـيـة لإشـعــال الـفتـنة الـمؤديـة إلى الـحروب والـبغـضاء والـحقـد والـهلاك .

وقـد اعـتنى النـبي ﷺ بـعلم الـحصـانــة والـعــدول منــذُ مـرحــلة مـكّــة الـمكرمــة ، وكـان هـمّـه الأول بـنـاء الأوعـية الـحامــلة للأمـانــة ، وجـاء الــقرآن يـؤكــد هــذا المطلب ويـصف أهـل الحصـانـة والـعدالة بـمـا يُـناسبهم من الإشـادة والـمدح والـثّـناء الـذي لا ينقطـع ولا يـتـحـوّل ، فـمن الـحَـصـانـة مـا شـمـلت :

- الأفـراد : كأبـي بكرٍ رَضِيَ الله عَـنْـهُ في الـغار :

﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة: ٤٠

- ومـنـها ما شملت الـجماعـة : كـأصـحـاب الـشّجرة وأهــل بــدر وأهــل البيت الأطـهـار رَضِيَ الله عَـنْـهُـمْ كـمـا ورد في الـحديث : ((في كــل خَـلَــفٍ مـن أمتي عـدولٌ مـن أهــل بيتي يــنفون عـن هــذا الـديــن تــحريف الـضالــين وانتحال

المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وإنَّ أئمَّتكُم وفدكم على الله فانظروا بِمَن تَفِدون))

- ومنها ما شمل المرحلة والزمن : كالسابقين للإسلام في المرحلة المكيّة ، والسابقين للهجرة رَضِيَ الله عَنْهُمْ ، وترتب على فتح مكة من انتهاء مرحلة الهجرة بنصّ قوله ﷺ: ((لا هجرةَ بعد الفتح ، ولكن جهادٌ ونيةٌ ..)) .

ويدخل في حصانة المرحلة مسمى (السلف) الذين عاصروا القرون الثلاثة الأولى .. ويتفق المعنى الخاص بالسلف كرتبةٍ من مراتب الخيرية والأفضلية عند تلك القرون باعتبار المرحلة ، ولا ينطبق حكم أولئكَ على من سَمى نفسه أو جماعته بالسّلف في العصور الأخيرة ، بل ولا ينطبق المسمى الشرعي على من ادعى السلفية في القرون السابقة ممن لم يُدرك القرون الأولى ويُطْلِقُ على نفسه الاختيار الأسمى انتحالاً ودعوى لا دليل عليها ، بل ولا يشفع لها في علم الأصول وأحاديث الرسالة نصٌ ولا بيان ،

بل ربما دخلت في علامات الساعة وظواهر مضلات الفتن التي أكد الرسول ﷺ على بروزها وظهور علاماتها في عصور الغُثَاء والوهن والتداعي .

وهناك ارتباطٌ وثيقٌ بين مُسمى ((الحصانة والعدول وتسلسل الأسانيد)) ، وبين دلالات السلامة والأمانة والوراثة الشرعية ، فكلا الصفتينِ مُتلازمتينِ في الحياة الإنسانية ، ويخرج عن هذه الدائرة النصية أهل النفاق الذين وردت دلالات نفاقهم وأهل الإرجاف ومرضى القلوب سواءً بالنّصّ أو بالدلالة أو المواقف .

وقد ورد أنَّ أصحاب النَّبي ﷺ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وأرْضاهُمْ كانوا يَتَحَرّونَ أُمَناءَ مَنابرِ الحُكم والعلم ،

فلا يُوَلُّونَ أحداً في سُلوكه مطعنٌ أو مَغمزٌ أو دَخَنٌ .

ويأتي تسلسل الحصانة والعدالة مبتدئاً من عصر الرسالة بين مرحلتي مكة والمدينة ، ثم ينتقل إلى كل مرحلة بشروطٍ تجمع بين ما كتبه علماء الجرح والتعديل في علم الأصول ، وبين ضوابط السند والعدالة في فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة ، ومن لم يجمع بين الضابطين الشرعيين اختلّ عليه مقياسُ الحصانة والعدالة ...

ولأجل سلامة المراحل من هذا الغي المبرمج ضَحّى عددٌ من أئمة الدين العدول بالقرار والسلطان .. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الإرث الشرعي القائم على الحصانة والعدالة بضمان السلامة والحرز من الفتن لحملة المنهج النبوي الأبوي المُسند ، كما فعل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما في تنازله عن الخلافة ، وكما فعل الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه في مجانبة الفتنة والصمت عن ثأر أبيه الحُسين رضي الله عنه في سبيل إنقاذ العلم الشرعي المُسند والاهتمام به ، والتصدر في واقع الملك العضوض لنشر أسانيده وخدمة رجاله الأتقياء مع مهادنة الحكام طلباً للسلامة ، وإنجاحاً لمشروع الحفاظ على منهج الحصانة و العدالة في أهلها .

وأئمة أهل البيت كلهم عدولٌ ووُرّاثُ حصانةٍ وأمانةٍ ، سواءً من سلك طريقَ المهادنة مع الحكام ، أو من خرجَ باجتهادٍ أو بيعةٍ عليهم ، ويلحقهم في هذا الحكم من أخذ عنهم وتبعهم بإحسانٍ من غير تدنيسٍ ولا تسييسٍ ، والتدنيس والتسييس يقدح في الحصانة والعدالة ويتعارض معها .

إنَّ هذا القسم من أقسام علوم فقه التحولات يحفظ لآل البيت الأطهار ولأصحاب النبي الأخيار شرف حصانتهم وعدالتهم خلال مراحل التحولات الأولى ؛ ويحميهم من تطاول الألسنة والأقلام التي استمرأت اللعن والطعن والهمز والغمز واللمز جيلاً بعد جيل ومرحلة بعد أخرى ؛

ويُفَنَّد الأقاويل الباطلة والأضاليل الزائفة ويضعها في موقعها من التأريخ وأحداثه ومن الدين ونصوصه ، فأحداث التَّأريخ قضاء وقدر ومسؤوليات مشتركة بين وظائف جُند الرحمن وجند الشيطان .

أما النصوص الشرعية فضابطٌ مُميَّزٌ بين القضاء والقَدَر المُسَلَّم به وله ، وبين تدخلات حزب الشيطان اللعين ومواقع أثره وتأثيره في قرار الحُكم وقرار العلم وقرار الاقتصاد وقرار المعرفة والقِيَم والسلوك ، بل وإدانةٌ صريحةٌ للشر وأهله ؛

ومهما كانت مجريات الأحداث فهي ليست حُكماً قطعياً على ذي حصانة وعدالة ، وللصحابيِّ العَدْلِ المُحَصَّنِ مَنْدُوحَةُ الاجتهاد في فعله وتركه ، ولا قادحَ عليه في اجتهاده ، سواءً أصاب أم أخطأ ، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ واحد .

وقد أطلنا النَّفس في مقدمة حديثنا عن الحصانة والعدالة ، وها نحن نُلخِص ما بلغنا إليه من نماذج الحصانة وأمثلتها فيما يلي :

١ ـــ حَصَانَةُ ذَوَاتٍ :ــ

وتشمَل الفضائل والمناقب التي تُلخِص كل فردٍ بذاته ، مما جرى على لسان رسول الله ﷺ ، وقد اعتنت كتب الحديث الشريف بهذا الباب ، وجعلت لكل صحابي ما تميز به من الفضائل ، وكذلك فضل أهل البيت الأطهار رضي الله عنهم فرداً فرداً رجالاً ونساءً .

٢ ـــ حَصَانَةُ فِئَاتٍ :ــ

وتشمل المناقب المجتمعة لكل فئَةٍ شاركت أو تميّزت بفضائلها الخاصة على عهد رسول الله ﷺ ، كالسابقين للإسلام والمهاجرين والأنصار عموماً ، وفيهم نزلت الآية :

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ النمل: ٥٩

قال ابن عباس وسفيان : هم أصحاب محمد ﷺ وأصحاب بيعة الرضوان رضي الله عنهم وفيهم قال ﷺ: ((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد)) ، وأهل بدرٍ رضي الله عنهم ، وفيهم قال ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بالجزم ، ولفظه : ((لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غفرتُ لكم)) ، وآل البيت الأطهار بعمومهم وأهل الكساء بخصوصهم رضي الله عنهم .

٣ــ حَصَانَةُ مَرَاحِلَ :ــ

وتشمل كل مرحلة ورد فيها نَصٌّ خاصٌّ أو عامٌّ يميزها ويحفظ شرفها وسلامتها بوجهٍ من الوجوه التالية :

أ ــ مَرْحَلَةُ الرِّسَالَةِ :

وحصانتها بالوحي والعصمة والمعجزات وأخلاق النبوة .

ب ــ مَرحَلَةُ الْخِلاَفَةِ الرَّاشِدَةِ :

وحصانتها بالاجتهاد ونصوص النبوة عن المرحلة والخلفاء وبموقف الخلفاء أنفسهم .

ج ــ مَرحَلَةُ المُلْكِ العَضُوضِ :

وهي مرحلةٌ مُدانةٌ من حيث موقع القرار ؛ ولكنها متنوعة الحصانة من حيثياتٍ أُخرى ، ومنها :

١ــ وجود الخلفاء الراشدين المهديين من آل البيت وأئمة الدين في حياة الشعوب في صدارة العلم والسند والأخلاق .

٢ــ حفظ بيضة الإسلام وسلامة حدود الدولة الإسلامية من اختراق العدو وتدخلاته .

٣ ــ قيام فرض الجهاد في سبيل الله وانتشار الفتوحات في العالم ، وثبت في الصحيحين عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول :

((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتي يَغْزُونَ البحرَ قد أوجبوا)) قالت أم حرام : قلت يا رسول الله ..أنا فيهم ؟ قال : ((أنت فيهم)) ثُمَّ قال رسول الله ﷺ : ((أول جيشٍ من أُمتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم)) ، فقلت أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : ((لا)) ، وكان هذا الأمر في سنة سبع وعشرين من خلافة عثمان رضي الله عنه ، وتوفيت أم حرام رضي الله عنها في هذه الغزوة وكانت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وأما الثانية فكانت في سنة اثنين وخمسين في أيام معاوية .

د ـ مَرْحَلَةُ الدُّوَيْلاَتِ والتَّمَزُّقِ :

وهي مرحلة غزو التتار والحروب الصليبية التي مَزَّقت بلاد العالم العربي والإسلامي ، وافتقدت الأمة شروط الحصانة العامة في قرار الحُكم .

وبقي المظهر العلميُّ والشرعيُّ قائماً بالحد الأدنى من الحصانة للمسلمين في بعض البلاد العربية والإسلامية كمظهر الأزهر في مصر والحرمين الشريفين في الحجاز وبيت المقدس بالشام ومدرسة حضرموت باليمن ، باعتبارها مدارسَ شعبيَّةً غيرَ مُسَيَّسةٍ ، حتى عودة قرار الخلافة بالدولة العثمانية ، وهي التي أعادت الحصانة السياسية في القرار الواحد ، ومن ثم أعادت حصانة العلم والحُكم ووحدة بيضة الأمة الإسلامية بقيام فريضة الجهاد في سبيل الله ، حتى كان شعار الخلفاء في عهدهم : (إما غازٍ .. وإما شهيدٌ ..) حتى مرحلة الضعف والانهيار ، وكانت آخر مراحل الحصانة في قرار الحكم والعلم مرحلة السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله تعالى .

وأما المراحل التي لا حصانة لها فـ:

هـ ـ المَرْحَلَةُ الغُثائِيَّةُ :

وهي المرحلة التي سقطت فيها كآفة الحصانات الشرعية في مستوى قرار الحُكم وقرار العلم ، ولم يبق فيها غير الحفظ العام الموعود من عند الله للأمة وللقرآن ، على أيدي بعض

العلماء والصالحين وشيوخ السند والعدالة من أهل البيت النبوي والمرتبطين بهم ، دون الانطواء في الأنظمة والدول المسيَّسة مع اختراق العدو كافة شؤون الدنيا والدين بسياسة العلمانية بادئ ذي بدء ، ثم مرحلة العلمنة ، ثم مرحلة العولمة ؛

ز ـ مَراحِلُ الانْهِيَارِ والدَّمَارِ :

وهي المراحل الأخيرة من حياة البشرية ، وتبدأ بموت عيسى عليه السلام حتى نهاية الكون ونفخ إسرافيل في الصور ، وهي المراحل التي يظهر فيها الشرك جلياً بكل أنواعه ونماذجه وخاصّةً في جزيرة العرب[1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أنه يُستفاد من دراسة أحاديث فقه التحولات أنَّ حصانة المراحل تأتي على الكيفية التالية

- ❖ مرحلة الرِّسالة .. الوحيُ ، العِصمةُ ، المعجزات ، الأخلاق .
- ❖ مرحلة الخلافة الراشدةِ ، الاجتهاد ، نصوص النبوةِ ، مواقف الخلفاء .
- ❖ مرحلة الملك العضوض وحتى مرحلة الغُثاءِ ، حفظُ بيضةِ الإسلامِ ، إقامةُ فرضِ الجهاد في سبيل الله .

ولا حصانة لمرحلة الغثاءِ ورموزها بعد نقض قرار الحُكمِ والعلمِ وإنما يبقى الحفظ العامُّ للأمةِ على صفة العموم من قوله ﷺ: ((مثل أُمَّتي مثل المطر لا يُدرى أوَّلُهُ خيرٌ أم آخرُهُ)) وعلى صفة الخويصة والخاصة في قوله ﷺ: ((فعليكَ بخويصة نفسكَ))[2] .

فِقْهُ المُبَادَرَةِ عِنْدَ ظُهُورِ عَلامَاتِ السَّاعَة :

يعتقد البعض من المسلمين بأنَّ علامات الساعة سببٌ لإثارة الخوف من المستقبل ، وإشغال الناسِ عن الحياةِ والقيام بالواجب فيها ، وأنَّ ذكرها والتخويف منها سبيل إلى الإحباط والعزلة والابتعاد عن خدمة المجتمع والتفاعل فيه ؛

---

[1] إهـ بشيء من التصرف من كتاب الإقليد ص(٣١ ـــ ٤٤).

[2] الأسس والمنطلقات ص (١٧) ط ٢.

والصحيح المنصوص عليه أنَّ العلم بعلامات الساعة تحصينٌ ووقايةٌ شرعيةٌ للمسلم تحفظه وتُرشدهُ إلى الصَّواب ، وتمنحه الثواب وتُجنِّبهُ الوقوع في مُسَببات الإثمِ والعقاب ، وتُبَيِّن له الموقفَ المُتخذ شرعاً من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والدعوية والإعلامية والثقافية ، التي تعصفُ بالقِيَمِ والأخلاقِ ، وتَقطَعُ بين الشعوبِ وبين عبادةِ الواحدِ الخلاَّقِ.

وفي هذا المبدأِ الأبويّ استجابةٌ لقول النبي ﷺ فيما سُمّي في فقه التحولات بفقه المُبادرة : ((بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا .. هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاّ فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنىً مُطْغِياً ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِداً ، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزاً أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)) .

وهذا الحديث الشريف صورةٌ عَمَلِيَّةٌ لرسم التفاؤل الشرعي من خلال منهج السلامة عند ظهور الانحرافات والفتن الموعود بها ، كما يُخاطبُ البَشَر عُموماً عند حدوث كوارثهم لا المسلمين فقط ، ويذُمُّ من ينتظر وقوع كارثةٍ بشَريَّةٍ دون موقفٍ يُتخذ ، حيثُ يأمرُ بـ(المبادرات السَّبعِ) حتَّى تُخَفّف وَطأةَ تلك الكوارث نسبَيّاً وهيَ :

١ــ مُبادرة المُعالجةِ للفقر المُنسِيِّ

الذي يكتسحُ الشُّعوب نتيجَة السياسات الاقتصادية التَّوليفيَّةِ ، ومعالجة ذلك بمصارف الزكاة والأوقافِ والصدقاتِ وكفالة المُستحقين وكافة الأنظمة التكافلية ، ويدخل فيه كافةُ أشكال الاكتفاءِ الذاتي والاقتصاد المنزلي بالاهتمام بالزراعةِ أو تربية الأنعام ، كما في حديث مُسلم ((ومَن كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَق بِغَنَمِهِ ، وَمَن كانَت لهُ أرضٌ فَلْيَلحَقْ بِأَرْضِهِ)) ؛

وهذا الأمر أصبح واضحاً اليوم كل الوضوح ولم يَعُد يَخفى على أحدٍ رَغبَةُ إبليس في استعباد البشر كلها عن طريق إمساك أزِمَّة الإنتاجِ في العالم .

٢ـ مُبادرة المُعالجةِ لِلْغِنَى المُطْغِيّ

السائدِ اليوم في حياةِ الشُّعوب ، وذلك بمعالجة فشَل الاقتصاد الربوي بتحريم الربا ومُقاومة الطغيان الشَّرِكَاتي ومُناصَحَة أُولي الأمر في ذلك ولو بالقلم ، ومن ذلك ثقافةُ المَسولِيَّةِ الاجتماعية وما على الشركات التجارية من مَسؤولِيَّاتٍ تجاهَ مُجتَمَعاتِهَا ، وتوظيف الأموال في التنمية الزراعيّة والحيوانية وصناعتها التحويليَّة وكَافةِ أشكالِ الإنتاجِ .

٣ـ مُبَادَرَةُ المُعَالَجَةِ للمَرَضِ المُفْسِدِ :

بِكُل أَشكالهِ سواءً كان المَرَض المعنويّ السَّائِد في الأعمال الإداريةِ كالمَحسوبيَّاتِ والرشوةِ والمُكايدة ، أو كان المرض الحسيّ في أعمال المؤسسات التي تُعنى بترتيب صحة الإنسانِ وتوعِيَتِه ، ومنه فِقهُ النَّظافة الشَّخصيَّةِ في الوضوءِ والغُسل وخصالِ الفطرةِ ، وضبطِ عادات الطَّعامِ على الصّفةِ المَشروعةِ .

٤ـ مُبَادَرَةُ الهَرَمِ المُفَنَّدِ

المؤدي إلى العقوق وإهمال الأُسرة لكبار السَّنَّ والعَجَزَةِ بتوسيع مَجال التربية والاعتناء بِبرّ الوالدين وتماسُك الأُسرة وصلة الرحم ، وكافةِ أشكالِ مؤسسات التَّكافُل الاجتماعي كرعاية الأيتام ونحوها .

٥ـ مُبَادَرَةُ العِلاجِ للموتِ المُجهزِ ، وهو الهلاك الجَمَاعيُّ بوسائل القتل الحديثة كالانفجارات والأحزمة الناسفة ونحو ذلك ، بِنَشرِ فقه السلام وإفشائه ، ومُناصحةِ أُولي الأمرِ وكافةِ شرائح المُجتمع بتجَنُّبِ الحروب والوقوع في الدماءِ وأسباب الإثارة والتحريش .

٦ـ مُبَادَرَةُ العِلاجِ لِظُهُور الدَّجالِ باعتبارِ شَرَّيَتِهِ العالميَّة ؛ وذلك بِنَشرِ فقه التَّحولات والعلم بعلامات الساعة ، ليهلِكَ مَن هَلَكَ عن بَيِّنةٍ ويَحي مَن حَيَّ عن بَيِّنةٍ .

٧ــ مُبَادَرَةُ السَّاعَةِ :قبل وقوعها سواءً للفردِ أو للعالَمِ كُلّهِ والاستعدادِ بالعَمَل الصالح والقيام بالمأمورات واجتناب المنهيات والفرار إلى الله .

فهذه المُبادرات السبع تحول دونَ الوقوع في الانحرافات أو تُخَفف الوطأةُ نِسْبِيّاً ، وقد قَدمنا أنها تفاؤلٌ موَجَّهٌ ورفعٌ للهمَّةِ وتَفكيرٌ إيجابيٌّ مهما كانت الظروف ، شاهده قوله ﷺ: ((إنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أحَدِكُم فَسيلَةٌ فَاسْتَطَاعَ أنْ لاّ تَقُومَ حَتّى يَغْرِسْهَا فَلْيَغْرِسْهَا)) .إهـ[١]

فِقْهُ الأَشْرَاطِ الْكَونِيَّةِ والمَلاحِمِ:

يُطلق هذا التعريف على ما يخصُّ الأشراط والتحولات الجارية في حياة الأمم كما جاء في نصوص القرآن والسنة على الكيفية التالية : أ) الأشراطُ ، والأشراطُ جمعُ شرطٍ ، والشرط لغةً العلامة ، والعلامة في فقه التحولات هي الظواهر الكونية الجارية بأمر الله وفق ما أخبر عنه المصطفى ﷺمن الأحاديث وتنقسم إلى أقسامٍ :

* الأشراط الاستباقيَّةُ ، وهي العلامات الكونية المخالفة لمجريات القوانين الطبيعية المعتادة كطلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والريح القابضة ، والخسوفات الثلاثةِ ، والنار الحاشرة ، والمسخ والقذف وغيرها من الكوارث الطبيعيةِ .
* الأشراط الاستقرائية ، وهي مجموع ما أَجراهُ الله من الآيات في الأمم السابقة ذات العلاقة بالعلامات الموعودةِ ، كما عبَّر القرآن عنها في قوم عادٍ :﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ ﴾

ب) الملاحِم : جمع ملحمةٍ ، وهي الحروب الطاحنةُ التي تلتَحِمُ فيها الجيوش ويكثر قتلاها وضحاياها ، وتُطلقُ غالباً على الحروب بين المسلمين والكفار ، ومنها حروب الفتوحات التي

---

[١] من كتاب النبذة الصغرى ص (٦١ ــ ٦٤) .

خاضها المسلمون مع الفُرسِ والرّوم في عهد الخلافة الراشدةِ وفي مرحلة الملك العَضوض الأولى والثانية ، وما جرى من الحروب الكبرى بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية ، وما سيأتي من لاحق الحروب الموعود بها في عهد السفياني والمهدي والدجال وعيسى عليه السلام[1].

فِقْهُ الربطِ الشَّرعي بين الدِّيانة والتَّدين :ـ

وهو العلم الذي يخُص قراءة التاريخ الأبوي النبوي الشرعي مُنذ بداية الحياة إلى نهايتها من خلال القرآن والسنة الشريفة ، وما يقابله من قراءة التاريخ الأنوي الطبعي الوضعي وتاريخ الفصل بين الديانة والتاريخ .

وهذا العلم يُعيد قراءة القرآن قراءةً تاريخيةً شرعيةً مُفَصلةً فيما يُناسب الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ ، من مثل :

* دراسة التكوين الآدمي ، وما يخصه من الآيات والأحاديث وموقف إبليس من السجود لآدم وما ترتب على ذلك .

* دراسة مرحلة سكن الجنة وبدء مرحلة الأوامر والنواهي ، وفقه عداوة الشيطان وأثره على الإنسان .

* دراسة مرحلة الإهباط إلى الأرض ووظائف الفرقاء في الحياة :

﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ دراسة بدء مرحلة مسؤوليات الخلافة على صفة المدرسة الأبوية النبوية أبوية آدم ومن آمن به ، وأنوية الشيطان ومن ارتبط به ، وبدء نشاطه الفكري في (قابيل) ليؤسس مدرسة الأنوية الإنسانية في العالم وبدء مرحلة التاريخ المادي المجرّد ، المدرسة القائمة على : (الكفر ــ القتل ــ الكذب ــ العقوق ــ الغرائز ــ الرفض والإباء) وما يقابلها من معادل

---

[1] دوائر الإعادة ص (٣٣ ــ ٣٤) .

السلوك الأبوي والنبوي الشرعي لـدى (هـابيل) كمـا ورد في آيـات سـورة المائـدة : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ المائدة: ٢٧

وما ترتب على افـتـراق المدرستين : مـدرسـة الأبوّة الشرعية ومـدرسـة الأنـوية الوضعية في سير العالم الإنساني ، وتـمـيّز المدرسـة الأبويـة النبوية بـرسـالة آدم عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ وموقف هابيل ومـا تفرع بقراءتـه من الكتب المنزلـة والرسـل والأنبياء عبر الأزمـنـة والمراحل من آدم عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ إلى نـوح عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ ، ومن نـوحٍ عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ إلى إبراهيم عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ ، ومن إبـراهيم عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ إلى مـوسى عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ ، ومن مـوسى عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ إلى عيسى عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ ، ومن عيسى عَـلَـيْهِ السَّـلاَمْ إلى عهـد محمد ﷺ وهو العهـد الـذي يمتَـد إلى قيام الساعـة وِفق الـدراسـة العلميـة الشـرعيـة لفـقـه التحولات إهـ[1].

فِـقْـهُ الْـهَـزائِم :

وفقه الهـزائم هـو المعنـي مـن قولـه تعـالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. فلغة المنازعة لغةً تؤدي ـــ بلا شك ـــ إلى الفشل والإحباط ، وتفتح للشيطان ثغرةَ الاختراق للصفوف وتشتيتها وقد فُعِل ؛ وإذا كـان الـبعض يُـنـزّل الآيـة بأنهـا تخص الحرب وعدم المنازعة من داخل المعركة فـالمعنى ـــ والله أعلـم ـــ قـد يتسـع ليشـمل الحـرب الإعلامية والكلامية من حرب الإشاعة والإرجاف وحرب التحريض والخدعة كما قال ﷺ { الحـرب خُدعة } فحيثما كانت المنازعة فهناك الفشل والذوبان في الغير .

والغير هنا ليس المسلم وإنما هو المستـثمر الأصلي للنزاع (إبليس الرجيم) أ هـ[2]

---

[1] دوائـر الإعـادة ص (٣٤ ـــ ٣٦) .

[2] المواجهة السافرة ص ـ (٢٩)

فِقْهُ الأَصَالَةِ :ـــ

إن فقه الأصالة هو فقه الاقتداء بالمتبوع الأعظم ثم الاقتداء بخلفائه الراشدين المهديين ؛ وقد قال فيهم ﷺ: { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عُضُّوا عليها بالنواجذ ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً } والخلفاء الراشدين كانوا قدوة العقلاء في مراحل الاختلاف كلها ، خلافاً لهيشات الأسواق ، ومجموعات النفاق والارتزاق .أ هـ[1]

فِقْهُ الدَّعْوَةِ :ـ

فقه الدعوة هو علم يلمُّ بوسائل الحكمة والموعظة الحسنة وأساليبها المتنوعة بين الناس ويرتقي عند الحاجة إلى المجادلة بالتي هي أحسن ، وأساس هذا الفقه مواقف النبي ﷺ والمدينة ، إبان نشر دعوة الإسلام بين الكفار من قريش والأعراب ومجموعات أهل الكتاب ، وبين المنافقين الغارقين في الإفك ، والخداع ، والكذب ، والتمويه ؛

وبهذا العلم من فقه الدعوة ، ينطلق الداعي والراعي في معالجة الشعوب الإنسانية لهدايتها إلى الإسلام ومعالجة المصلين لجمع كلمتهم على قواسم الإسلام المشتركة . ا هـ[2]

فِقْهُ التَّدَاعِي :ـــ

وأما فقه التداعي فهو :

ما عبَّر عنه المصطفى ﷺ: بسياسة (أكلة القصعة) وما يتفرع من هذه السياسة الخطيرة في مسيرة العالم العربي والإسلامي عند فقدان القرار العالمي ، وهيمنة القرار العلماني والعولمي ، وكيف تُسهم الأنظمة ذاتها ورؤوس الحركة في العالمين بخدمة التحريش وتبني برامجه ومناهجه في التربية والتعليم والإعلام وغيرها ، لينجح المستثمر الخارجي في تفكيك الأُسرة الإسلامية ، وتحويلها إلى برامج

---

[1] المواجهة السافرة ص (٨٦)

[2] المواجهة السافرة ص (٩٣)

عمل تحت شعار (فرّق تسُد) فيتم له الاختراق بوسائله ومسائله حاكماً ومهيمناً على الشعوب ، ومحطماً شرف عزتها بدينها ووطنها ووحدتها وقرارها وقد فُعِلَ . اهـ[1]

فِقْهُ العَلاقَةِ بِالذَّاتِ النَّبَوِيَّة :ـ

لأن الذات النبوية هي مصدر التشريع والقدوة الحسنة للأمة ومرجعية النسك والأخلاق والمواقف ؛ فالنظر في فقه الذات النبوية واجب ومُتحتِّم ، ولا يزال علماء الملة منذ قرون البعثة والرسالة وهم يحدون الناس ويُفَقِّهونهم فيما يجب علمه عليهم نحو الذات النبوية من المحبة والاقتداء والولاء ، وصدق الخدمة في الدين ، باتباع الأوامر واجتناب النواهي وبذل المعروف وأداء الحقوق ودراسة نسب النبي وشرف محتده وفضل الصلاة والتسليم عليه وزيارة قبره ومسجده وغيرها من المآثر المُعبرة عن الشرف الموهوب له من مولاه ؛

إن جزءاً من حوادث السيرة بَيَّنت موقف العديد من الكائنات كالجذع والحجر والشجر من شرف الذات النبوية ، وأبرز بإذن الله سِر الانفعال الوجداني المعبرة عن عمق التعلق والحب له عليه الصلاة والسلام حتى في غير بني الإنسان .. وهذا نوعٌ خاص من فقه التحول وسنن المواقف .ولهذا فإن من كوارث العصر الفصل بين الكتاب والسنة وثمراتها وبين الذات النبوية .. ودراسة الخصوصيات الموهوبة .. وهذا ما تعانيه المدارس الإسلامية المعاصرة سواءً كانت أكاديمية أو مؤسسات تعليمية وثقافية . إهـ[2] .

فِقْهُ المَرَاتِبْ الوِرَاثِيَّة :ـ

فقه المراتب الوراثية : مجموع ما نصّت عليه الأحاديث والآيات في شرف الآل وخصوصياتهم الشرعية ، ووجوب محبتهم وتقدمتهم ، وفي ذلك ما يُثبت أهليتهم الشرعية لحفظ الدين والقيام بأمره على ورعٍ وتقى ؛ وتفسّر المراتب الوراثية بأنها الاستعدادات العلمية والعملية الموصلة

---

[1] المواجهة السافرة ص ـ (٩٣ ـ ٩٤)

[2] التليد والطارف ص (٤٣٩) ط ٣ .

للوارثين من آل البيت البلوغ إلى مرتبة الإمامة وهي توازي مفهوم مرتبة الاجتهاد عند الأصوليين بشروطٍ عديدة وفقه المراتب الوراثية المنصوص عليها في الكتاب والسنة لآل البيت الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم عند كمال نسبة الخلافة المعنوية لدى صدورهم وأئمتهم بالعلم والعمل حيث ما كانوا من المذاهب السليمة والخلافة الحكيمة لا فرق بين حنفيهم ومالكيهم وشافعيهم وحنبليهم وإماميهم وزيديهم وهلمَّ جرا...

حيث أن الإمامة لا تنقدح بالمذاهب ولا تلزم الواصل إليها أن يتخلى عن مذهبه الإسلامي ليرجع مثلاً إلى المذهب الإمامي المعروف بالإمامية ؛

فالإمامية مذهب إسلامي برز في مراحل التكوين للمذهبية الإسلامية ، ولم يكن موجوداً من قبل ، مثله مثل غيره من المذاهب الأخرى ، فهو ليس بديلاً عنها ، ولا وارثاً لها، ولا هي بديلةً عنه ولا وارثةً له ، ولم يوص النبي ﷺ بمذهب فقهي، أو أُصولي بعينه ، وإنما وصّى بالذوات ، وشدد على الالتزام بالطاعات والمأمورات ، ورفع قدر العلماء والأولياء عند الالتزام بما هو أقرب إلى الاهتداء والاقتداء في كافة الحالات مثل قوله : { عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً } فهذا لا يعني وجوب الالتزام بمذهب الشافعي دون غيره تبعاً لفهم النص ، وكذلك لا يجب حشر الأمة في مذهب بعينه دون غيره تحت أي مبرر أو حُجة ، فهذا لا يُمت إلى الإسلام الحق بشيءٍ أبداً ، إنما يُمت إلى طبيعة المتعصب والمتعاطف ؛ فالمذاهب للتعبد والتعرف على ما يحتاجه المسلم في أمر دينه نصاً واستنباطاً؛ وأما فقه المراتب (الإمامة) فهو فهم يؤتاه أحدهم أو أكثر في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ومواقفه يجمع الله به أمر المسلمين ، ويصلح الله به أمر الدنيا والدين ، مع زيادة علم وحلم وعبادة ومراقبة لله ، وحسن إتباع لرسوله ﷺ، بصرف النظر عن نموذج مذهبيته التعبدية .اهـ[1]

---

[1] المواجهة السافرة ص (٨٧ ــ ٨٩)

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلَات:

أنَّ فقهاء المغالطات هم : رسل الثلاثة الحلفاء ؛ و الثلاثة الحلفاء هم :

ــ (الشيطان ــ الدجال ــ الكفر) ؛

وسماسرتهم هم : الكفار والمنافقين ؛ ومن فقهاء الخيانة (فقهاء المغالطات) وهم صنفان من مدارس الولاء والبراء : ــ صنفٌ نهج بالفقه نحو أقصى درجات الإفراط ؛ وصنفٌ إتجه بالفقه لأقصى درجات التفريط ؛ وهؤلاء هم رسل الثلاثة الحلفاء والداعمون لسياساته في الشعوب المسلمة سواءً كان الفعل منهم بعلم وإدراك أو كان على حالٍ من العماية والسذاجة والانتصار للطباع والفهوم الذاتية ؛

وحيثما أطل المسلم الواعي في هذه العصور القريبة على الأمة الإسلامية سيجد أن تسيس (الثلاثة الحلفاء) قد احتضن طرفي الإفراط في العالمين العربي والإسلامي ، وأطلق لهما حُرية الحركة الفاعلة في أساس العلم أو الحكم باسم الإسلام .[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلَات:

وأخبرني بظهور (أكلة القصعة) وهي : ما عبّر عنها المصطفى ﷺ بقوله :

{يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها} قال: قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟

قال :{ أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن } قال قلنا وما الوهن ؟

---

[1] النمط الأوسط ص (٢٩ ــ ٣٠) ط ٢

قال{ حب الحياة وكراهية الموت} وظهرت أكلة القصعة عند سقوط قرار الخلافة الإسلامية ، وبمجرد انتقاض عُروة الحُكم في دولة الخلافة الإسلامية ، وإسقاط القرار الحامي لهذه التركيبة الشرعية في الواقع العربي والإسلامي ؛

بدأ العمل على تتبع ما لحق بهذا النظام الإسلامي من تركيبات مذهبية وصوفية وحب آل البيت ، وما يتعلق بهم من مدارس وزوايا ومظاهر اجتماعية ، وحتى قبورهم ، وكتبهم وآثارهم وهلمّ جرا؛ والاستعاضة عنها بالبديل المسيَّس الحامي لقرار : (أكلة القصعة) في الجسم المتداعي ، والوقوف إلى جانبه سراً وعلانيةً لاجتثاث الموروثات الشرعية والوضعية وغرس المفاهيم الجديدة القادرة على حماية (أكلة القصعة) وفقهائها النفعيين ،

وكان لابد لهذا كله أن يتلفَّعْ بخمار العقيدة والديانة ونصرة الإسلام حيناً ، وحيناً على ضرورة حرص العقل المتطور الاستفادة من مظاهر الحضارة المادية ومد آثارها في العالم التقليدي المتخلِّف تحت مسمى الاستعمار اللغوي ،

وقد تم ذلك وعلى أفضل الوجوه . اهـ[1]

---

[1] المواجهة السافرة ص (٨٠ ــــ ٨١).

البَابُ الثَّالِث :

بابُ : سُنَّتَا المَوَاقِفِ وَالدَّلَالَـةَ

عَلَمِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

{سُنَّتَا المواقِفِ وَالدلالـةِ وعلاقَـتُهُمَا بِالرُّكْنِ الرَّابِع }

لما كان الركن الرابع من أركان الدين مُغيّباً ـ (أي المتروك تفصيله وتبويبه منذ الزمان الأول [1]) ـ عن الدراسة التحليلية في كتب علماء الأصول بقي الركن الرابع ومتفرعاته غائباً أيضاً عن العلماء الفحول ، ولهذا غاب في هذا الجانب دراسة السنن النبوية التي يتأصّل بها الركن الرابع كما تأصّل علم الأصول بالسنن القولية والفعلية والتقريرية ، حيث برز من ثمرات دراسة فقه التحولات المخصوص بتأصيل الركن الرابع من أركان الدين أنَّ هناك سُنَّتين هامتين هما رَكيزة الرباعيّة الرُّكنيّة عند الاستدلال : الأولى : سُنَّةُ المَوَاقِفِ : (سُنَّة الحال) [2].

حقيقة الموقف الذاتي للرَّسول ﷺ أو أحد خلفائه الراشدين فيما يلزم في البَتِّ الحاسم المؤدي بالضرورة إلى سلامة الأمر وحُسن النتائج في التصرف بما لم يُلزمهم النَّصُّ فيه التَّقَيُّدَ بأمرٍ مُعيَّنٍ .

الثانية : سُنَّةُ الدَّلَالَةِ :

وهي ضابِطٌ شرعيٌ في فقه التحولات يُحدِّدُ فِعلَ الشيءِ أو تركهُ ، باستقراءِ نَصٍّ قُرآنيٍّ أو حديثٍ نبويٍّ مُقَرِّراً ذلك أو مُشيراً إليه ضِمناً . ـ

---

[1] انظر إلى تفصيل معنى قوله الفقه المغيب في كتاب دوائر الإعادة ص (٤٢) .

[2] المقصود بسنة الحال : حقيقة الموقف الذاتي في باطن السلوك إيجاباً وسلباً ، فقد يُعيّن الرسول ﷺ أحدهم في ظاهر الحال ؛ لكنَّ النَّصَّ يُبرز حالاً آخر للحبيب ﷺ كما في قوله كما رواه البخاري في (باب المداراة مع الناس) : ((إنَّ شرَّ الناسِ مَنزِلةً عند الله من تركه الناسُ اتِّقاء فُحشِهِ)) ، قال أبو الدرداء : إنا لنبُشُّ في وجوه أقوامٍ وقلوبنا تلعنهم ، وهذا نموذج من نماذج سنن المواقف .دوائر الإعادة ص ٤٣

والعمل بـهـاتين الـسُّـنتين منحصِرٌ في فقـه التحولات ، ودراسـةُ تفاصيل هـذا العلمِ غيرُ مَخـدومـةٍ كما أشرنـا إلى ذلك ، مع أنهـا سُنّـةٌ من سُنن المصطفى ﷺ القولية والفعلية والتقريريـة [1]..

إذاً فسُنّـة المواقف هي : طريقةُ وسلوكُ وتصرفات المتبوع الأعظم وخلفائه ﷺ فيما يعامل بـه الموافق والمعارض من سعة الأخلاق وعدم الأخذ بالجريرة ، واتخاذ الموقف المناسب بحصانة الوحي والعصمة والأخلاق في رسول الله ﷺ، وحصانة الاجتهاد والتوفيق والسـند والعدالـة في الخلفـاء ، وهي أساس فقه الدعوة إلى الله .[2]

وهي أيضاً : إضافةٌ محمودة إن شاء الله على مـا قـرره العلـماء مـن تقسـيم السـنة الشريـفة عـلى صاحبها أفضل الصّلاة والتسليم إلى السنة القولية والسنة الفعلية والسنة التقريرية ، وأُضيفت إليهـا بعد الاستقراء التام لفقه التحولات والتتبع لعلامات الساعة سنتان :

١) ســـنة الدلالة .

٢) ســـنة المواقف .

وأيضاً سنة الدلالة : هي الضابط الشرعي الذي يحدد سـلامة فعـل الشيـء أو عدمـه ، بدلالـة نصية من القرآن والسنة ، مما لم يندرج تحت ضوابط السنة القولية والفعلية والتقريرية وتحتاج له الأمة أو الجماعة أو الفرد لسبب قائم أو مُلِحٍّ ، تحت مفهومٍ شرعي ثابتٍ من قوله ﷺ:
{ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده } الحـديث [3] ، ومـن ذلـك تعظيم الميلاد النبوي كمناسبة ، وكذلك الهجرة ، والإسراء والمعراج ، والاحتفال بهـا ، لمـا يـدل عـلى

---

[1] دوائـر الإعـادة ص (٤٢ ــ ٤٣) .

[2] الأسس والمنطلقات ص (٩٨) .

[3] أخرجه الطيالسي ، وأحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدارمي ، وأبو عوانة ، وابن حبان عن جرير، وتمام الحديث{ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا }

ذلك من نصوص الكتاب والسنة عن أخبارها وأحوالها ، والربط من خلال المناسبة بين النص القرآني والنبوي ، وبين الواقع .

ومن ذلك خدمة الديانة بالوسائل الحديثة وإدخال الأجهزة والإلكترونيات في خدمة الدعوة إلى الله وتعليم القرآن والسنة بما لم يسبق له مثيل .

وتدخل هذه الأمور أيضاً في مدلول (السنة الحسنة) ، وهي ما لم يندرج تحت مسمى السنن القولية والفعلية والتقريرية من المواقف والدلالات والأعمال الصالحات .[1]

إذاً فهي : لإثبات ما لم يكن على عهد رسول الله ، ولا على عهد صحابته من لاحق المستجدات ذات العلاقة بمدلول السنة وفحواها ، حيث أكثر المتأخرون الجدل فيها تحت هذه القاعدة المستحدثة :(هذا لم يكن على عهد رسول الله ، ولا على عهد صحابته) لنفي ما يقوم به بعض المسلمين من اجتماع على قراءة سيرة المصطفى ﷺ مثلاً ، أو زيارات للصالحين ، أو احتفال بالمناسبات الإسلامية أو غيرها من السنن والمستحدثات المنطوية تحت مفهوم البدعة الحسنة .

و مهمة سنة الدلالة إبراز العلاقة الشرعية بين الفعل المستحدث وبين أصول الشريعة الغراء من غير إفراط ولا تفريط.

{ وأما سنة المواقف } في ما تقرر من مواقف النبي ﷺ ومواقف أصحابه وخلفائه أمام مستجدات الفتن والتحولات و الأشراط والعلامات والمعلومة من قوله ﷺ { من أحيا سنتي (أي مواقفي) فله أجر مئة شهيد } .. ؛

وهذه السنة إن لم يقررها العلماء والسابقون بهذا المعنى فهي جزء من حقيقة الإسلام الذي قرره في هذه الأمة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام حيث أننا عند تتبع معنى الحديث { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء} لا نجد فيها أيدينا من المعرفة سنةً للنبي ﷺ وسنةً أُخرى للخلفاء الراشدين .

وإنما نجد سنة المصطفى ﷺ المعروفة بالسنة القولية والفعلية والتقريرية

---

[1] النبذة الصغرى ص (٢٢ ـــ ٢٣) .

إذن فمعنى سنة النبي وسنة الخلفاء هي المواقف أي مواقف النبي ﷺ ومواقف أصحابه وخلفائه : (الراشدين) من الرشد (المهديين) من الهداية إلى يوم الدين .[1]

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أقسام سُنن المواقف :

تنقسم سنن المواقف إلى قسمين :

١) سنةٌ نبويةٌ أبويةٌ ، وهي : سنة النبي ﷺ ومواقفه ، ومواقف خلفائه الراشدين المهديين إلى يوم الدين .

٢) سنةٌ أنويةٌ شيطانيةٌ ، وهي : سنةُ ومواقف الدجاجلة والكفار والمنافقين .

وتقابلها بالمعنى الشرعي ((البدعة السيئة)) ومحدثات الأمور ، وهي ما يجري من سنن ومواقف على أيدي أولئك الكفار والدجاجلة والمنافقين ويستن بها المسلمون بعلم أو بغير علم ، وفي ذلك يقول ﷺ : { من أحياء سنةً من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن ابتدع بدعةً فعُمل بها كان عليه أوزارُ من عمل بها لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئاً } [2]

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أنَّه يتأصّل بهذا المفهوم أن سُنة المواقف هي :

سُنّةُ التطبيق الأخلاقي في فقه الدعوة لمجموعِ السنن القولية والفعلية والتقريرية وما تفرّعَ عنها من اجتهاداتٍ في الأصول وفقه المذاهب ، وبهذا الفهم يكون فقه الدعوة وعاءاً جامعاً وضابطاً في فقه التحولات لسلوك علماء الأصول وعلماء المذهبية في

---

[1] إحياء لغة الإسلام العالمية (ص ٦٦ــ٦٧).

[2] صحيح لغيره ، الألباني ، صحيح ابن حبان (١٧٤) اهـ من الأسس والمنطلقات ص (١٠١) .

علاقتهم ببعضهم البعض ، وعلاقتهم بالمخالف والمعارض وعلاقتهم بتطبيق الشريعة في الشعوب ، فالشريعة قبل أن تكون قانوناً أو دستوراً لفرضِ نظامٍ شرعيٍّ وإقامةِ حدودٍ فهي مواقفُ دعويّةٌ لذاتٍ مُطهرةٍ ومعصومةٍ وسلوكٌ لقدوةٍ حَسَنَةٍ وانعكاساتٌ شرعيّةٌ لِوَحيٍ ربَّانيٍّ وسمُوٍّ إيمانيٍّ لا مجال فيها لاستفزازات الطبع أو تطويع نصوص الشرع ، قال فيه تعالى :

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ..

كما أن ((سنّة الدلالة)) المقررة أصالة فقه التحولات وسلامةً مُتَهَجِهِ الاستدلاليّ تَسُدُّ الثغرة التي فتحتها مدارس القبض والنقضِ في المرحلة ، والتي طوّعتِ النصوص لإحراج الأمة فيما لا يلزمُها الإحراجُ فيه ، فالقائلون : (هذا لم يكن على عهد رسول الله ﷺ أو لم يكن على عهد صحابته) يرونها استدلالاً على الجنوح والمخالفة لِما أصّلوه أو فهموه ، مع أن هذه العبارةَ لا أصل لها في الاستدلال بعد أن قرر العلماءُ في ثوابت الأصول أنَّ الاستدلال يكون بالسنة القولية والفعلية والتقريرية ، سواءً كان الفعل على عهد رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أو لم يكن .

فلَرُبَّ أمرٍ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم — وتأكدت صحة العملِ به — مَبنِيٌّ على السُّنن المُقَرَّرةِ .

ومن أجل هذا القيد الشرعي ظهر معنى ((سنة الدلالة)) في علم فقه التحولات كما سبقت الإشارة إلى تعريفها ، لِيؤكد شرعية العمل بما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد صحابته ما دام له دلالة من الكتاب والسنة إهـ[1].

---

[1] دوائر الإعادة ص (٥٢ — ٥٣) .

عــلمـي فقـه التحولات:

أنَّ فقه الموقف أو ما سُمّيَ بسُنَّـةِ المواقف في فقه التحولات يؤكد خطأ الطاعنين في سلامة موقف أهل البيت من قبول القرار ومشاركتهم فيه ؛

ولهذا اضطرَّ أُولئكَ الناقضون أن يخترعوا فقه التَّقِيَّـةِ للخروجِ من الأزمة التي اتهمـوا فيها الإمام عليّـاً ومن معه من أهل البيت بالسكوت .

والسكوت في فقه التحولات موقفٌ يُقتدى به ويُعتمد عليه إذا صدر مِن أئمة الهدى ، وهـو أسلم وأقوم من سلسلةِ الروايات والشناعات التي حِيكَت حول القرار ومتعلقاتِـهِ .

فأصحاب رسول الله ﷺ أوثق وأصدقُ من أن يرتدُّوا بعدَ رسول الله لمجرَّد الرغبـة في السلطان والحُكـم ، وهـذا التوثيـق لـيسَ اختراعـاً ولا عاطفـةً ولا انحيـازاً وإنـما تأيـيداً لنصوص القرآن والسنة في سلامة مواقـف واجتهـاد السـابقين إلى الإسـلام وكـذب وإفـك الناقضين حصانة الصحابة الأعلام[1].

---

[1] النمط الأوسط ص (١٠٠) .

الباب الرابع :

باب : عالمية الإسلام

عَلَمَنِي فِقهُ التحولات:

أنَّ عالمية الإسلام من صفتها الثباتُ وعدم التبدُّل والتبديل في القواعد والثوابت ، وإنما يعتريها التَّبدُّل في الوسائل والآليَّاتِ ، وإذا ما ضَعُفَ المسلمون عن معرفة وتطبيق ودراسة عالميتهم الشرعية فإنما يعود ذلك لسياسةِ الاستحواذ التي عَبَّر عنها القرآن بقوله : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ ؛

وعالميتنا الإسلامية قائمةٌ بالكتاب والسنة ، وعلمانية الكُفر وما تلاها قائمةٌ بالشرعيّة الدولية ، وهذا ما يجب تفصيله .

فهناك شرعيةٌ دوليةٌ قائمةٌ على سياسة التداولِ السياسيِّ للسلطةِ .﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وهنا في الإسلام شرعيةٌ عالميةٌ قائمةٌ على الوحي والرسالة ..﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وخلف الشرعية الدولية دجاجلةٌ ودجلٌ ودجَّالٌ ، ورِجالُ مالٍ وأعمالٍ ، منهم من يعلم بوظيفته ومنهم من لا يعلم شيئاً غير الاتّباع والاستتباع ، ومنهم في عالمنا الإسلامي والعربي قومٌ كُثُرٌ مُنَفِذّونَ ومُتَنَفِّذون ، سواءً في قرار الحكمِ أو في قرارِ العلمِ . ولهم شُؤونٌ وشأنٌ في عالمِ الشرعية الدوليةِ ، أما الشرعية العالمية (عالمية الإسلام) فكتابٌ وسُنَّةٌ وأخلاقٌ ، وحَمَلةٌ عُدُولٌ ، وشُعُوبٌ مُسْلِمَةٌ .

والعدول في عالمية الإسلام هم المعنيّون بقوله ﷺ: ((يحْمِلُ مِن هذا العِلمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُلُهُ ، ينفون عنه تحريفَ الغالين وانتحال المُبطلين ، وتَأويل الجاهلين)) .

وبين عولمةِ الأمم والشعوب وعالمية الإسلام في الأمم والشعوب أمورٌ مشتبهات ومتشابهات ، ((فمن اتَّقى الشُّبهات فقدِ استبرأ لِدِينِه وعِرضِه ، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يُوشِكُ أن يقع فيه)).

هكذا يُفسِّـر فقه التحولات مسيرة الحياةِ ، ولا نجد تفسيراً لمسيرة الحياة التاريخيةِ الشرعيّة في غيره سوى ما يُعرف في علمانيّة الأبالسةِ بالتفسير المادّيّ للتاريخ ، ولأن التحدي بين علمانية الأبالسة وعالمية الإسلام أزليُّ المعركة ؛ فالتاريخ الماديُّ المجرّدُ نتاجُ كُفرِ الشيطان ومنهجُ مدرسةِ المادية الكافرة الملحدةِ ،أما التاريخ الإنسانيُّ والإسلاميُّ والعربيُّ المرتبط بالديانةِ الشرعيةِ ــ ديانة النبوّةِ والأخلاقِ والعبادةِ ــ فثمرةٌ واعيةٌ من الانقيادِ والاستسلام للأحكام الشرعيةِ .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩].

إذاً والأمرُ كذلك وعالمية الإسلام تقرأُ التاريخ مرتبطاً بالديانةِ فأين موقعُ المستقبلِ بعدَ مرحلةِ العولمةِ المهيمنةِ اليومَ ؟

إنه أمرٌ يَصعُبُ الإفصاح عنه والتبيينُ ، ليس لأنه غيرُ معلومٍ وإنما لكونه يعودُ بنا إلى مقولةِ أبي هريرةَ رضي الله عنه : (فأما أَحَدُهما فَبَثَثْتُه ، وأما الآخرُ فلو بَثثته لَقُطِعَ مِنِّي هذا البُلعومُ) وقطعُ البلعوم إما بالسيف ، وإما بضرورة الصمت اختياراً أو إجباراً .

فهل كان أبو هريرة معذوراً في صمته ؟ وهل صمت أبو هريرة وحده أم صمت كبار الصحابة وأئمة آل البيت ؟ وإذا ما صَمَتوا في عهد العالميةِ الأولى والألوية الإسلامية معقودةٌ ؛ فعذرنا واضحٌ في صمتنا فيما يجبُ الصمتُ .. حيث لا عالمية للإسلام ولا ترى له ألويةً معقودةً .. وإنما هناك مجالٌ لإبرازِ ما يُمكِنُ إبرازه بالإجمال .

ومن هذا الإبراز ما قرَّرهُ فقه التحولات من موعوداتِ المستقبل وما أُطلقَ عليه في قاموس التعريفات : مرحلة الاستعمارِ ، والاستهتارِ ، والاستثمارِ التي نحن اليوم في أوجِ متناقضاتها : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ الروم٤: ٥

ومن مشيئته العليا بعدَ انقضاء أمره في عبادِه أن تدخل الأمةُ ــ وقد كادت ــ إلى مرحلة (الاستنفار) وهي مرحلةٌ مجهولةُ العدد الزمنيِّ ، إلا أنها تكادُ أن تُبرزَ مظاهرها اليوم

من خلال هَبَّات الشعوبِ المعبأةِ وغليانها ضدَّ بعض الأنظمة ورموز الجماعات والأحزاب ، وبنماذجَ متنوعةٍ من المتناقضاتِ وأسباب المنافسة والتحريشِ (دينيةً ودنيويةً) ، لتشيرَ إلى بدايةَ التحول من مرحلة الاستثمار إلى مرحلة الاستنفار المشارِ إليها سلفاً .

وهي المرحلة التي لا يعلم مقدارها إلا باريُّ الأرضِ والسماواتِ ، وهي المرحلة الموعودة في علامات الساعة باحتوائها على نهاية مرحلة العولمة واستثماراتها والدخول إلى (الاستنفار) وإثارة الشعوب حتى تبلغ فتنتها الشام ، وعندها تبدأ مرحلة (الصَّيْلَمِ) أو (الصَّيْلَمَةِ) ، والصيلم أو الصيلمة مأخوذة من معنى الحديث المروي عن المصطفى ﷺ : ((يكون في الأمة خمسٌ أي : من الفتن وذكرَ الأربع ــ ثم قال : وبقيَتْ واحدةٌ وهي الصَّيْلَمُ)) ثم قال الراوي : (وهي فيكم يا أهل الشام ، فإن أدركتها فإن استطعتَ أن تكون حجراً فكُنْهُ ولا تكن مع واحدٍ من الفريقين .. وإلا فاتخذ نفقاً في الأرض) وفي روايةٍ : فقلنا : أنت سمعتَ هذا من النبي ﷺ؟ قال : نعم ، والمقصود بقوله : (وهي فيكم يا أهل الشام) أنها فتنةٌ تبدأُ في موقعٍ آخر ثم تتسعُ حتى تبلغ الشام ، فعندها تُسمّى الصيلم .

ويؤيد ذلك ما أُثِرَ عن ابن مسعودٍ : (كُلُّ فتنةٍ شَوىً حتى تكون بالشام ، فإذا كانت بالشام فهي الصيلم وهي الظُّلمةُ) ومعنى الصَّيْلَمِ : الداهيةُ أو الكارثةُ التي تستأصل كل شيءٍ .

ولِتَلْيَها على مدىً مُعيَّنٍ مرحلة (الاستقرار) ، حتى تكون ، وتنقطع المرحلة المستقرةُ بعيسى عليه السلام وانتقاله إلى عالم ربه ، لتبدأ مرحلة (الانحدار) ثم (الانهيار) .. وسبحان مقلب الليل والنهار :﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ إهـ[1].

عَلَمَيِ فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ :

أنَّ الإسلام قضية ، وعلاقتنا الشرعية من خلاله أمرٌ ذو أهمية ؛

وهو بلا شك فوق مستوى العرقية والعصبية والسلالية والطائفية وفوق مستوى القومية ، ولكن الشيطان أبى وهو يعلم فائدة التفرقة والنظرة الجزئيةَ إلاّ أن يَطوي الجميع تحت مِعطفه ويُشغلهم بخدمة مبادئه ، ويستثمر فيهم طباعهم ليُرَوّضوا الإسلام

---

[1] دوائر الإعادة ص (٨١ ــ ٨٤) .

ومبادئه للتفرقة ، والمنازعة والتحريش والتشويش ، فهم ـ ولا فخر ـ بين صراع القومية والمذهبية والطائفية والقبلية والسلالية والطبقية والمناطقية والحزبية والفئوية وغيرها من وسائل التفرقة بين الشعوب.[1]

علامات فقه التحولات :

أن ما نلحظه في بعض بلاد العالم العربي والإسلامي من دمارٍ طائفي يهلك به المسلم المسلم لأمرٍ يُخْجِلُ ويوحي بالعجز والقزمية في عالم التكلات والتحالفات ..

إن الإسلام كعقيدة وديانة لا يدعو إلى ما يفتعله المسلمون ضدَّ بعضهم البعض ، بل ويَنْهَاهم عن ذلك ويُشَدد النكير عليهم ، ولكنا عند دراسة الأمر برويّة نجد الأمة قد فَلَت زِمَامُهَا من قبل ، وليس بيدها أمر سِلْمِها ولا أمر حَرْبِها ، بل ولا حتى أمر قرارها ولا أمر استقرارها ، بل لم يعد قرار السلم عند وجوبه بيد حاكمٍ مسلم ، ولا قرار الحرب عند الحاجة إليها بيد مالك قرار في كافة الأوطان والديار ..

لقد انتقل القرار إلى مؤسسات عالمية التوجّه والهوية وبِيَدِها وبِيَدِ من يُحرِّكها مصير الشعوب وهندسة استقرارها ؛

وأما (المسلمون) على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم فهم طرف مُفَعَّل يُسْهِمُون في إثارة الصراع لمصلحة المستثمرين ، وحدُّهم الأعلى في الوعي والفقه والمواقف لا يتعدى التَّعصُّب على ما اختلف عليه السابقون ، وقد ورثوا هذا الاختلاف والتَّعصُّب فَهُمْ منه وإليه وعليه ...

إن كثيراً من مُسلِمي المرحلة ..إنما يعملون من خلال التعصُّب المذهبي على إنجاز مشاريع الشيطان في أوطانهم ويُسيحون الدَّم الحرام : لينالوا به مساحةً من السلطان والجاه في الدنيا مقابل مساحة من العذاب الأليم يوم القيامة ، وقد أكَّد الصادق المصدوق ﷺ هذه الظاهرة بقوله : ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا : يا رسول الله : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : كان حريصاً على قتل صاحبه))؛ فالحرص وحده سبب في دخول النار ، لأنه لونٌ من ألوان التحريش الشيطاني بين المصلين .

---

[1] / رسالة شخصية ص (١٤) .

وإذا ما تحرر المسلمون من رُكام العداوة في المذهبية ، وارتقوا إلى مستوى المعاملة بالقواسم المشتركة : فإنهم سيكسبون النصر المرتقب إن آجلاً وإن عاجلاً ..[1]

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أن الإسلام الحق بكافـة تشكيلاته الأولى هو مُجَرَّد قِيَم ونصوص وسلوك أفراد ..

والإسلام البديل بكافـة تشكيلاته الجديدة : أزمات وتفرقـة وصراع وخلاف ونزاع يُعبِّر عـن لسـان المرحلة وناطق رموزها .. ولبّ الإشكال ليس في إسلام التجارب ولا في الإسـلام البـديل ، ولكـن الإشكال في المسلمين أنفسهم وهم يُروِّجـون البـدائل ..ويغرسـون الرذائـل ..ويُحـاربون الفضـائل ..ويُشَيِّدون مؤسسات الديانة والتديُّن مُفرّغـة المحتوى ..شديدة الالتواء قائمـةً من ألِفهـا إلى يائهـا لتطويع الدين وأصوله لمفهومي: {أَنَاْ خَيْرٌ} و(فَرِّق تَـسُد).

إن مفهوم الشيطان التاريخي {أَنَاْ خَيْرٌ} هو المفهوم السائد والواعي الرائـد لكثـير مـن الـدعوات الإسلامية السائدة والواعدة ..ومفهوم (فَرِّق تَـسُد) هو الاستراتيجية التي ينزع كل فريـق مـن هـذه الفِرَق على تأصيلها في حربه المصيريـة مع أخيه المسلم مذهبياً وعقائدياً وسلالياً وحزبياً واجتماعياً .. والواقع العربي والإسلامي خير شاهدٍ على ما نتحدث به ونقرره هنا وهناك .

والمرحلة القادمة وكذلك إفرازات المرحلة المعاصرة تشـير بوضـوح إلى (توسـع دائـرة الصـراع بـين المسلمين تحت هذين المبدأين) ولا غيرهما البتة ..[2]

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

إن أمامنا في قراءة فقه التحولات اتجاهين :

الأول : اشتغال بمسألة امتلاك القرار والمنازعـة في شأنه جيلاً بعد جيل مع صـعوبة البنـاء الشرـعي للعلم ونشر الدعوة إلى الله بين الناس لاستمرار التوتر والصراع سواءً في تفسـير مواقـف الصحابـة والمنازعـة في مسألة الخلافة أو في بقيـة مخرجـات المذهبيـة المخالفـة مـنهج أهـل السـنة والجماعــة ، والتعصّب عندنا .

---

[1] إهـ من كتاب : المواجـهةُ السافرة ط١لعام ١٤٢٨هـ ص[٥٠ـ٥٢] .

[2] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م ص [١٧١ــ ١٧٢] .

الثاني : الاقتداء بمن تجاوز مسألة القرار للمشاركـة في بناء الاستقرار بالعلم والعمل والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع عدم ممالأة الظالم في ظلمه ، ولا استتباع المندفع في إهراق دماء النـاس ودَمِـه ؛

وربط الجميع بمنهج السلامة من كافـة الوجـوه ، وإشاعــة مَــبْدأ القواسـم المشتركــة في العمـل بثوابت الإسلام ، وحمل المُخَالِف فيما قد يُختلف عليه بدليل إمـامه ..[1]

عَـلَـمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتِ:

أن بعض الذين حملوا المنهج الحزبي المتأسلم ضاق برنامجهم المرحلي ليعود على شعوب الأوطان أنفسهم بالصراع الاعتقادي ،

بحكم ارتباط المنهج ذاته بمفهوم وضعي ابتدعه بعض المنتمين إلى الإسـلام باسـم الإسـلام ، فعـاد هذا البرنامج المرحلي باعتباره فكرة ذاتيـة على الرعايا والشعوب بالويل والبلاء ؛

بل صار جزءاً من مشروع التحريش الذي أخبر عنه سيد الملة في جزيرة العرب ، وهـو مشـروع الدم والقتل والبتر والإقصاء ، والاجتثاث ، والتشريك ، والتبديع ، ومشروع الأنويـة القائلـة :{ أنـا خيرٌ منه } ..؛

ولأنه مشروعٌ شيطاني في بعض وسائله فقد تبناه مهندسـو التحـريش العـالمي ليكوِّنـوا منـه برنـامج الإسلام المرحلي المسيَّس ؛

ولهذا فإن هؤلاء المهندسين بعد استثمارهم لهذا البرنامج وتحويله من فكرٍ مدعوم إلى فكرٍ يجري في دماء الشعوب وعروق الأمم وأسلوب تدمير داخـلي في المسـلمين : رفعـوا غطـاء الـدعم وتأييـد السياسـة ، فتحول بين عشيـة وضحاها وعـلى ألســنة المهندسـين لـه إلى برنـامج إرهـاب وتطـرف وضلاله[2] .

---

[1] إهـ من كتاب : المواجـهةُ السافرةط١لعام ١٤٢٨هـ ص[١١٧ـ١١٨] .

[2] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص[١٢٥] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتِ:

أن منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ونشر الإسلام في العالم ؛ لابد من انتهاجها ثلاثة ثوابت مع كل مرحلة وزمن والثوابت هي :

١) كتاب الله .

٢) سنة رسول الله ﷺ .

٣) الأخلاق النبوية .

ولهذا فإن المعادل الثالث وهي ما عُبر عنها (بأخلاق النبوة) تُعد عاملاً مهماً في إنجاح الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فدعوة الكتاب والسنة من غير أخلاق جنوح وتعدٍ وتطرف ؛

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتِ:

أن ثوابت الدعوة إلى الله هي :

[الكتاب أي :القرآن ـ الحكُم أي: السنة ـ النبوّة أي :الأخلاق] ، وهي في أوعيتها المُسندةِ صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكان ، خصوصاً إذا ما أُعيدت صياغةُ الوعي الإسلاميِّ في الأجيال المُسلمة على الثوابتِ الأساسية من جهةٍ ، ويُضاف إليها ما نحتاجه من روحِ التجديد في الوسائلِ والكيفيات ، ثم ترسيخها بشروطها في المنهج التعليميِّ ، وفي مُخرجات الثقافةِ والإعلام والتركيز عليها في حياة الأُسرة.. فهي بلا شكٍّ كفيلةٌ بإعادة التوازن المطلوب أمام الطوفان الحضاريِّ المُخِلِّ ، والفكر العلماني والعلمني والعولميِّ الماسخ ، بل ويُمكن بها إحداثُ تغيُّرٍ إيجابيٍّ غيرِ مسبوق ..[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتِ:

إنَّ مُهمة العلماء الربانيين حملة مشروع العالمية الشرعية في كل عصرٍ هو :

إنقاذ ما يُمكن إنقاذه من طوفان العصبيات والانحدارات ، وكأن هذا الأمر يقتضي اتخاذ المواقف العملية للمحافظة على أعلى ما يجب المحافظة عليه قياماً بالواجب

[1] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١العام ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٤ م ص [٦١] .

والتزاماً للنص الشرعي ، وهذا هو محور قراءتنا للعالمية الشرعيَّة المرتبطة بالمدلول القرآني : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٩]

وكفر هؤلاء يُشير إلى تخليهم عن ثوابت عالمية الشروط الثلاثة المترابطة ، والذين وكلهم الله بها عند تخلّي الآخرين ﴿ لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ أي : بهذه الشروط الشرعية مبدلين ولا مُحَرّفين ، وفي لفظة الكفر المنصوص عليه هنا في الآية يحمل المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي .

أما اللغوي فهو بمعنى الستر وإخفاء الحقيقة ، وأما الاصطلاحي فهو عقيدة الشيطان : ﴿ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾ ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحشر: ١٦،

والقوم الذين نحن بصدد إبراز عالميتهم الشرعية لأبنائهم وأتباعهم ــــ ولمن رغب التعرف على الوارثين العدول ــ هم المعنيون بالآية الكريمة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ ﴾ وهم الجامعون لثوابتها الثلاثة ، وهم المحافظون عليها من داء الأُمم حالقة الدين [١].

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي مجموع في قوله تعالى :

{أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ }[الأنعام٨٩] والإشارة واضحة كل الوضوح حول المخاطبين بهذا المبدأ الشرعي وحول الكافرين به ، وحول المتمسكين بهذا المبدأ عند تخلي الآخرين عنه ، أو شعورهم بعدم ملائمته للمألوف في طباعهم وحياتهم .

---

[١] رسالة شخصية ص (٥١ ــ ٥٢) .

ويرتبط تعريف الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي بأصول القراءة النصية لكتاب الله وسنة نبيّه مع التحلّي بأخلاق النبوة ، وهي الضابط المعادل في كافة المراحل لحمَلَة الحقِّ الموروث والناطقين باسمه ، الموصوفين في النَّصِّ النبوي بالعدول في قوله ﷺ : [[يرثُ هذا العلم ـ وفي رواية : يرث هذا الدين ـ من كل خلفٍ عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ـ أهل الإفراط ـ وانتحال المبطلين ـ أهل التفريط ـ وتأويل الجاهلين ـ أتباع الأفكار التوليفية : علمانية علمنية عولمية]].

والقارئون للكتاب والسنة والمطبِّقون لحدودها في مجتمعاتهم قومٌ كُثر ، باعتبار هذه الأحكام سوطاً وسيفاً يمنحهم الإذن في إرهاب الخصم وإذلال المخالف ، ولكن الشرط الشرعي لهؤلاء القراء وغيرهم : وجود المعادل الثالث بعد الكتاب والسنة ، وهي أخلاق النبوة ، وبها تكتمل حراسة المنهج السليم الواقي من مضلات الفتن ، بصرف النظر عن نوع المذهب والطائفة والعِرق والجماعة والبلد ، وغيرها من الانتماءات التي تصبح عند انعدام هذه الشروط عودةً إلى الجاهلية مرةً أخرى[1].

عَلَّمَني فِقْهُ التَّحَوّلات :

إلى أن أتعامل مع الناس كلهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم بالقواسم المشتركة التي تجمع ولا تفرق ..

فإن من واجب العلماء والعقلاء من الحكام ، ومنفذي قرار العلم والديانة أن يقدّروا للأمانة قدرها ، فيعملوا ما استطاعوا على إعادة لُحمة العلاقات الإيمانية بين المذاهب والجماعات على أساس مفهوم (القواسم المشتركة) ويجعلوا قدوتهم في إقامة هذا المبدأ (مواقف صاحب السنة ❊) حيث لا يُقتدى إلا به ولا يُهتدى إلا بهديه ؛

وكما يحتج المذهبيون وعلماء الفئات والجماعات (بالكتاب والسنة) كدليل على فساد منهجٍ أو بدعية سلوك عند الآخر ، فإن من واجبهم الشرعي أن يقتدوا بصاحب الكتاب والسنة في حُسن

[1] إهـ من المرصد النبوي ج ٢ ص [٥٠ ـ ٥١] ط ١ لعام ١٤٣٦هـ

أخلاقه ومعاملته مع أضداده وأعدائه فضلاً عن الاقتداء به في معاملته مع من في حظيرة الإسلام ذاتها ، وقد قال الله في كتابه ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ ؛

لقد طغى التعصب على المسلمين في أُخريات الزمان ، وانتقل بهم إلى نوعٍ من الأنانية وحب الذات والانقطاع عند المفاهيم الخاصة ، التي نشأت وتكوَّنت بفعل الظروف التاريخية ، والظروف المرحلية ، وخاصةً مرحلة الغُثاء التي عبّر عنها من لا ينطق عن الهوى ﷺ: بـ (داء الأمم) التي قال عنها ﷺ : { دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم }[1] ؛

إذاً فالقواسم المشتركة تعني :

نقاط الالتقاء بين المسلم والمسلم مهما اختلفت المشارب والمذاهب والمشارب ، والمذاهب : موروثات تُسهِم في تطبيق الشريعة وفق الاجتهاد المذهبي ما بين :ــ

اعتدال أو إفراط أو تفريط

أما القواسم المشتركة بين المسلمين عُموماً وأهل المذاهب المتنوعة خصوصاً، والقواسم المشتركة لا تدعوا إلى تغلّب مذهب على آخر ، ولا تُلزِم أحداً بالانطواء في مذهب غيره ، وإنما تضمن حقوق المعاملة الشرعية للمسلمين في دائرة الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، وتقريب النظر في الثوابت العلياء أ هـ[2].

---

[1] رواه أحمد في المسند .

[2] المواجهة السافرة ص (٢٨)

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ :

أن ((القواسم الشرعية المشتركة)) تختلف تماماً مع مفهوم ((المصالح المشتركة))؛

فالقواسم هي القضايا الواحدة التي يختلف في تفسيرها وفهمها عالمٌ عن عالم آخر ؛ ولكن الأساس والنهج والمصير واحد ، وأما المصالح فهي جملة المعاملات الدنيوية التي يشترك الكل في حاجتها والاستفادة منها ، فضابطها يختلف عن الضابط الأول للقواسم المشتركة ، لأن القواسم المشتركة لا تكون إلا بين أهل الملة الواحدة ، وأما المصالح المشتركة فتشمل الملة الواحدة وغيرها من الملل الأخرى ؛

والأصل في الالتقاء على القواسم : الاعتراف بالآخر ومشروعية وجوده في الحياة أو الديانة أو الأهداف والغايات والمصالح ، ثم تضيق مساحة الاختلاف وما يترتب على الاختلاف من انفعالات وتعصب مَقيت وإضرار يُفشل نماذج العلاقة بين الناس ، ويعطل وظائف الأسرة والأمة والمجتمع ، ويحول الجهود من البناء إلى الهدم ، ومن المحبة إلى العداوة ، ومن الالتقاء إلى الافتراق ومن الموافقة إلى المخالفة ومن التعاون إلى التنافر ..وهكذا

وأعتقد أن غالب الصراع القائم في المذاهب والجماعات إنما هو صراع قائم على خطأ في الفهم أدى إلى التعصب الأعمى المدعوم بالطبع ، فصار التعصب موروثاً وغير مخترق بالوعي ، وتمام العقل مربوطاً بالشرع ، ومن هنا حلَّ البلاء ، فالقواسم المشتركة قاعدة العمل لعودة البناء العالمي لمفهوم السلام والرحمة والمحبة[١] .

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ :

إن حل معضلة الاختلاف المذهبي والطائفي والحزبي وغيرها من نماذج الفِعل وردِّ الفعل قائمٌ على استيعاب مفهوم القاسم المشترك . وقواسم الأمة المشتركة كثيرة جداً ، وربما كانت مسائل الاختلاف محصورة في نِسَبٍ مُعيّنة ، والغالب في أمور الديانة وتطبيقاتها هي قواسمها المشتركة .

---

[١] منهج السلامة الواعي ص (١٤١ ــ ١٤٢) .

ونحن منذ أن عرفنا مدركات القراءة الشرعية والجماعات والفئات وحتى المذاهب الإسلامية وجدناها لا تنصف من نفسها عند النظر للمنافس والمعارض ، وإنما تَحْمِل الأتباعَ والأشياعَ على التعصُّب المُفضي إلى الذم ثم إلى الدم في كثير من الأحوال ، وهذا ما يدور على مسرح الحياة إلى اليوم.

والسبب في ذلك ارتباط هذه المواقف بخطوات الشيطان ، وهو المخلوق الولوع بطرفي الافراط والتفريط في كل شيء ، وبهذا المبدأ المخيف يخترق الشيطان قلوب البشرية كلها بمختلف أنواعها وأجناسها ومذاهبها .

ويختلط الأمر على الغالبية من الناس ، فيعتقدون أن مواقفهم حِرصٌ على الحق وسلامة له ، ولكنها في حقيقة الأمر دافعٌ نفسي شيطاني لِشَقِّ العصا بين فريقين أو جماعتين أو مذهبين أو رؤيتين ، أو حتى فردين تباينت موقفهما ، قال تعالى مُبيِّناً مفهوم التنافس : {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[المائدة٣٠].

فالنفس لها سُلْطة على العقل والجوارح ، وبهذه السلطة يتدخل الوسواس الشيطاني لتأكيد الفعل وتنفيذه .

وعلى هذه القاعدة المَخْفيَّة قُتلت الشعوب وقامت الحروب وانتُهِبَت الثروات وضاعت الأوقات في البحث عن المخارج والحلول ..؛

ولا مخرج ولا حل إلا بمجانبة سياسة الخطوات :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[البقرة١٦٨].[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن الطريق الأصوب للجميع أن ينتهجوا قواعد عملية شرعية ومنهج واضح يتبعه كل من يرغب في سلامة الواقع والنهضة بالأمة ، ومن هذه القواعد خمسة مطالب .

المطلب الأول : ــــ أن المسلمين أولاً هم بحاجة إلى معرفة الحق وإلى فهم فقه التحولات ، حيث يخرج المرء بعد قراءة هذا العلم على صفة الاعتدال الواعي بخريطة الطريق ويترجح لديه مفهوم

[1] إهـ من المرصد النبوي ج ٢ ص [٥١ ـ ٥٢] ط ١ لعام ١٤٣٦هـ

الرسالة في وصف (آخر الزمان) وموقف المسلم العاقل من دوران الزجاجة بعد معرفته عوامل دورانها ..

المطلب الثاني : ــ تحتاج الأمة لدعوة الوسطية الشرعيّة والاعتدال الواعي في كافة الشؤون.

المطلب الثالث : ــ أن يبرز مبدأ القواسم المشتركة بعد أن نخرها الاختلاف والصراع بكل نماذجه وصوره ، والقواسم المشتركة في الشريعة أكثر وجوداً من مسائل الاختلاف .

ومن نماذج الأخذ بالقواسم المشتركة الارتقاء إلى القاسم المشترك بين الأمة وهو رسول الله ﷺ، ومن لطيف كلامه في هذا المعنى { إنما أنا قاسمٌ } وللقواسم نماذج عديدة ، ومنها ما نحن بصدده فهو ﷺ (مرجعية الاقتداء والاهتداء) وبه أمرت الأمة أن تقتدي وتهتدي ، والاهتداء به في أمر جمع الكلمة أهم بكثير من الاهتداء التعبدي مع التفرقة والمنازعة وقد قال الله في كتابه : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾.

المطلب الرابع :ـ بذل النصح من أجل الله ومن غير تعصب ولا غضب ولا انفعال فإن في النصح دوام العافية بين الأمة بشرط التجرد عن المصالح الذاتية والسياسية .

المطلب الخامس : ـ الدعوة الصحيحة من العلماء والدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة إلى كافة الشرائح الاجتماعية في هذه الأمة للعود الصادق إلى دين النبي محمد ﷺ وهو الدّين الخالص الذي لا يفرق بين الشعوب ولا يسيِّس القضايا ولا يفعِّل الصراع ، وإنما يحفظ لذي النسب نسبه ولذي الشرف شرفه ولذي القدر قدره والكل يعمل في محيط حياته بالتقوى والأمانة .. ليبرز للمتقي والأمين القدر المرفوع عن رب العالمين :﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[1]

علمني فقه التحولات:

أن المثلث المدموج له دورٌ في بناء جيل الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي ؛

وأن من أهم شروط ترتيب الشعوب الاعتناء بالبناء التعليمي والتربوي والدعوي ، سواءً ضمن المؤسسات الرسمية التي تهيئ ذلك أو ضمن المؤسسات الشعبية ذات العلاقة بالمنهج الأبوي

---

[1] أ هـ باختصار وتصرف من كتاب الزوبعة العاصفة ص (١٧٩ ــ ١٨٠)

المسند ، وقد أدت هذه المدارس الشعبية عبر تأريخ الأمة دورها الأبوي بتماسك ٍ وثقةٍ ، وعاد عائدها على الأوطان بالسلام والخير والأدب والاطمئنان في فترةٍ محدودةٍ ومعينة ، قبل سقوط القرار وبعده بقليل قبل شمول مرحلة التطبيع الاستعماري ،

ولأجل أن يتعرف التربويون المعاصرون على أُسس البناء الشرعي (لإنسان الوسطية والاعتدال المشروع) ..عليهم أن ينظروا في أُسس وثوابت العمليات التعليمية والتربوية التي نُشّىء عليها جيل المسلمين عبر تأريخ المدرسة الأبوية الشرعية إنه ((المثلث المدموج)) ((التربية + التعليم + الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة))

وقد كانت غالب مدارس الإسلام في العالمين العربي والإسلامي على هذا المنهج الثلاثي ، ما سوى القلة القليلة من بعض مدارس الشذوذ .أ هـ

والمثلث المدموج المشار إليه هنا : يمكن به إعادة ترتيب الجيل ، بشرط المعلّم والمربي والداعي المُخلص المتخذ من هذه العمليات قضيةً مصيرية وليست مجرد وظيفة حكومية حيث يمكن نجاح المنهج الثلاثي بكونه قضية ومصير يتبناه المعلّم والمربي والداعي لإحداث بناءٍ شرعي في نفس الملتقى يعرف به وظائفه الأزلية في الحياة وما بعد الحياة .والأمر الآخر في إنجاح هذا المنهج الثلاثي تحييد العمليات التعليمية والتربوية والدعوية عن (التسيس الحزبي والفئوي) مع ترسيخ حبِّ الوطن والدفاع عن المبادئ الإيمانية العلياء ، دون الولوج في الصراعات الحزبية ، والتيارية المتنازعة في الواقع المعاصر .

ومثل هذا التحييد لا يمنع الشباب بعد مرحلة التَّخَرُج من ممارسة العمل السياسي والفئوي الواعي الخلاَّق ، والأمر الضابط لهذا التحييد: هو إعداد المنهج الملائم لمثل هذه الرؤية ، وتجهيز المدرس المسؤول عن تنفيذ المنهجية العلمية التربوية بقناعةٍ وإدراك . ا هـ[1]

---

[1] باختصار من إحياء لغة الإسلام العالمية ص (٨٢)

ومنهجية الدعوة إلى الله ترتكز على عاملين أساسيين :

١ـــ فقه الدعوة : الكتاب والسنة بالسند المتصل .

٢ ـــ فقه الداعي : النبوة ـــ أي الأخلاق النبوية ـــ والاستقامة . اهـ[١]

عَـلْـمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن هناك تدرجٌ مـرحلي في تدريس ((المثلث المدموج)) :

نتناول هذه المراحل بثوابت أولية نضع من خلالها أسس الرؤيـة المبينـة مهـمات المرحلـة إجمالياً ثـم يمكن أن يعود الباحث أو الراغب لمعرفة تفصيليات العملية المناسبة للمرحلـة مـن خـلال المراجـع والكتب المهتمة بالموضوع لاستخدام المادة التعليمية والتربوية أو الدعوية المناسبة

أ- المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل التمييز وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين :

١ـ مرحلة اختيار الزوجة وتأسيس الأسرة .

٢ـ مرحلة ما بعد الولادة إلى سن التمييز .

وتكاد مهمات هذه المرحلة بقسميها تخص الأب والأم في وضع الأسس الشرعية الأولى لمفهـوم بنـاء الأسرة وتربية الأبناء وإشادة الفرد الصالح في المجتمع من وجهة نظر الإسلام وقـد تركنـا التفصـيل فيها لعلاقتها المباشرة بالأب والأم ..في الحضن الأول (المنزل) .

ب – المرحلة الثانية : (٥ – ٧) :

يبدأ الاهتمام بتدريس المثلث المدموج من سن التمييز ، وهو ما يعرف بسنّ التكليف الطوعي ، وخاصة في عصرنا الراهن حيث يغفل (المنـزل) عن أداء وظائفه في التربية الشرعية..

وسنّ (التكليف الطوعي) غالباً يكون ما بين (الخامسة والسابعة) وشرطه أن يحسـن الطفـل عمليات الطهارة والوضوء والصَّلاة في الحدّ الفرضي الواجب ، ويبدأ (الطفل) تعلم هذه العمليات في ((المعلامَة)) وهي أول السلم المعرفي في (المثلث المدموج) وغالب معلوماتها تتلقى ((بالتلقين

---

[١] الأسس والمنطلقات ص (٩٢)

)) أو ((بالممارسة)) النظرية.. أو باستخدام ((الوسائل)) المساعدة على الإيضاح .. وتعتبر هذه المرحلة تمهيداً للمرحلة الثانية من التعليم..

المرحلة الثالثة: (٧ – ١٠) :

وتسمى مرحلة الأمر والتوجيه من (٧ – ١٠) ، وتبدأ من السابعة حتى العاشرة من العمر.. وهي المرحلة التي تنشأ فيها أحاسيس الطفل، وتنمو قدراته الأولى.. وفيها يقول المعلم الأول ﷺ: ((مُروا أولادكم بالصَّلاةِ لسبعٍ ، واضرِبُوهم على تَركِها لعَشرٍ ، وفرِّقوا بينهم في المَضاجِعِ)) ، ويبدأ في هذه المرحلة الانتقال من (المعلامة) إلى المدرسة الأولى للتعليم والتربية..

المرحلة الثالثة: مرحلة المحاسبة والعقاب الأولي:

وتبدأ من سن العاشرة حتى سن البلوغ .. وهي أحرج المراحل في التنشئة وصقل المواهب ، وإدخال المعلومات ، وتوجيه الغرائز ، وفيها يضع ((المعلم الأول)) ﷺ العقاب والمحاسبة ، وأخذ الحيطة والحذر في تربية المرحلة.. بشرط المربي والموجه الواعي لمفهوم التربية المذكورة..

ويضع (المعلم الأول) ﷺ تبعة النجاح والفشل على الأبوين .. وهما (الثلاثي المسؤول) الثلاثي المسئول باعتبار (الأب والأم ثنائيا مشتركا (الأب والأم) فهما في معنى الأبوة الشرعية مدرسة واحده ... والثاني هو المعلم الذي يتلقى عنها .. وحتى لو تعدد المعلم فالمعنى الأبوي واحد الهدف والغاية واحدة .

الأب	الأم	المعلم

وفي الحديث الشريف إشارة واضحة لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : ((كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ على الفِطرة فأبَواه يهودانه أو ينصّرانه أو يُمجِّسانه)) وهذا الثالوث الكافر، هو دمار الفطرة :

اليَهوديّة ،	النَصرانيّة ،	الوَثنيّة

ويترافق الخوف من هذا الثالوث المحذر منه المدمر للفطرة منذ عهد الصِّبَا كما هو مشار إليه من عهد الرسالة ؛

وفيه ملحظ واضح لخطورة الثالوث على (الأبناء والبنات) في سن ما قبل المراهقة ، وهو إشارة خطيرة عن مستقبل الزمان حيث (تدخل الوسائل الإعلامية) للاستحواذ على (الأطفال) ، وتسهم

في تشكيل مفاهيمهم وعواطفهم وغرائزهم وفق التسييس الثلاثي العالمي .. (اليهودية ، النصرانية ، الوثنية) .

وفي هذه المرحلة يجب أن ترتفع درجة التكثيف للمواد العلمية وخاصة المحفوظات من كافة العلوم المناسبة لسن الطفل وقدراته..

المرحلة الرابعة: مرحلة البلوغ والمراهقة (سنّ التكليف الشرعي):

وتبدأ في الغالب ما بين الرابعة عشر والخامسة عشر ، وقد يبلغ بعض البنيين والبنات قبل هذا ولكنها حالات نادرة..

وفي هذه المرحلة يجب التركيز على (الشباب) ذكوراً وإناثاً أكثر من ذي قبل.. حيث تغزو العواطف والعقول ثواغر البلوغ العمري ، وعوامل النضج الجسدي ، مرافقة لما يجب من التوجيه الشرعي لمفهوم التكليف ..وفيها تبرز آثار التوجيه والإلزام الأبوي على المراهق .. فيتقولب وفق رغبات (الأبوة) وتوجيهاتها الشرعية .. وفيها أيضا يحصل الجنوح والتأثر بالضرب وإثارة الغرائز عند انعدام التوجيه والإلزام الشرعي..

وهذه هي المرحلة التي يعبر عنها بالمثل العربي (الشباب شعبة من الجنون) ولأن الجنون كما يقولون (فنون) فالطاقات الكامنة في نفوس الشباب تحتاج في هذه المرحلة بالذات إلى حسن توجيه وترتيب ووسائل إفراغ واعي لمحتويات الطاقات الشبابية ذكوراً وإناثا.. إ ه[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

مشروع الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وقواعدها :

لما كنا في عصرنا على مفترق الطُرُق ، والمسيرة حرجةٌ للغاية ، وغالب العقول قد أُعيد ترتيبها وفق العرض والطلب ، بل صارت مجرّد آلات لتنفيذ مسيرة الآلية الدجالية ، ولـمّا قلّ النصير والناصح ، وفُهِمَ الدين الإسلامي كجزء من مَشروع

[1] من بحث المثلث المدموج لسيدي الحبيب ص ٣٧ ــ ٣٩

الـدجل والـدجاجـلة يُؤدي الغرض المرجو منه في بـرامج الاستسـلام ، ويخـدّر الشـعوب المستسلـمة بوسـائط الإعلام وحملـة الأقلام ، لما كان الأمـر كذلك ..

آمـنَّـا يقيناً أن صـورة الحق البلجـة لا تُعرف ولـن تُعرف إلا بـدراسـة ما جـاء عـن الصادق المصدوق وهـو يبرمج للإنسـانيـة جمعاء مشـروعـه الإيجـابي عنـد بـروز علامـات الساعـة ، وأن هذا المشـروع وحده كفيل بقيادة الأمـة إلى بَـر السلامـة .

إنـه مشـروع الدعـوة إلى الله بالحكمـة والموعـظـة الحسـنة واتخاذ منهج الدعوة إلى الله أصـلاً من أصـول المنطلقـات في حياة الناس كلهـا ، عـلى أن يوضـع كـل مـن النـاس فـيما يُحسـنه ويعلـمه :((والكلـمةُ الـطَّـيّـبةُ صَـدَقَـةٌ)) .

ضـابط هذه الـدعوة الاعتـدال وتـرك الخصـومة والجـدال ، والابـتعاد الكُـلّي عـن الأنـانيـة والانفعال ، شـاهـده قـول صاحب المشـروع النبوي : ((لا تغضب .. لا تغضـب .. لا تغضب)) .

وقـاعـدة هـذا السلـوك والانضباط قـوله ﷺ : ((اتق الله حيثمـا كُنـتَ ، واتبـعِ السَّـيِّـئـةَ الحَـسَـنةَ تَمْـحُـهـا وخـالق الناس بِخُـلُقٍ حَسنٍ)) ، وهـذا هـو منهج السـلامـة .

والآخـذ من هذه الأمـة بـهذا المـبدأ عليه أن يعتمد القـواعـد التاليـة :

١ ــ حُسـن الظن بلله وحُسن الظن بعباد الله ، أي : لا ينطلق في أمـر الـدعوة مـن خـلال سـوء الظن بالحقّ سبحانه وسـوء الظن بالخليقـة ، بل يُحبّب الله إلى الناس ويُحبّب النـاس إلى الله .

٢ ــ أن يبدأ بنفسه فَيُصلِحها ، وصلاحها قائمٌ على أسس هامة مَبدؤها التوبة النصوح من كل ذنبٍ ظاهر وباطن قال تعالى : ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٠

فترك الإثم ظاهراً وتركه باطناً قوةٌ في الذّاتِ ومددٌ من الله في كل الحالات ، وقوةٌ في اللسان وثبات في القلب ، وتيسير السالك والداعي لأسباب القبول لدى الناس .

والمقصود هنا بالترك للإثمِ تصفية القلب عن الرعونات البشرية ، وإزاحة آثار الغِشّ والحقد والحسد ، وهي ما تسمى بسلامة الصدر ، وهو مطلب عظيم في التزكية الربانية والتربية الرحمانية ، وفيها يقول المولى عن شرف النجاة يوم القيامة : ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨ــ٨٩]

وهذه مرتبة تربوية عالية لا تأتي إلا بالانطواء في الشيوخ المربين للقلوب ،

والانطواء هو : قبول إماتة النفس بالتزكية رغبةً في بروز سرها الباطني قال تعالى :

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ الشمس: ٧ ـ ٩]

٣ ــ أن يُخلص في شؤونه لله تعالى مُتدرّجاً في ذلك بالنية الصالحة ، والاعتراف لله بالخشوع والخضوع والتذلل ، وطلب المغفرة في الصلاة والسجود ، والدعاء لنفسه بالعون والثبات والتسديد مرةً بعد مرة ، فينقبس في قلبه نور الإخلاص ، وهو الدافع القلبي في سر العبد وتوجهه خلال عمله ودعوته وعلمه وتعليمه ، وهذا المطلب لا يتأتى بمجرد التمني أو السؤال عنه وسماع الإجابة ، بل هو حصيلة المجاهدة للنفس ، قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

وهذا هو الفارق الأكيد بين دعاة الحق ودعاة الباطل ، فدعوة الباطل هذر وكلام واستعلاء وهم وغم ، تجعل صاحبها كثير الشك والوهم ، بعيد الفهم ثقيل الحركة في طاعة الرب ، قاسي القلب سيء الظن ، ومع هذه الأمراض يجد صاحب الباطل قدرة على إيراد الأدلة واستنباط الأحكام واستخراج المعاني واستغراق الوقت في الحروف ؛ ولكن هذا كله لا يورث اطمئناناً ولا راحةً معنوية ، بل يعيش مهموماً يوزّع همه على الآخرين باسم الدين والتدين ، وهذه أزمات وليست حلولاً ، أما دعوة الحق فأمنٌ واطمئنان وراحة واتزانٌ ، ولمجرّد النظر في صاحبها وحاملها يذكر الله .

٤ ـ أن يأخذ نصيباً من العلم الأبوي النافع المؤدي إلى الإحساس بالمسؤوليات ، والعلم الأبوي الذي هو علم القرآن ، وأخذه من أهله بمعانيه العالمية ، وعلم السنة الشريفة وأخذها من أهلها بمعانيها الراقية ، وأن يطلب من شيوخه الإذن في النصح والتعليم والإجازة في الذكر والطلب العلمي ، فيجيزونه ويوجّهون قلبه وقالبه ، ويدعون له بالغيب ، كما يزيد بعد ذلك من العلوم ما يحتاج إليه في أعمال التعبد وفي نشر العلم والدعوة .

٥ ـ أن يظلّ دَأْبُه ذكر الله في السر والعلن ، والصلاة على النبي ﷺ ، ومحافظاً على أمور دينه كالصلاة والصوم وصلاة الجماعة ، وقيام الليل ، وحضور مناسبات المسلمين ومشاركتهم في جنائزهم وتشييع أمواتهم ، وإفشاء السلام بينهم ، والقيام بحقوقهم من غير إفراطٍ ولا تفريط

٦ ـ أن ينشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بين طوائف المسلمين على مختلف أجناسهم وطبقاتهم واختلاف مفاهيمهم ، ولا يخوض في مذاهب الناس أو يُسَفِّه آراء علمائهم علناً إلا إذا كان الأمر قد وجب لإخماد فتنة أو إظهار حجة فلا بأس أن يكون ذلك بالحسنى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل:.١٢٥]

٧ ـ أن لا ينتظر من السامعين شُكراً ولا مديحاً ولا ثناءً حسنا ، بل يجعل همه رضاء ربه ونشر دعوة نبيه ، بل ويجب عليه الصبر إذا سمع ما يغضبه أو يُشوّش عليه من عموم الناس ، ولا يطلب

منهم مالاً ولا مساعدة في شأن من الشؤون الدنيوية ، فإن في ذلك إنقاصاً لقيمة الدعوة إلى الله ، وخاصة مع بدء تفاعل الداعي في مهمته الربانية .

٨ ــ أن يُحافظ ما استطاع على معاني القدوة الحسنة في القول والفعل واللباس والحركة والكلام والسكوت ، فالناس أدعى للتأثر بالسلوك أكثر من تأثرها بالكلام والمواعظ .

٩ ــ أن يضع الدعوة حيث يجد بها عنصر القبول ، ويكون الطرح مناسباً للمناسبة ذاتها .

وهذه وسائل عمل لله يمكن أن يبدأ بها الراغب في تغيير الواقع المحبط .. مع ما يحتاج إليه من وسائل أخرى كنشر الكتاب والشريط ومتابعة المحاضرات ومواقع الخير في الأجهزة وفي الواقع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الراغب في سلوك العلم الأبوي عليه أن يقطع طريق حياته في الاستفادة من أسباب ما ذكر ، ويبتعد ما استطاع عن مواقع الضدية ومنازعات المذهبية والتيارية والفئوية والصراع السياسي ،

ويتجاوز هذا كله إلى لبِّ الدعوة والإسلام إن أراد الفائدة والأثر السليم ، ومن لم يستسغ ذلك وألزم نفسه الرغبات وملاحقة البيانات وصراع الفئات والجمعيات والتكتلات فلابد أن يعيش هائماً في إعلامياتها إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا . إ هـ[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن طوفان المرحلة أبرز لنا تجربةً غنيّة بالفشل ، كما أظهر لنا معاناة مُفعمة بالأمل ،

وبينهما خيطٌ رقيق ، والتوفيق من الله تعالى ، وأصل النجاح كله في تقوى الله : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ البقرة: ٢٨٢

وفي البعد عن الشبهات والحرام والمعاصي : ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ الأنعام: ١٢٠

[1] باختصار وتصرف من كتاب الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ط٢ ص (٤٤ ــ ٤٩ ــ) .

ومن بدأ بنفسه فسعى في إصلاحها جعل الله قوله وفعله وحركته وسكونه ونطقه وصمته دعوة ونفعا ، ومن بدأ بالمنازعة والمقارعة والمناظرة ومتابعة صراع المراحل وما يدور فيها عاش في دوامة المتناقضات وقضى لبّ حياته منقبضاً مهموما ؛

ولله في خلقه شؤون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .[1] إ هـ

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

أنَّ سبب انشغال المتأخرين بنقائض الأولين هو :

تسييس الهجمة الإعلامية على نقائض التصوف والصوفية ، لا لغرض تصحيح الإفراط والتفريط ، وإنما لأجل البتر والاجتثاث والإقصاء المتعمّد القائم على هيمنة الجاه والمال والسلطان ، والسياسة المشتركة بين الشركاء الجدد وبين قوى التوسيد العالمية ، القوى التي عرفت كيفية إدارة أسلوب الحركة بالتحريش بين المصلين ودعم مبدأ :

(فرّق تسد) ، مبدأ الضدية ،

وهو المبدأ الذي هدم الأبنية التقليدية والأبنية الجديدة المعاصرة عن طريق التكتل والتحزب والتعصب وبث عوامل الصراع الطبقي والطائفي والقومي والعرقي والقبلي والسلالي والمناطقي والمذهبي وهلمَّ جَرًّا .. بدأً من أساليب التعليم الأساسي ونهايةً بسياسة التنافس على الحكم والسلطان ، ولا زال الشيطان والدجال وأتباعهم يُطورون هذه الأساليب ، ويُحولونها مرحلةً بعد أُخرى إلى (قوةً شعبيّةً أو حزبية) لتزرع القلق في الواقع المتناقض وتزيد التحريش والإثارة في المجتمع المتباغض .إهـ[2]

---

[1] الدلائل النبوية ص (٤٩) ط ٢ .

[2] / رسالة شخصية ص (٣٤) .

الباب الخامس :

باب : قراءة التأريخ من منظور فقه التحولات المدرسة الأبوية والأنوية .

عَلِّمني فِقهُ التَّحولات :

أنَّ تقسيم التاريخ في فقه التحولات ينقسم إلى قسمين :

١ ـ التاريخ الأبوي النبوي الشرعي ، ويبدأ بما فسرته الآيات القرآنية والسنة النبوية عن خلقِ آدم من طينٍ وما بعد ذلك إلى سجود الملائكة له إلا إبليس ، وما ترتب على هذا الامتناع من ظهور مبتدأ التاريخ الأنويِّ الوضعي ، ثم دخول آدم إلى الجنة وخلق حوّاء عليهما السلام .

٢ ـ التاريخ الأنوي الإبليسيُّ الوضعيُّ ، ويبدأ بقراءة مواقف وأحوال إبليس مع خلقِ آدم ، وما كان يدور في خُلْدِه وهو يرى آدم مُنجدلاً بين الطين والماء ، ثم كيف استدرجَ اللهُ إبليس لِيَبْرُزَ على حقيقة كفره عند أمره بالسجود فأبى وتحدّى ربه في احتناك هذا المخلوق الآدميِّ وإغوائه وإسقاطه في حزب السعير حيثُ قال :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف (١٦ ـ ١٧] .

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص : ٨٢] .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر : ٣٩].

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء : ٦٢].

وهكذا أنزل الله آدم وحواء إلى عالم الأرض لإقامة مبدأ الخلافة ولتحقيق مهمات التاريخ الأبوي الشرعي ، ومنها :

١ ـ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى

٢ ـ الالتزام بما أوجب الله والانتهاء عما حرّم الله .

٣ ـ نشرُ السلام في الأرض بإقامة الحقوق الشرعية كما أنزل الله .

٤ ـ اتِّباعُ الأنبياءِ والرُّسل ، والتخلُّقُ بأخلاقهم .

كما أهبط اللهُ إبليسَ بعد تحقيق مطالبه ليُحقِّق مهمات التاريخ الأنويِّ الوضعيِّ ابتلاءً واختباراً ، ومنها :

١ ـ الكفر بالله وبأوامره ونصبِ الحِيَل والأحابيل والخداع للبشرية والإنسانية .

٢ ـ التفرقة بين الناس بإثارة العواطف والنفوس والغرائز والرغبات والطموح .

٣ ـ بثّ ثقافة التحريش والمنافسة المترتِّب عليها إثارةُ الحروب والقتال والدماء والظُّلم وانتهاك الأعراض ، والتعدي على الحدود ، وتزيين الشهوات ، وغير ذلك.

٤ ـ تفسيرُ الوجود تفسيراً نظرياً مادِّياً مرتبطاً بالعقل والتجربة وقراءة الواقع .

٥ ـ التشكيك في قضايا الإيمان بالله واليوم الآخر والتكذيب بما وراء العقل والتصوّر الذهني المجرّد.

ولأن الإنسان هو المبتلى في عالم الحياةِ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ [الكهف: ٧].

فالشيطان يعمل منذُ أن أقسم على نفسه على تكوين مبادئِ الأنوية الوضعية الطبعيّة ، وهي القُوَّةُ الفاعلةُ في إفساد القِيَمِ الأبويةِ النبويةِ الشرعية .

ومعنى الأنوية ـ مُشتقّةٌ من الأنا ـ وهي اللفظة التي عبّر بها إبليس عن موقفه أمام الآدميّة المشرَّفة نتشريف الله لها في قوله (أنا خيرٌ منه) فصارت الأنبوية شعاراً ومبدأً في الحياة التاريخية الأنوية ؛

ومعنى (الوضعية) أي : الفكرةُ العقلانية التي لا سند لها من الدين ولا من الشرع ، كقول الشيطان في تكوين الفكرة العقلانية الوضعية: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١﴾ الإسراء: ٦١].﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣ ﴾ [الحجر: ٣٣].

ومعنى (الطبعيّـةِ) أي : اعتماده على تأليـه وتعظـيم فهـم الطَّبـعِ الــذاتي ونـاتِجـه القـائم على معادلات التَّـصوُّرِ الظَّـنِّـيِّ المعبَّـرِ عنـه في قـوله تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم: ٢٨].إ هـ[١].

عَـلَـمَـيْ فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أنَّ هناك قـراءةٌ للتأريخ الشرعي من منظور فقـه التحولات لمـدرسـتين عالميتين منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

المدرسة الأبوية النبوية ، والمدرسة الأنوية الشيطانية ..

فالمدرسة الأبوية سُمّيَت بذلك لأنها مدرسة الإسلام الحق وهـي مدرسـة الأنبيـاء والرسـل ومـن اهتدى بهديهم ، وتناسل منهم على منهجهم (مدرسة الأبوة الشرعية المسندة) أو (المدرسـة الأبويـة) أو (المنهج الأبوي الشرعي) وفيها يقول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً أُمة القرآن ، ومقرراً ارتباطها الأبــوي بالأنبيــاء: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج٧٨:].

وجعل شرط الأبوة الشرعية : إتباع المـنهج ، وإقامـة العهـد ، وبهـا يـتم تسلسـل الارتبـاط في مدرسة الأبوة ، وبدونها ينقطع الارتباط ، وينفصم التسلسل قال الله تعالى:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤]. ومثل ذلك في نوحٍ عليه السلام ، وولده كنعان ، فليس العـبرة في المدرسة الأبوية بالتسلسل العرقي ، وإنما هو إتباعٌ للمـنهج ، وإذا اجتمعـت الصـفتان فـالأمر أتـم وأنفع ، كما هو مطلب زكرياء عليـه السـلام﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ اهـ[٢]

---

[١] التبصـرة الـدعـويـة بشـرح المنظـومـة النسويـة ص (٢٤٩ ــ ٢٥٢) .

[٢] إحياء لغة الإسلام العالمية ص (٥٢

فالاتصال المسند للعلم الأبوي يتسلسل عبر الأنبياء إلى إبراهيم عليه السلام ، ونحن أمة الإسلام نتصل بإبراهيم عن طريق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ شهيداً علينا ، وناطقاً بالحجة الأبوية ، ونحن حملة العلم الأبوي المسند المتسلسل شهداء على الناس ، وبهذا تكتمل الحلقة الأبوية الشرعية ؛ وبالنسبة لواقع التعليم والتلقي فالمقصود (بالأبوية): مدرسة الإسناد والأسانيد التي ترتبط بين المادة المقرؤة والمعلم من جهة ، وبينهما والطالب من جهةٍ أُخرى ،

والأبوية هي : هوية العلاقة بين الإنسان والمعرفة ، فهناك معارف مبتورة لا يجد المرء منها أثراً أو نفعاً أو إيجاباً يعود عائده إليه بصفةٍ مشروعة ، وتقابلها مجموعة المعارف التي يستشعر المتعلم لها أنه يتلقى علماً نافعاً و يترقى ثواباً عند الله سواءً كان بنوع المادة ذاتها كالقرآن والسنة وما تفرع عنها ، أو بالنية الصالحة فيها كالنية المتوفرة في طلب الخدمات والعلوم النظرية .ـ[1]

وأما المدرسة الأنوية الشيطانية فهي تأتي مضاداً للاتجاه الأبوي الشرعي ما سُمي : (بالمدرسة الأنوية) وهي : مدرسة الشيطان الذي عبّر عن مبدأ التفاخر والتكبر بشرف العنصر والمادة والذات مخالفاً للأمر عندما قال مولاه للملائكة : ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ البقرة: ٣٤

وعدد القرآن نماذج الإباء الإبليسي الذي صار فيما بعده مدرسة الانحراف عن مفهوم الأمر ، وسُمّيت هذه المدرسة بالأنوية لقول إبليس { أناْ خيرٌ منه } فصارت مدرسةً ناريةً إبليسيةً أنويةً وضعيةً ، وباعتبار أن لإبليس في عالم الإنسان حركة وملاحقة وتدخل مباشر ، فلا غروا أن بث الشيطان مفهوم الأنوية في صدور الناس لإيقاعهم في شر ما وقع فيه ، وهذا الإيقاع يتفاوت بين بني الإنسان ، فلربما شغل إبليس (الوسوسة والتربص بالصدور) وهم عليّة القوم من القادة والعلماء ووجهاء المجتمع ؛ إذ بإغوائهم والسيطرة على عقولهم وقلوبهم يبدأ سقوط المجتمع الإسلامي من داخله .

وهذا أحد معاني قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾ الناس: ٥

---

[1] الدلائل النبوية ص (١٠ ــ ١١)

كما سبقت الإشارة إليه ، والصدور في أحد المعاني وجهاء القوم وسراتهم وقاداتهم .

وبفساد قرار الحكم والعلم تُفْسِد الأحكام والمناهج ويتربع الفسّاد والعشاق ومن نحى نحوهم على مقدّرات العلم والفكر والثقافة والتعليم ، وهذا لا يعني اقتصار الوسواس على الصدور دون غيره وإنما هو ملحظٌ في تكثيف إبليس شأن إغواء أوُلئك أكثر من غيرهم .

ولهذا فإن المسيرة الأنوية عبر التأريخ قد أسقطت عشرات الأمم في الانحراف الفكري والثقافي والعقائدي ، بل وسيطرة على جملةٍ من صدور العلماء ، وخصوصاً في أهل الكتاب ليخدموا المنهج الإبليسي داخل دياناتهم ومللهم ، ولم يتصدى لهم على مدى التأريخ (تأريخ الانحراف) أحدٌ من الناس ما سوى الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم ..

إن العقلانية المجردة : سياسة المدرسة الأنوية الإبليسية في العالم ، وهي مسؤولةٌ عن الانحراف التاريخي منذ عهد تحول قابيل عن المنهج (الأبوي الشرعي) إلى المنهج (الأنوي الإبليسي) وبها انتقلت المعركة من إبليس وآدم إلى (الآدمية ذاتها) تحت رعاية (الوسواس الخناس) رائد المدرسة الأنوية العالمية ، وتسلسل النشاط الأنوي الإبليسي على أيدي الكفرة الجاحدين عبر القرون ، ومن أُصيب بدائهم وعلّتهم ولو كان مسلماً ، كما تسلسل العلم الأبوي الشرعي على أيدي الأنبياء والعلماء الورّاث جيلاً بعد جيل حتى عهد النبي الخاتم ﷺ مجدد المدرسة الأبوية ، وحامل رايتها العالمية الأخيرة في الحياة ، والقائم ﷺ بالوحي السماوي أمام الإفك الأنوي وأكاذيبه وأضاليله حتى قيام الساعة ؛

وقد تبين بالاستقراء والملاحظة كيف سار المنهج الأنوي الشيطاني في طريق الانحراف والظلال مرافقاً عصر حياة المصطفى ﷺ حتى عصرنا الراهن ، وإلى قيام الساعة ، متمثلاً في انحراف مدرسة النفاق المدرسة الحرقوصية ، ومدرسة الإفك المسيلمية ، ومدرسة أهل الكتاب ، ومدرسة المشركين من قريش والأعراب ، وقد اتحدت هذه المدارس المنحرفة مع أساطين الكفر من كل عصرٍ وتأريخ ،

واحتضنوا المنهج الأنوي الإبليسي ، وأقاموا له الأُسس والثوابت الوضعية ، ورَعوه فلفسةً وحكماً ودعوة ،

كما اعتنى المنهج الأبوي الشرعي بتفصيل ظاهرة الأنوية وأتباعها سواءً في الخيمة الإسلامية ذاتها أو من خارجها ، وذلك بما أودعه ﷺ في علم علامات الساعة وأشراطها وفتنها ، وهذا العلم كفيلٌ بكشف حقائق المدرسة الأنوية وإظهارها على حقيقتها وصورتها الإبليسية ا هـ[1]

عَلَمِيٌّ فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن حقيقة الصراع : أزلي بين الخير والشر ،

وأن المسألة لا تَقِفُ عند المدارس المُتباينة وصراعِ الكُتلةِ ضِدَّ الأخرى والمذهب ضِدَّ الآخر ..وإنما هي معركتُنا الأزَليةُ مع الشيطانِ ، وما تَفرَّعَ عن هذا المخلوقِ من فلسفاتٍ ورؤىً وممارساتٍ عقلانيةٍ وروحانيةٍ وثقافاتٍ أنويةٍ وضعيةٍ تعمل مُجتمعةً ومتفرقةً دينيةً ودنيويةً على تحقيق ثقافةِ الاحتناكِ الإبليسيِّ ليتّجه الجميعُ بدينهم ودنياهم [لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ]، والسعير في معناه المعروف هو النار ؛

وينقسم المعنى في فِقه التحوّلاتِ إلى قسمين :

القسمُ الأوَّلُ : حِزبُ الشيطانِ ومصيرُه الأخيرُ إلى جهنَّمَ وبئس المصير .

القسمُ الثاني : السعيرُ بمعنى التحريش ، والتسعيرِ : مُشتقٌّ من أصلِ كلمةِ (سَعَّرَ يُسْعِّرُ)، وهو زيادة الفِتنة والإثارةِ ، وحِزبه العام إنما هم من الناس ، وأول رجالُ حِزبِه :

الكُفّارُ عموماً ثم الكفار السياسيون خصوصاً [أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا].

ثم مِن أتباع حزبه : صدورُ الناسِ مِنَ الحكّامِ والقضاةِ والمُفكّرين والقادةِ والتجار وحملة القرارِ المُستدرَجين بحبائِله ووسائِله من المسلمين ..

وقد وصفَ الله تعالى هذا الموقِفَ في سورة الناسِ بقوله عن الشيطان الخنّاسِ :

---

[1] إحياء لغة الإسلام العالمية ص (١٥١ ــ ١٥٢)

[الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ].

فالصدور في هذا المعنى هم الوُجهاءُ والقادةُ وحَمَلةُ القرارِ ، وبهم عند احتناكهم والسيطرة عليهم يَتِمُّ نجاح المشروعِ العامِّ لِحزبِ إبليسَ اللَّعينِ ، ولأجل هذا حذّرَ اللهُ المؤمنين من استتباع خُطُوات الشيطان واستتباع سُنَنِ الأُممِ الكافِرَةِ للعلاقة الوثيقة بين الثَّقافتين ، كما شدد القرآن على مسألة عدم اتِّخاذِ الأولياء من الأعداء الكافرين: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ]..[1]

عَلَمِيّ فِقهُ التَحَوّلاتْ:

أن مفهوم ((الأبوية)) في الشريعة الإسلامية له مدلولٌ عظيم يبدأ بالوالدين وبِرّهما ،

ويتدرّج إلى الأرحام والجيران وما تلا ذلك من السلم الاجتماعي المألوف

ولكنها في مسألة الانتماء المعرفي المُسنَد تذهب إلى أبعد من ذلك ، كما هو في ارتباط أمة الإسلام بعمومها بأبي الحنيفية الأول إبراهيم عليه السلام [[مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ]].

فالاتصال المُسْنَد للعلم الأبوي يتسلسل عبر الأنبياء إلى إبراهيم عليه السلام ، ونحن أمة الإسلام نتصل بإبراهيم عن طريق نبينا محمد بن عبدالله ﷺ شهيداً علينا وناطقاً بالحُجَّة الأبوية ، ونحن حَمَلة العلم الأبوي المسند المتسلسل شهداء على الناس ، وبهذا تكمل الحلقة الأبوية الشرعية[2] .

عَلَمِيّ فِقهُ التَحَوّلاتْ:

أن المدرسة الأبوية طريق ومنهج وعلم وعمل وإخلاص وورع ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؛

فأياً كان حاملها يعيش فعليه بها مسؤوليات وعليه لها مسؤوليات ، فأما إن كان في قمة الحياة الاجتماعية فمسؤولياته ترتفع بارتفاع موقعه ، وإن كان في غمار الأمة فمسؤولياته تزداد حاجة إلى همّته وصدقه وحُسن طرحه وتَفهُّمه حالة الأمة ؛

---

[1] . إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٣١ـ ٣٢] .

[2] إهـ من كتاب : الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م ص [١٣]

وإن كانت امرأة فمعها حيث عاشت مسؤولياتها نحو هذا الطريق ، وتزداد على المرأة مسؤوليات التنشئة لجيل المدرسة الأبوية وهي رائدة النجاح في تهيئة جيل الدعوة ونشر الإسلام إن وَعَتْ مسؤولياتها ، كما أنها أحبولة الشيطان وكأس الثمالة المُدَمِّرة عقل الإنسان وهادمة رجولته إن نكصت عن مسؤولياتها واستتبعَت دعوات الشيطان :

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)...[1]

علمني فقه التحولات :

أن من سلبيات المرحلة على المدرسة الأبوية :

أن الكثير من شرائح القبض والنقض لا يُحاربون الإسلام ولا العقيدة ولا القرآن ولا السنة ، وإنما هم يُحاربون المدرسة الأبوية ، أي : علماء المِلَّة الأثبات (آل البيت ، المذهبية ، الصوفية) ؛

وبهذه الحيلة اعتقد الغالبية من المسلمين أن عدائهم هذا هو حرصٌ على الدين والكتاب والسنة ، وهروبٌ من الشرك والبدعة.. والأمر ليس كذلك ، ولكن الأمر يلزمنا الرجوع إلى الأحاديث الشريفة التي هي مرجع الأمة كلها ، لنرى أن هذا الانفصام الغريب في تاريخ الإسلام الحديث إنما هو نقضٌ وقبضٌ وتحوّل لصالح المسيخ الدجال ..؛

وكثيرٌ من هؤلاء يعلمون ومنهم لا يعلمون [[يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ]] .

ومن هذا المنطلق الخطير صار الإسلام يُناشدنا على لسان رسول الله ﷺ وهو يخطبُ عن الدجال :

((يا عِبادَ الله إثْبُتُوا.. يا عِبادَ الله إثْبُتُوا.. يا عِبادَ الله إثْبُتُوا..)) اللَّهُمَّ ثَبِّتنا على دينك .. [[يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ]][2].

[1] إهـ من كتاب : الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م ص [١١٤] .

[2] إهـ من كتاب : الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م ص [٢٣ــ ٢٤] .

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

أنَّ مدارس الظَّنِّ الإبليسي هي ضد المحاور الثلاثـة ذات العلاقـة بتأريخ الخلافـة الإسلاميـة [التصوّف ، المـذهبـيةِ ، آلِ البيتِ المُعتدلين] ؛

وهذه المحاور الثلاثـة كانت رائدة الحركة الفكرية والشرعيـة في بلاد العالم العـربي والإسـلامي مُنذ بدايـة عهدِ الدولة العثمانيـة ـ القائمة على نِظام الخلافـة المشروع ــ حتى عهد التَّـمزُّقِ والتَّفكُّـكِ وتدخُّل الدونمة والفكر العلماني الغربي ، مما جعل الظروف مـلائـمةً لوضع الفِكر الظنـيِّ الإبليسيِّ ـ على النحو التالي :

١ ــ كلُّ المشاهدِ والقبابِ التي على القبور أصنامٌ وطواغيت .

٢ ــ علماء المذهبية وآلُ البيتِ الدَّاعون إلى مذهب التصوُّفِ أشباهُ كهنةٍ وسـدنةُ قبورٍ .

٣ــ المسلمون المعتقدون اعتقاد التصوف والمحبُّون للأولياءِ أحياءً وأمواتاً ..عُبَّـادُ قبـورٍ ومشرـكون بالله ..

وعلى هذه الأقسام الثلاثـة قامت عقائدُ التجديد وسياسـة التوحيد منذُ عصر تكوينها في القـرن الثامن حتى امتدادِها في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجـريِّ ، ومـا تفـرّع عنهـا مـن حركـات الإصلاح كما تُسمّى والتي آلت فيما بعد إلى الإرهابِ والتطرُّف والقمعِ الاعتقـاديِّ ، بصرـف النظـر عن مصادرها ومُمَـوِّليها ومُستثمريها وتنوّعِ مواقفهم بين الإفراط والتفريط والاعتدال ..[1]

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

إن الشيطان رائد الانحراف وراعيه وإمامه وساعيـه ، تحدّى ربـه فكان الطرد والسقوط من عين الله : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [١٦٨] إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [١٦٩]**) .

وفي مضمار حديثنا عن المدرسـة الأبوية قال أحدهم : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَـلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) ؛

---

[1] . إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٤٧] .

فقال القرآن مجيباً على مدرسة التحريف لمعاني كتاب الله ومناوئاً عن مدرسة الإسلام الأبوية بلسان حال يوسف عليه السلام نيابةً عن تلاميذ ومريدي الأبوية الشرعية في العالم كله :

(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِّ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِّ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ).. وقال تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُّ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)...[1]

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتِ:

أن الثالوث الوبائي في العالم هم : الشيطان والكفر والدجال ؛

ولذلك اعتنى القرآن وكذلك السنة النبوية بتطعيم وتحصين الأمة الإسلامية من خطر الثالوث الوبائي القاتل ؛

وهذا الثالوث الوبائي الذي يبدأ بالعدو الأول:

الشيطان فقد ورد في آيات الله تعالى إشارات بينات للاستعاذة منه : منها قوله تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٠]

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٨]

وقال تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾

وهذه الإستعاذة : دفاعٌ وتحصين من شر اختراق الشيطان كافة شؤون المستعيذ حيث لا قوةً تمنعه عن الاختراق والوسواس إلا الاستعاذة .

إن قضيتنا مع الشيطان أزلية بدأت منذ فجر الخليقة ، وبالرغم أنها حكمةٌ ربانية في تنازع الأضداد والابتلاء : ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢] ؛

إلا أن خالقنا سبحانه قد أوضح السُبل للأمة في شأن خطورة (الشيطان)، وأبرز في عشرات الآيات وظيفته الشرّية في العالم ، وما يجب علينا نحن المؤمنون بالله أن نفعل تجاهه ، حيث أن قوته

[1] إهـ من كتاب : الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م ص [١١٤ــ ١١٥]

الفاعلة لا تكمن في قدراته ووسائله ، وإنما ترجع إلى جهلنا وغفلتنا وتأثرنا بإغوائه وإغرائه ، فالمعركة قديمة ، ووسائل الحرب لم تعُد تقليدية ، بل إن الشيطان قد طوَّرَ ولا يزال يطوِّر من أساليب الإغراء والإغواء والتزين لإيقاع الإنسان البشري في حبائله قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾

وللشيطان مبادئ عديدة منها ثلاثة مبادئ : {الاستحواذ ـــ الوسواس ـــ القعود}

ومهمة الاستحواذ : قائمة على حشر الشعوب في الفتن ومضلاتها ...

وأما الوسواس: فهي مهمة الإحتناك للعقلاء والصدور والقادة ، حتى يبلوروا الشر في معرِض الخير، ويحببون الهتك والقتل بالأماني وقلب المعاني ، من خلال التوجيه المعنوي ، والتربية الإعلامية ، وتأجيج العواطف والطموحات والعُقد ، لترتفع درجة الحرارة لدى المصابين بهذه العلل فيتوجهون بها عُمياً وبكماً وصُما ينفّذون المشروع ، ويفرقون المجموع ، ولكل عاطفةٍ عوامل ، ولكل طموحٍ همة ، ولكل عُقدةٍ انفعال ، والقضاء والقدر يحرّك الجميع ، ولا يسلم إلا من سلّمه الله ، ولا يفهم إلا من فهمه الله .ا هـ[1]

وأما القعود للشيطان : فقد ورد في الآية قال تعالى :﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ﴾ فالقعود أمرٌ مقرر ، وهو مدخل الشيطان على مفترق الطرق :(طُرق السلامة ـــ وطُرق الندامة) فإذا ما بلغت الأحوال إلى هذا المفرق بدأ الشيطان في تحريش العواطف والعقول والصدور . قال تعالى :﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف:١٧][2]

---

[1] المواجهة السافرة ص (١١٦)

[2] باختصار المواجهة السافرة ص (١٤٩)

أن للشيطان عقيدتين في البشرية :

١ ــ الكفر ، وهو ما يمارسهُ مع الشعوب الوثنيّة والمُلحِدةِ وأهل الكتاب الذين كفروا بمخالفتهم دعوة أنبيائهم وحرّفوا كتبهم وأثبت القرآن انحرافهم .

٢ ــ التفرقة والاختلاف ، وهو ما يُمارسهُ مع الشعوب المسلمة (التحريش) .

وبهذين العنصرَينِ يتحقق للشيطان في الحياة الإنسانيةِ الاحتناك والقعود على الصراط المستقيم .

والبشرية كلها رجالاً ونساءً هدفٌ تاريخيٌّ للشيطان منذ استخلاف الحقِّ سبحانه وتعالى لآدمَ في الأرض ، ومنذُ أن قال الله تعالى للملائكة : [إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً]،

والاختلاف والتفرقة قد يؤدي في دائرة الإسلام إلى الموت على غير دين وخصوصاً إذا بلغ الأمرُ إلى الانحراف الفكريِّ كالإلحاد أو الرفض للديانة استحساناً لما عند الكفار أو الصراع العقديِّ وما ترتب عليه من التكفير والتشريك والقطيعة بين الأرحام وعقوق الوالدين وغيرهما من الكبائر .

وبطبيعة حال الإنسان فهو مخلوقٌ مستجيب وموجّهٌ سواءً كان في دائرة الوعي الإسلامي الشرعي أو في دائرة الوعي الإنساني الوضعي ..

وما مِن دعوةٍ في هذين الجانبين إلا ولكِلا الدائرتين فيها موقع ومكان ، وقد اختلط الحابل بالنابل في هذا العصر الأخير ، وهو الذي سمّاهُ ﷺ بـ(عصرِ الغُثاء والوَهَن) وعصر تداعي الأمم وعصر نزع المهابة من قلوب الأعداء ..

أخذاً من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أُفُقٍ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)) قلنا يا رسول الله ..أوَ مِن قِلّةٍ بنا يومئذٍ ؟

قال ((أنتم يومئذٍ كثير ولكن تكونون غُثاءً كغثاء السيل ، تُنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوَهن)) ، قال : قلنا : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : ((حب الحياة وكراهية الموت))..[1]

[1] إهـ من كتاب : الأسس والمنطلقات ط٣لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤٣ م ص [٣٣] .

وأما العدو الثاني فهو : الكفر :

والكفر هـو : موقـف الشـيطان عشـية رفضـه السـجود لآدم ،قـال الله تعـالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ؛

فمرجع الكفر إبليس ، وبين الشيطان والكفر تلازمٌ وعلاقة ، بل صار الكفـر بكـل مـا يحملـه مـن جنوح سياسة الشيطان ومنهجه العلمي والعملي في العالم ، وقـد عـبر المصـطفى ﷺ إلى هـذا الربـاط الخطير بين : ((الشيطان ـــ الكفر ـــ الدجال ـــ))بقوله : { ما من فتنةٍ من عهد آدم إلى قيـام السـاعة إلا وهي تضع لفتنة المسيخ الدجال } .

فالكفر في مسيرته العالمية هو مذهب الانحراف الشيطاني ، وأول كافرٍ من بني آدم هو : (قابيل) أي أنه أول من نحى في مسلكه مسلك الشيطان ، وخالف منهج والـده ، وبـدأت مسـيرة (الكفر) في المخلوق الآدمي بقابيل وذريته ، وعمل قابيل على تنفيذ منهجية الكفر في حياتـه كلهـا : (كالقتل ، والنهب ، والزنا ، وعبادة النار ، وعقوق الوالدين ، والكفر بالله ، وترك ما أوجب الله) .

وقد تولّى القرآن الشرح التام لهذا الكفر الصريح لدى الأمم ، والمقصود من هـذا الكفـر الصـريح هو ارتضاء منهج الشيطان ونبذ منهج الرحيم الرحمن .

ولم يزل (إبليس) لعنه الله مجتهداً في إغواء الأمم جيلاً بعد جيـل إلاّ مـن عصـم الله وحفـظ ، حتـى جاءت رسالة نبينا محمد ﷺ، والعالم على ثلاثة إتجاهات :ـــ

١) أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وقد كفروا بالله وحرفوا كتبهم وقتلوا أنبيائهم .

٢) أمم وثنية : من أجناس البشر اتخذوا لهم آلهة من المخلوقات ، كعبادة الشمس والقمـر والنجـوم والحيوان والذوات .

٣) مشركي العرب وقريش ، وهم عُبّاد الأصنام ، وأهل الأزلام وتبتيـك الأنعـام ، ودَمَـغ القـرآن منهج الكفر من كل الوجوه .

ولم يترك لكافر حُجّة ، وربط بين منهجية الكفر والشيطان كما هو في سابق العهد لدى أهل الرسالات ومن ذلك قول إبراهيم لأبيه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ ﴾ وفي حكاية القرآن عن سليمان عليه السلام ، وردّ تُهمة بني إسرائيل بكفره ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾ البقرة: ١٠٢..

وأما العدو الثالث فهو الدجال :

وهو إنسان من اليهود، ولليهود ريادة في عالم الكفر ، والجنوح عن الأديان .

فالدجال قد تناولته السنة الشريفة ، وأكدت وجوده في العالم الإنساني كذات وليس كمرحلة أو نظام ، إلا أن الاستقراء والمتابعة الواعية لمرقومات الشريعة أفصحت عن شخصية الدجال وعما يكون من بين يديه إفصاحاً يُبرز خطورة الثالوث الوبائي كله ، ويجعل الحلف الثلاثي ضد الإسلام والمسلمين يتخذ أشكالاً من التمويه والدجل والخديعة ، حتى ينطلي الأمر على كثيرٍ من الناس ، وتتبني (الأنظمة ، والحكام ، والعلماء ، والمؤسسات ، والشعوب) أساليب (الثالوث) بمسميات حضارية وعلمية جديدة وربما تكون جديرة بالاهتمام والدراسة ودوام المتابعة ، حتى يتضح للمتابع والمستقرئ طريق النجاة في الدنيا والسلامة من هول الآخرة .

وقد اختلف العلماء في شأن الدجال وذاته وتوقيت بروزه ، وما يكون من أسباب الحريات التي يتبناها في العالم كجزءٍ من إيدلوجيته العالمية للتمهيد المنتظر لظهوره الأخير ، وهذه مسلّمات يجب متابعتها في مواقعها في السنّةِ حيث أكد النبي ﷺ (عالمية الفتنة وخطورات الانحراف) سواءً بالنسبة لخدمة سياسة الكفر الشيطاني ، أو ما يؤديه لمصلحة الكافر ، طابور المنافقين والكافرين الملتزمين لمنهجية الشيطان في العالم والمعبرين عن مظاهر الأنوية ألإبليسية بعلم أو بغير علم .

وقد ابتلى الله الأمة بالدجال ومنهجيته العالمية إذ هو المستثمر الفعلي لثنائي العـدو (الشـيطان والكفر) أو بمعنى أدق هو المخلوق البشري المستفيد من تحريك العالم الإنساني نحـو عبـادة الشيطان بمنهج الكفر وإيدلوجيته الحضارية المتطورة : ــ

١ :ــ الكفر بكافة بأنواعه .

٢ :ــ النفاق .

٣ :ــ انحلال المرأة .

٤ :ــ المعاصي .

٥ :ــ أكل الحرام السحت .

٦ :ــ إضاعة الأوقات .

٧ :ــ إتباع النفس والهوى والدنيا .

٨ :ــ تحريف سنة الحكم وسنة العلم .

وقد تولّت (عصبة العمل الشيطاني) دبلجة وتحسين وتزيين هذه الجونحات جرعات قبولها مع العقل الإنساني المسلم وغير المسلم ، مع ترويض العقلاء والملتزمين بالديانات حيناً بالترهيب أو بالترغيب أو بالخداع أو التزييف أو الترويج والدعاية أو بالتأثير عـلى :(المـرأة ــ الطفل ــ الشباب) حتى يقبل مالا يقبله الرجل الواعي والمسن الذي قد إكتوى مـن قبـل بنيران الشيطان ، كما تطورت وطوّرت وسائل وأساليب التأثير النفسيـ والعقـلي والعـاطفي والجسدي بما لا مزيد عليه .. الخ

ولن ينقطع خطر الثالوث الوبائي حتى يبلغ مراده ويستفحل ويفشـوا ، والمعصـوم مـن عصـم الله والمحفوظ من حفظ الله ، وقد علمنا نبينا ﷺ الآيات العشر الأُول من سورة الكهف ، وأنهـا تعصـم المسلم من فتنة الدجال ؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : { مـن حفـظ عشرـ

آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال }[1] وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ : { من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من الدجال}[2]

وقد علّمنَا أن الثالوث هذا عالمي الفتنة عالمي الامتداد .ولهذا نجد النبي ﷺ يربط بين الحوادث والعلامات البارزة في المراحل ، وخاصةً بعد بعثته حيث أن أغلبها تُشير إلى حصول الانحرافات في العالم كله منها: ـــ

{ ما من فتنةٍ من آدم إلى قيام الساعة إلا وهي تصنع أو تضع لفتنة الدجال } ا هـ[3]

علمية فقه التحولات:

أن العماية الفكرية والدعايات الإعلامية والمسميات الغربية المريبة التي يفتعلها المُسَيَّسون تُخفي عن الجميع سياسة الشيطان ؛

كما أخفاها الشيطان نفسه عن آدم عليه السلام عندما أراد أن يُذله ويُخرجه من الجنة ، فكان أول وسائله تحسين عبارة المسميات واستخدام الشعارات والنصح المجتمع بشروطه الأساسية كالحلف بالله ، وتحسين الظواهر كما وصف القرآن : { قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى }،(وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) فكانت هذه الأسباب والعروضات إحدى أسباب قبول آدم وحواء للإغواء والإغراء ، (فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ) ؛

وما كان من وسائل شيطانيةٍ قديمة هي ذاتها وسائل الشيطان الحديثة في إغواء آدم المعاصر مع اختلافٍ في الزمان والأسلوب والمرحلة والوسائط . إ هـ[4] .

---

[1] رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

[2] رواه أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم .

[3] باختصار من إحياء لغة الإسلام العالمية ص (١٢٦ ـــ ١٣٢)

[4] تفردات مدرسة حضرموت ص (٣١) .

أن الأمم الشرقية والغربيـة قديماً وحديثاً ومعها الشعوب الجاهلية والوثنية التي أدانها القرآن والسـنة وأطلق عليها مسمى الجاهلية ..

في مثل قوله تعالى {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } المائدة .، كلها لا تحمل للعالم الإنساني قديماً ولا حديثاً حلاً ولا بعض حل ، وإنما تتكرر مأسـاة الكفـر والجاهلية في الشعوب جيلاً بعد حيل ، ومرحلةً بعد أخرى ..

مستجيبةً للاحتناك الإبليسي والتسويل النفسي والتأليه للعقل ومدارس الظن الافتراضي : { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} ..هذا الظن الذي علمنا القرآن كيفية اتخاذ المواقف الشرعية حياله بقوله : { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَـوَلَّى عَـنْ ذِكْرِنَـا } ومـا ذكـر الله إلا القرآن وسُنن نبيـه محمد ﷺ {وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} وأبى العقل الإنساني إلا تحكيم الفكـر الواقعي المادي المُـجرّد ، فما حكم ذلك ؟..قال تعالى : {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} ؛

ومبلغ الكفر والكافر والملحد والمعاند علم الظن الإبليسي القائم على أصلين :

١ ـ خطوات الشيطان .

٢ ــ تسويلات نفس الإنسان .

والنَّص الرباني يحذرنا منذ وضع مقدمات الرسالة من هذين الأصـلين بقولـه :{يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} ويقول في شأن تسويلات الـنفس : { فَطَوَّعَـتْ لَـهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} فالتسويلات النفسـانية والخطـوات الشـيطانية أصل المدرسـة الأنوية الإبليسية المادية الطبعية الوضعية العقلانية منذ عهـد آدم .. والعـلاج منها قوله تعالى :{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} وقوله تعالى :

{ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ..[1]

---

[1] إهـ من كتاب : المرصد النبوي ط١ العام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٤٦ــ ٤٧] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أننا جميعاً أمام قراءةٍ جديدة الابتعاث ، عريقة الأصالـة ، تبدأ ببدايـة القراءة الشرعيـة التي قرأها سيد الأمـة في غار حراء :

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)} وتنتهي بانتهاء القراءة النَّصْيّة للمعاني الساميـة المقروءة على لسانه ﷺ ..
{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} ..

فتعالوا بنا نقرأ التاريخ مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بنصوص ديانتنا الشرعيـة ، ونتعمَّق في هذه العالميـة الربانيـة الحاملة معنى الرحمة للشعوب مُجَسدةً في رسالة النبي الخـاتم ، نبـي الرحمـة المهداة ، المنزَّل عليه من ربـه : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} ..صدق الله العظيم .. [١]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن ثقافة التجزئـة عملٌ شيطاني دجّالي يَنسِف الأبنيـة المتكاملة ،

ويُفرِّق الوحدة المتضامنة ..تُعرَف في عصرنا بسياسـة [فَرِّق تَـسُد] ، وسواءً كان الشعار جديداً أو كان تليداً فهو من شعارات المدرسـة الإبليسيـة الهاتكـة ، يُفسِد بـه العلاقـات ويفكك بـه الجماعات ، وينخر به في وحدة المؤمنين ، ويُشَوِّه بـه سُمْعـة الصـلحاء المتقـين ، ويَبُث من خلالـه فِتنـة الإشاعـة المُحرقـة خيمـة الألفـة بين المسلمين[٢] .

---

[١] إهـ من كتاب : المرصد النبوي ط١ العام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٦١] .

[٢] إهـ من كتاب : الصِّدّيق الأكبر ط١ العام ١٤٣٥هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٢٢] .

أنَّ الشيطان مَخلوقٌ حـاذِقٌ فَطِنٌ ، يُخرِبُ البيوتَ بأيدي أهلها ،

ويَبُثُّ روحَ الفُرقـةِ والبغضاء والحسدِ بين المُصَـلِّين كما بَثَّـها من قبلُ بين الأمم ، بدليل قول النبي ﷺ: ((دَبَّ إليكُمْ دَاءُ الأُممِ قـبلكم البغضـاءُ والحَسَـدُ ، والبغضـاءُ هـيَ الحـالِقــةُ ، حـالـقةُ الـدين لا حالِـقةُ الشَّعَرِ)).

وهـذا النَّصُّ النبويُّ بارزُ المعنى في إصابة الأمـة المحمديـةِ بما أُصيبت به الأمم السالفــةُ من أثرِ الطِّباع الشيطانـيةِ ، ولا علاجَ لـه غيرَ ما أخبر عنه ﷺ في باقي الحديث ، وهو قولـه ﷺ: ((أوَ لا أدُلُّـكُمْ على شَيْءٍ إذا فَعَـلْتُمُـوهُ تحـاببـتُمْ ؟ ... أَفْشُـوا السَّلام بَيْنَكُم)) ،

وإفشـاءُ السلام بكافـة معانيه علاجٌ نبويٌّ لا بـديل عنه ولا خيارَ أفضـلَ منـه ، ولعل فقـه التحولات يُعطي مدلـولات الحديث الآنف ذكره بُعداً عملياً في الواقع أكثرَ ممّا عَرّفـه الآخرون..[1]

---

[1] دوائر الإعـادة ص (٥٦ ــ ٥٧) .

الباب السـادس :

بـاب : النَّمَط الأوسـط :

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتِ :

وأرشدني إلى أن أنتهج منهج النمط الأوسط وأبتعد عن منهج الإفراط والتفريط ..؛

وأن أهلِ النمط الأوسط هم : الأئمة العلماء والعارفون الأثبات من آل البيت النبوي ، والصحابة العدول رضي الله عنهم ، والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين أوعية الكتاب والسنة والأخلاق النبوية الذين يندرجون في معنى قوله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ ممن اتصلت أسانيدهم الشرعية برسول الله ﷺ منهجاً وأخلاقاً ، مندرجةً تحت معنى الحديث : { يحمل هذا الدين من كل خلف عُدوله }[1] .

وهم الذين سلكوا مسلك الهدى والسلامة ولم يُنازعوا قراراً شرعياً ولا عالماً أو إماماً أبوياً ربّانِيّاً ، هم الخلفاء الراشدون المهديون عبر تاريخ التسلسل الشرعي المُسند ، ومن حصّنتهم النصوص ونالوا بها مراتب الخلافة والإمامة ، أو من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين على نهجهم وهديهم غير مُبدّلين ولا مُحرّفين .

وفي مُصنّف ابن أبي شيبة عن عليٍّ رضي الله عنه :

((خيرُ الناسِ هذا النمطُ الأوسطُ ، يلحقُ بهم التالي ، ويرجعُ إليهم الغالي))[2].

وأن سادة الصُّلح : ذراري وأتباع الإمام الحسن السِّبط الآخذين عنه منهج الصُّلح والسلام الداعين إليه بشروطه .

---

[1] رواه البيهقي .

[2] الأسس والمنطلقات ط ٢ ص (١٢٥) .

وأن بقية السيف : ــ هم ذراري الإمام الشهيد الحسين بن علي من ابنه الإمام علي زين العابدين ومن سار على هديهم وتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وأن أهل الإفراط والتفريط المسيَّس هم :

مجموعات العمل الفكري المسيَّس الغالين في الأحكام ، أو الجافين من شأنها من كل الفئات ، المنطلقين من ثائرة الحقد والانتقام والعداوة والثأر ، أو الطاعنين في رجال الحصانة الشرعية والقاسطين ، والناكثين والمارقين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

إذاً تجتمع كافة المذاهب المنتمية إلى مفهوم النمط الأوسط في منطلقها السياسي تحت سندٍ علميٍ وشرعي واحد منبثق من مشكاةٍ واحدةٍ وهي مشكاة النبي ﷺ واضع أُسس المدرسةُ النبوية الأبوية المصانة بالعصمة والوحي وتتفرع في القواعد والفروع .

١) مدرسة الخلافة الراشدة :

الجامعة لأصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته والأنصار والمهاجرين ، الذين حصّنتهم النصوص ، ووجّهتهم سلطة القرار الشرعي الواحد، ومن تبعهم بإحسانٍ من غير إفراطٍ ولا تفريط

٢) بقية السيف وسادة الصلح الواعي:

الحامل لواء السلامة من خلال الاهتمام بقرار العلم والنبوة بُعيد صلح الإمام الحسن رضي الله عنه .

٣) بقيّة السيف وسادة الصلح الواعي :

حاملي شعار المطالبة والخروج من خلال استعادة الربط بين قراري الحكم والعلم ملتزمين الحق في الاجتهاد المشروع .

ويخرج من هذا التعريف كآفة المنتمين إلى طرفي الإفراط والتفريط من كلا الطرفين(طرف السلامة وطرف المطالبة) السابق ذكرهما ...

فالأئمة الأعلام من ساداتنا آل البيت كلهم يدخلون في تعريف (النمط الأوسط) وهو التعريف الذي ينفي (الغالي المفرط والجافي المفرِّط) .

وما جرى للخارجين منهم على القرار إنما كان خروجاً على الظلم في مواقع القـرار ، ولـيس إفراطـاً ولا تفريطاً بل اجتهاد مشروع تكوّن لديهم بالأدلة التي رجحـت بعلمهـم وتجـربتهم ، وتناسـبت في مرحلتهم رضي الله عنهم وأرضاهم ، وانتهى هذا الاجتهاد بشهادتهم وموتهم رحمهم الله .

والنمط الأوسط ومواقف الأئمة الكرام ومن سار في دربهم وتأدب بآدابهم وانطوت محبته على الالتزام بهديهم ، وبهذا التعليل تحدد المجموعات الواعية لمفهوم (النمط الأوسـط) داخـل خِضـمّ التحولات والصراعات عبر الأزمنة كمنهجٍ شرعي واحد لا ثـاني لـه يـدخل في دائرتـه كافـة الأمـة المسلمة الملتزمة بمنهج(النمط الأوسط)،

والتي لا علاقة لها بسياسة الملك العضوض ، ولا بالغلوا أو الإفراط الناتج عن مواجهة سياساته ممن ساروا على قاعدة (لكل فعلٍ ردة فعل) ، فالنمط الأوسـط لا ينطلقـون مـن هـذه القاعـدة ولا يعالجون الأمور من خلالها لأنها تختلف عن درجـات السـمو في التقريـر القـرآني في هـذه المسـألة ، فالحق سبحانه وتعالى يقول : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) الشورى: ٤٠

وهذا ما نُسمّيه بقانون الفعل وردة الفعل.

وأما قانون النمط الأوسط فهو ما حملته : { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّـالِمِينَ} والعفو لا يكون إلا بعد القدرة على الردّ ، ورد الصّاع صاعين ولو من بعض الوجوه ؛

وبعد العفو تكون المشاركة في الإصلاح والبناء والتنمية مما يتناسـب مـع شرف المـنهج وعدالـة المطلب وفي شأنه يقول المولى سبحانه وتعـالى : { وَلا تَسْتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلا السَّـيِّئَةُ ادْفَـعْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) } [فصلت: ٣٤]

فالعداوة الناشئة عن الاختلاف مسألة طبعية وهي سبب الفعل وردة الفعل .

وأما قوله { كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } فهذه المواقف الأخلاقية الشرعية ضد طموح وجموح الطبع و الرغبة .

والذين التزموها حقاً في المدارس الإسلامية المتعددة هم أهل النمط الأوسـط الـذين ينطبـق علـيهم قوله : { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } : [فصلت: ٣٥]

والنص الشرعي : { خير الناس هذا النمط الأوسط ... } الحديث دليل كافٍ للربط بين المعاني الراقية وحملتها الأوفياء؛

أما ما يليق بغيرهم من طرفي الإفراط والتفريط فهو شذوذ خرج عن القاعدة الأصلية وما يتبناه الشيطان ليكون وقوداً للتحريش والإثارة والاختراق وقد اخترق الواقع الإسلامي قراراً وعلماً وحياة وتحقق به القلق والفوضى والحرب والفتن ومهدت به العقول والقلوب ومنهجية التمرحل لقبول فتنة المسيخ الدجال الأعور طوعاً أوكرهاً . اهـ[1]

فالنمط الأوسط هو :

النمط المعتدل بين طرفي الإفراط والتفريط عبر الأزمان والمراحل وتطورات التأريخ سلباً وإيجاباً ؛ هذا هو النمط الحامل للمنهج الصحيح والمحافظ على بيضة الإسلام في مراحل الزوابع ، بل هو حامل سر الأصالة في مراحل استشراء فيروس العمالة ، إلا أنه تيار بسيط الحركة ، ضعيف الأثر أمام التكتلات والانقسامات والانهزامات . اهـ[2]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَحَوُّلاتْ :

وأرشدني إلى أهمية الاقتداء والاهتداء ودراسة حياة صفوة الناس أهلِ النمط الأوسط الذي تستقيم بهم قناة الشُّعوب المسلمة ؛

وتحيا بهم الأرواح المؤمنة ، وتترقى بهم الذوات المحسنةُ ، من إذا رُؤوا ذُكرَ الله ، الذين قال الله فيهم :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ يونس: ٦٤

---

[1] باختصار من النمط الأوسط ص (٧٥ ــ ٧٨).

[2] المواجهة السافرة ص (١٢٥).

هؤلاء هم الصفوةُ ليسوا طُلاَّبَ حُكمِ الرقاب ، ولا طُلاَّبَ علمٍ يستثمرون السنـةَ والكتـاب ، ولا تجارَ مالٍ يسعون للأربـاحِ من كل بابٍ ، وإنما هم أمثلة الالـتزام وحملةُ منهجِ السلامةِ من الأنام ، همّتهم مشغـولةٌ بأمر الآخرة والاستعداد لها أكثر من اهتمامهم بالحياة وما عليها ، إن تبوَّؤوا منصـباً فللخدمةِ ، وإن طلبوا علمـاً فإبراءً للذمـةِ ، وإن سـعَـوا في مناكب الأرض للرزقِ فشـكراً للنعمـة ، يصرفون الأوقـات والذوات والأمـوال والجاهات لإصلاح ما فسد وإنقاذ ما تبدد[1].

عَــلَّـمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ:

أن لمدارس الإفراط والتفريط معالم امتازت بها عن مدارس السلامة المنتمية إلى النمط الأوسط بما يلي : ١) الرغبة في الوصول إلى الحكم ولو على سبيل الخداع والكذب والتزوير .

٢) الجرأة على القتل و الانتقام وافتعال المواقف المفضية إلى الفتن والحروب .

٣) الجرأة بالفتوى بما يُصِم المخالف ولو بالكفر .

٤) تحريف النصوص وإعطائها مدلولاً مناسباً لمواقف الإفراط والتفريط .

٥) العمل المضاد بعناد وتصميم وعدم تنازل أو مهادنة في سبيل الامتلاك والسيطرة .

٦) تعميم فكرة الثأر للمقتول ولو على حساب التأريخ .

٧) سوء الضن في الأمة عموماً وفي الصالحين خصوصـاً والشـك المتعمـد في كـل موقـف وتصرـف وتفسير الوقائع والأحداث بما تمليه التصورات النفسية الحاقدة والحاسدة تحـت مـبررات التمحـيص والتحقيق والقلق على الدين والعقيدة وشرف الإسلام .ا هـ

كما امتازت مدارس النمط الأوسط بما يلي :ـــ

١) عدم الاشتغال بقضية الحكم والقرار إذا طرأ الاخـتلاف عليهـا والتنـازع إلا مـن بـاب النصـح والإصلاح .

٢) انعدام الجرأة على المشاركة في القتل أو الانتقام إلا دفاعاً عن النفس عند الضرورة .

---

[1] المهيع الواضح الميمون ص (٧٤ ــ ٧٥) .

٣) عدم التصدر للفتوى وصرفها إلى الغير .

٤) تقديس النصوص الشرعية وعدم مخالفتها والالتزام بما ورد فيها رغبة في حصول السلامة

٥) العمل على تهدئة الأوضاع ، وجمع الكلمة ولو بالتنازل عن الحقوق الخاصة لإقامة الحقوق العامة والاعتماد على ما عند الله من الأجر والثواب في الآخرة .

٦) عدم الدعوة إلى الأخذ بثأر مقتوليهم إلا بإقامة شرع الله في القاتل وحده دون غيره بحيث لا ينسحب الثأر على من والى القاتل بنسبة أو صحبةٍ عامة ، لقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ إلا إذا كان شريكاً له والاعتداء المباشر .

٧) الاستعاضة في ظروف الفتن والإثارة بنشر الدعوة إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والسمع والطاعة ولو تولى الأمر عبدٌ حبشي ــ كما ورد في الحديث ــ مع المناصحة للحاكم والمحكوم .

وعند التأمل الواعي في مبادئ الفريقين نتعرف على موقع الشيطان من مبادئ الإفراط والتفريط .

تلك المبادئ التي وصفها رسوا الله ﷺ بـ (التحريش) وهي سياسة العمل العالمي في الشعوب (فرّق تسُد) ..؛

وقال عنها في الحديث الصحيح :

{ إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم }[١]

٨) حسن الظن بالأمة عموماً وبالصالحين خصوصاً وإشاعة هذا المبدأ في التربية والتعليم والعلاقات وتحديد مفهوم سوء الظن بما يناسبه من شروط الأخذ بالحيطة والحذر ، دون الإثارة والفتنة والتشهير وإصدار الأحكام المعلنة ضد الآخرين .ا هـ [٢] ..

---

[١] أخرجه مسلم .

[٢] النمط الأوسط ص (٢٢٢ ـــ ٢٢٣) ط (٢)

عَــلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أنَّ آل البيت شجرةٌ مباركةٌ بإرادة الله فقط ، وبإرادة الله فقط ، ولن تقوم بركتها بإفراط المحبين ، ولا تسقط قيمتها ببغض المبغضين ،

فهذان الطرفان يختصمان ويتنازعان ويُحشِران كتاب الله وسنةَ نبيه ﷺ في معركة الصراع بينهما ، كما يُفسران حوادث التَّأريخ ــ التي كانا طرفاً فيها ــ وِفق الأمزجة والعواطف والمصالح ، مُستثمرين : (آل البيت) ــ كاستثمارهما للقرآن والسنة ــ وقوداً لإنجاح معركة البُغض الطائفي والعرقي فيما بينهما ، ولو على حساب إخراسِ آل البيت أنفسِهم ، فالتحدي لا يسمح بالتنازل ، كما أنَّ التَّعدِّي يخلط الحابل بالنابل[1] .

عَــلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أنَّ حُب آل البيت ومدرستهم قضية الإسلام كله ، وليست قضية مذهب بعينه ..

والمذهب الإمامي هو أحد مذاهب الأمة وليس بديلاً عنها .. والذين يصرّون على احتكار الديانة داخل مذهب بعينه .. هم أولئك الذين لا يهمهم من أمر الأمة غير إحراجها ، وهدم الإسلام عليها .. ليبقى تسييس مفهوم آل البيت .. البديل .. ولا غير ، وهذا احتكار استثماري صارخ ..

وإذا ما اعترفنا ضمناً بأن المذهب الإمامي أحد مذاهب الأمة بل من أول مذاهبها الإسلامية .. فإنا لا نجعله بديلاً عن المذاهب الإسلامية ، ولا نمنع تفضيل أتباعه له على غيره .. فكل إناءٍ بالذي فيه ينضحُ ..

لأن وجهة نظرنا تشير إلى أن كافة المذاهب الإسلامية المعروفة في التأريخ تجعل من آل البيت سُفُناً للنجاة .. إلا ما شذَّ منها أو منهم .. والشذوذ ليس قاعدة ..

---

[1] النمط الأوسط ص (١٧)

والمقصود بسفن النجاة .. أي : المرجعية عند الاختلاف ، ووجود المخارج الأبوية عند الاحتدام . والمخارج الأبوية التزام أدب النبوة مع الجميع ، وعدم السقوط في طرفي الإفراط والتفريط .

وبهذا نجد أن كل المذاهب تحتاج إلى آل البيت ، ولا ينحصر آل البيت في مجموعة إقليمية معيَّنة ، ولا في رؤيةٍ مذهبيَّةٍ محددة اللهم إن انطواءهم ضمن المذاهب كلها أمر بديهي حيثما نزلوا ودرسوا وتعلموا ..[1]

علمني فقه التحولات :

أنَّ للنمط الأوسط وجهة نظرٍ واضحة حول طرفي الإفراط والتفريط وموقع الشيطان من طرفيهما ..

إلا أن هذه المدرسة بطبيعتها لا تَنْحَى مَنْحى الآخرين في الإثارة وتفعيل الصراع ..

وإنما تسعى إلى المعالجة ودرء الفتنة والتنازل النسبي عن الحقوق الذاتية مقابل إقامة الحقوق العامة وسلامة المجموع ..

وهذا ما لا يفهمه الانفعاليون حتى من داخل الدائرة الواسعة لأتباع النمط الأوسط ، وأقول : [الواسعة] لأن هذه الدائرة لها أتباع ومعجبون ومؤيدون ..

والفرق الذي نحن بصدده أن سلوك رجال النمط الأوسط قد يختلف كثيراً عن طباع المعجبين والمحبين والمتعلقين والمؤيدين ..

وعسى أن يُفْهَم هذا بمعناه الصحيح [2].

علمني فقه التحولات :

أنَّ العدو يستثمر المحب المُفرِط والمبغض المفرِّط ؛

والمحبَّ المُفرطَ والمُبغض المُفرَّط ذراعا تسييسٍ هالكتان يخترقهما العدوُّ المستثمر لإطالة رحلة الغربة بين المسلمين وإسلامهم ، ولإضعافهم جميعاً وإشغالهم عن لُبِّ الديانة وأهداف التَّدين ،

---

[1] باختصار من الوثيقة ط٢ ص (١٩٠ ــ ١٩١) .

[2] إهـ من كتاب : المواجهةُ السافرة ط١ لعام ١٤٢٨ هـ ص[١٢٦_١٢٧] .

وقد نجحَ هذا المشروع أَيَّ إنجاحٍ ، وبرزت فاعليَّـته في العالمين العربي والإسلامي منذُ زمنٍ بعيـدٍ ، واستفاد منه الشيطان أيَّ استفادةٍ[1] .

النمط الأوسط .. شعارات ودلالات :
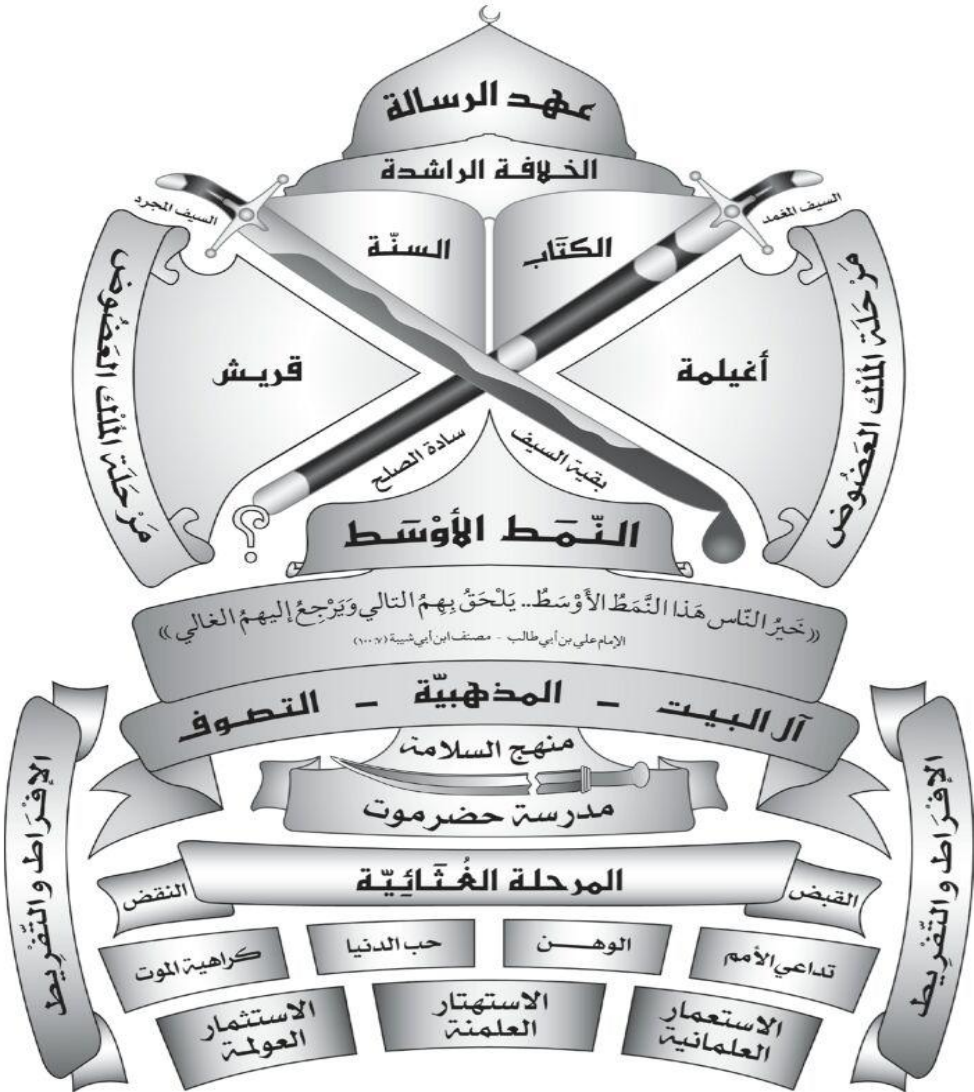
النمط الأوسط.. شعارات ومدلولات

[1] أهـ النمط الأوسط ص (١٧) .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ:

أنَّ النمط الأوسط من رجال السلامة يرسمون مبادئ السلام والرحمة والمحبة ولو كانوا مظلومين في عالم الحياة ؛

ليموتوا على الإسلام والديانة ، وينتصروا لحقوقهم المسلوبة بين يدي الله ، وخصوصاً إذا كان الظالمون في جنسهم وعقيدتهم من الذين يستدلون على الظلم بما يُحرِّض الشعوب ضد أهل السلامة بتحريف المعاني والنصوص ، ويُركّبونها شططاً ويبغونها عوجاً ، والإسلام الحنيف يرسم السلامة في الدنيا بالصبر والتحمل والعفوِ والصفح بين المسلمين ، ويَعِدُ الرضى وأعالي الجِنَانِ يوم الدين على ذلك ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ .

إن تقديرنا العالي لنمط السلامة في تاريخنا الإسلامي سَيُسهِم في كل الأحوال في ترسيخ حُسن الاقتداء والاهتداء والسير بهم على طريق السلامة في الأمة ، كما أن إدانَتَنا الواعية لنمط الإفراط والتفريط سيجفف منابعهم ، ويُخَفِّف حِدَّة التوتر لدى المُغَرّر بهم ، والمستغفلين خلفهم بجاهٍ أو طموحٍ أو عُقدةٍ أو مصلحةٍ أو جهلٍ مُرَكّبٍ أو غير ذلك[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ:

أنَّ الحديث عن النمط الأوسط لا يُنازع رجال سُلطَةٍ على سُلْطِتِهم ،
ولا رجال حُكمٍ على دوائر حُكمهم ، ولا على ذي مصلحةٍ ذات اعتبارٍ في هذا العالم على ترك مصلحته ؛وإنما هو كشفٌ لحقيقةٍ حُجِبت عنها الشعوب ،

وارتكس في مُنازعتها حَمَلة القرار بإدراكٍ وبغير إدراكٍ ، بل وقع فيها الأغرار من طرفي الإفراط والتفريط في المدرسة الأبوية ذاتِها ، وفات على الجميع بذلك خيرٌ كثيرٌ ومكسبٌ كبير ، ولم تكُنِ البدائل في المستوى المناسب ، بل لم تكن تُمَثِّلُ الأمانة الشرعية في خدمة الواجب ، ولعل هذا جزءٌ من مسيرة القضاءِ والقدر ، فلا اعتراض على أمر الله ومُراد الله ، ورُبَّما يكون هذا سوءَ فَهْمٍ عندنا لِمُجريات العلم بِسَيرِ القضاءِ والقدر ،

---

[1] النمط الأوسط ص (٢٢٤ ــ ٢٢٥) .

فكان الشيطان هو المُنَفِّذ والمستثمر، وكانت الشعوب وحملةُ القرار فيها هُمُ الضحايا وهم المستغفلون في خدمة المشروع الأنوي العالميِّ [1].

عَلَمِيَّة فِقْهُ التَّحَوُّلات:

أن مزية آل البيت كونهم: (سُفُنَ النَّجاةِ)؛

كما سمَّاهم النبي ﷺ، وهذا المُسمى لا ينحصر في أوائلهم، بل يشملهم جميعاً بشروطٍ متفاوتةٍ، ومنها:

تهيئةُ هذه السُّفنِ للنجاةِ بما جاء به ﷺ من عِلمِ الكتابِ والسنة والأخلاق، وهما الثلاثي الذي أشرنا إليه سلفاً من مدلول الآية:

[أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّة]، حيثُ إنَّ خصوصية النجاة مرتبطةٌ بالجمع بين شَرَفِ الذَّوَاتِ وشَرَف الصِّفات، والذَّواتُ شَرَفُها موهوب، والصِّفات شرفُها مُكْتَسبٌ، وبتحقيق الصِّفتينِ يبرُزُ أثر المعنى المُراد بالسُّفُنِ والنجاة بها.. [2]

عَلَمِيَّة فِقْهُ التَّحَوُّلات:

أن مصدر التحقيق من مفهوم سفن النجاة هو:

النظر في أسلوب التلقي عند آل البيت خصوصاً، فمتى يكون التلقي قائماً على منهج الأُبوَّةِ الخاصِّ كأساسٍ تربويٍّ وتعليميٍّ والتعليم الآخرُ ثانوياً وإضافياً فالخير والترقي التربويُّ مأمولٌ في الذِّريّة المباركة..؛

وأما إذا كان التلقِّي قائماً منذُ البداية على المناهج الخَدَماتيّة العامة والإعلام والثقافة المُسَيَّسة والتلقي الخاصِّ في الأسرة مُنعدماً أو متقطّعاً فالأمر يقف على المشيئةِ والسوابق، حيث لا يَضمن المرءُ سلامة آل البيت في توجُّهاتهم لِمُجرَّد الانتساب وحده، وهذا ما تعمل عليه وعلى شموله في الزمان عقولُ المهندسين العالميين وأتباعهم من وكلاء الهندسة المعرفية في الأمة، وهو

---

[1] النمط الأوسط ص (١٤٢ ــ ١٤٣).

[2] إهـ من كتاب: المهيع الواضح الميمون ط١لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤م ص[٩٠].

إذابـة كافَّـة الخصوصياتِ الأدبيـة والتربويـة والثقافيـة الخاصّـةِ ضـمن الإطـار الرسـمي العـام ومناهجه الخدماتيـة ، حتى يُصبِح الجميع على مُخرَجٍ تعليميٍّ وثقافيٍّ مُـوَحَّد ..[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أنَّ الصـراع المذهبي والاعتـقادي والطبقي والطائفي إنمـا هي :

مُخرجـاتٌ شيطـانيـةٌ دجـاليـةٌ لا تُمت إلى الإسـلام ولا الغـيرةُ عليـه ولا حتى لإعـادة الحـقِّ إلى نصـابه ، وغـالباً ما يتبنـاهُ الأغرار والأشـرار والمُندفعـون أو المُنْـتفعـون الـهـالكـون .

ولـن ينعم أهـل الـبيت من فريق الشيعـة وآل البيت من أهـل السنـة ولا غـيرهم مـن الطـوائف المتنازعـة بأمنٍ ولا أمـانٍ ولا ديـانـةٍ ولا عبـادةٍ ولا حتى ضمـاناً للـموتِ على حُسنِ الخـاتمـة : إذا ظلّ صـراعُ الـثّـارات رائـداً ولـهيب الـطّـائفيـينَ قـائـداً .

لأن هـذه الأسـاليب حِيَـلُ الشيطـان لِـدَمـارِ الجميـع ، وهـي الـمِـرْآةُ العـاكسـة في كـل مـرحـلةٍ ووسـائـل الشيطـان في الشعـوب سـواءً كـانت شُعُـوباً مسلمـةً أو شعـوباً غـير مسـلمةٍ ، فالصـراع والتكتل عين النجاح لسياسـة الـدمـار لـدى إبلـيس وبـه تحقـق مقتـل هـابيل في سـابق التأريخ[2] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أنَّ عـوامل الانسـلاخ الرئـيسـية عن منهج النمط الأوسـط سـتـة : ـــ

١ . تـحوّلِ العالم العربي والإسـلامي عن مـرحــلة القـرار الواحـد إلى القـرار المُــجزأ بحيـث يصعب على المسلمين اتخـاذِ قـرارٍ مُـوَحَّـدٍ .

٢ . امتلاك العالم الغربي قرار المـرحـلـة وتسيـر دَفَّـةِ الشعـوب فيها مع تسـيـير دَفَّـةِ الأنـظمـة ومُـخرجـاتهـا.

---

[1] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١ العام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٩١].

[2] النمط الأوسط ص (٢٣٨) .

٣. إضعاف الدراسة والثقافة الإسلامية الأبوية بكافة أنماطها وإدخالها في مفاهيم (التطبيع والتسييس) لقبول ثقافة الآخر مقابل نفي وتجفيف منابع الثقافة الإسلامية الأبوية .

٤. تشجيع الرؤى الإسلامية المُسَيَّسة والمتناقضة لاستلام العالمية وأشياخها لإنجاح سياسته ورُؤيَتِهِ

٥. تسخير الوسائل الإعلامية المُتَنوعةِ لكشف مُتناقضات وعيوب وأخطاءِ وإفراطِ وتفريط المدارس الأبوية ، ونقضِ ثقة الأجيال الحائرة بِمَنْهَجِيَّةِ الإسلام المُتوارثةِ من خلال المتناقضات وحَجبِ المحاسن والفضائل .

٦. دفعِ الأجيال التعليمية والثقافية من أبناء وأحفاد المدرسة الأبوية بعد انقطاعهم عن منابع مدارسهم التقليدية إلى الدراسات العلميّة الحديثةِ المُجَرَّدةِ عن الارتباط بالثقافة الأبوية خصوصاً وعُموماً ، وتَزيينُ علمِ الخدماتِ وإثارةِ العواطف كَبَديلٍ عن علوم الدِّيانةِ الشَّرعية وأخلاقها ، حتى تلين العرائكُ .. وقد لانت .

وبهذا وبمثله وأمثاله من سياسات الغثاء والوهن برزَ في واقعنا المعاصر نماذجُ الرافضين والمنسلخين والشاتمين واللاعِنين والمتربصين وهَلُمَّ جَرًّا ، وكثيرٌ منهم لا يعلمون أنهم قد خُدِعوا واستأثر الشيطان بِعواطفهم لتدمير بِناءِ دينهم وشِرعَتِهم ، ولو عَلموا ذلك ما فَعَلوا شيئاً ممّا هم عليه وإليه ،﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢

لقد اشترك المئات والآلافُ من أبناءِ الإسلام في معركة الهدم ضد مدارسهم الأبوية وهم يعتقدون أنهم ينصرون الملة والدعوة في الإسلام ويطهرونها من الإفكِ والشرك والبدعة والخيالاتِ والاستحضارات وعبادةِ الذوات والجهالات الخ ..

والحقيقة السياسية أنهم يُنفِّذون خُطةً سياسيةً ضد هوياتهم التاريخية والإسلامية ، وتحت سمعِ وبَصَرِ خُبراءِ التسييس والتدنيس ، وقد حققوا في مسيرتهم

الانسلاخيـة أوسـع مـسـاحـات الاسـتثمـار في الإنسان رجلاً وامـرأةً وفي الـواقع الـمُـعاشِ وفي الثقـافـة والعِـلمِ وفي الغايـة والمصير وإلى (جُـحْرِ الضَّبِّ)[1].

عَـلَـمَـيِ فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أن علماء الفتنة لهم علامات أفصح عنها خير البريات منها :

١) الطعن في السلف ولعن آخر هذه الأمة أولها .

٢) طمس آثار أهل البيت النبوي ونكران شرفهم وغمط حقوقهم .

٣) تلمس العيوب للبراء من أموات وأحياء .

٤) التطاول في البنيان والانشغال بجمع الحطام وتلمس الدنيا بالدين .

٥) قسوة القلوب وغلظة المعاملة مع أهل الإسلام مع تيسير أسباب التعامـل مـع الكـافر وإجلالـه وإعظامه من أجل الدنيا .

٦) الإسراف في المآكل والمطاعم والملابس ومظاهر الحياة .

٧) السكوت عن مصارف الزكاة الشرعية في الإسلام وتلمس الأوجه الفاسدة لتبديدها في المصـالح الغرضية .

٨) فشوّ الوهن والدعة والكسل وحب الدنيا.

٩) التجروء على الفتيا والقول في المسائل بالهوى .

١٠) إخراج النصوص القرآنية والنبوية عن معناها الأصلي لخدمة الرؤى والفكرية الهادمة

١٢) السكوت عن المعاملات المشبوهة من الربا والرشـوة وتسـميتها بغـير اسـمها غشـاً وخـداعاً . وفشل الكل عن إيجاد الحل الاقتصادي الإسلامي .

١٣) قبض العلم وحبسه في المنهجيات الموجهة وفشوّ الجهل بحقـائق السـعة الشرـعية في الأصـول المتبعة .

١٤) تخوين الأمين وتأمين الخؤون ومدح رب المال وعبادته .

---

[1] النمط الأوسط ص (١٢٢ ــــ ١٢٤) .

ظهور حدثاء الأسنان الذين يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة .

علماء الفتنة يصدق فيهم تحذير الرسول ﷺ في قوله : { إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان } إهـ .

قلتُ وهذ الحديث يبرز لنا من كلام الصادق المصدوق نموذجاً خاصاً من علماء اللسان الذين تخوف رسول الله ﷺ من فصاحتهم وبلاغتهم وقدراتهم المعرفية ، حتى أنهم يأخذون باللب ويستدرجون السامع لاتباع أهوائهم وتوجيهاتهم وأفكارهم المنحوتة بدلائل مغلوطة ومحرفة عن معانيها الأصلية[1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن من نماذج مدرسة النمط الأوسط : مدرسة حضرموت وأنها جزماً تحمل صفة العالمية :ـ

إن تأكيدنا الجازم على حمل مدرسة حضرموت صفة العالمية تبيّن لنا ولغيرنا بيقين مدلولات الفرق بينها وبين غيرها من مدارس الإفراط أو التفريط ، المدارس المنقطعة عن مدلول العالمية الشرعية والقائمة بقوة السلاح أو المال أو السلطان قديماً وحديثاً إلى مرحلتنا المعاصرة .

ولتأكيد هذه العالمية الشرعية نُشير هنا إلى ضرورة الدعوة الجادة إلى إحياء ثوابتها في الأحفاد والأتباع لتظل مُستمرة العطاء وجيدة الأداء ، ولأجل هذا نضع للقارئ مجموع الشروط التي قامت عليها مدرسة حضرموت لتحمل لواء العالمية منذ ذلك الحين ، وما يجب علينا إتمامه اليوم والقيام به لإحياء منهج العالمي الشرعي الميمون :

١ ـ مبدأ الهجرة في سبيل الله وخدمة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والخروج من دائرة الفتن كخروج المهاجر إلى حضرموت .

٢ ـ مبدأ السلامة وعدم التدخل في الصراع الدائر بين الطوائف والمذاهب والفئات والدمج المباشر بين طلب العلم ونشر الدعوة والتزام منهج التربية .

---

[1] إهـ من كتاب كشف الأقنعة ط ١ لعام ١٩٩٣م ص [٣٤ ـ ٣٥]

٣ ـ الالتزام بمنهج أئمة النمط الوسط من المعاملة بالقواسم المشتركة بين الفرقاء وإشاعة الأمن الاجتماعي والتعايش السلمي .

٤ ـ البحث عن المخارج والحلول العلمية والعملية المساعدة على تجنب الاصطدام مع حملة القرار أو كُتل الصراع المستثار .

٥ ـ إشغال الأتباع بمبدأ نشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة تربيةً وتعليماً وتوجيهاً ومعاملةً في الداخل والخارج .

٦ ـ تجسيد مبدأ الاكتفاء الذاتي في الرزق والمشاركة في التنمية الاقتصادية بالعمل الزراعي وصناعاته الحرفية التحويلية .

٧ ـ تحييد منبر الخطابة والتعليم عن التدخل المباشر في حومات الصراع السياسي أو الفكر المتمرحل ، ووضع ثوابت دعوية ومنبرية وتعليمية لتحديد لغة الخطاب .

٨ ـ تنمية وتطوير مبدأ الزهد أو ما يُسمى بالذوق الصوفي سواءً فيما يتعلق بالمدرسة أو بالطريقة ، وتقعيد فهم الزهد في موضع القرار ، ومواطن الفتن وأربابها ، والزهد في حمل السلاح أو المشاركة مع حملته

٩ ـ حُسن التعبير عن رأي أئمة الطريق في شأن المستقبل ، ودور المدرسة وأتباعها في الولاء والانتماء ، واعتماد نصوصهم المثبتة في أقوالهم وأشعارهم .

١٠ ـ تجسيد ثوابت الطريق الخمسة ـ العلم والعمل والإخلاص والورع والخوف من الله ـ كقاعدة بلاغ وإبلاغ لنشر الدعوة إلى الله . إ هـ[١].

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن مفهوم هذه الأمانة هي العلوم المُتلقّاة من علم الصدور وليست من علمِ السُّطور ؛

فالعلم المُتداولُ حتى في علوم الدين يُعتبَرُ من علم السُّطور ، يُحسِنُه البَرُّ والفاجر والمسلم والكافر باعتبار العلم المكتوب وسهولة الحصول عليه وتعلُّمِه وتعليمه ، وهو أيضاً العلمُ الفرضيُّ الواجب تعلُّمه على كل مسلم.

[١] الرسالة الشخصية ص (٥٤ ـ ٥٥) .

أما علم الصدور فهو إكسيرُ المعرفـةِ وكُنهُ بركتها وهو ما يتحصَّلُ عليه كثمرةٍ من ثمرات التحقق بالعلم الفرضي الواجب والزيادة عليه بالنوافل في الطاعات وكـمال الأدب في العلاقـات ، قـال فيـه تعالى : [بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ].

وقد أشكل هذا المفهوم على كثيرٍ من حملة ومُثـقّفي المـدارس والإعـلام ، وشَـنُّوا النكـير عـلى هـذا المفهوم الخاصّ بعلم الصُّدورِ ، وفاقد الشيءِ لا يعطيـه ..

وأساس علم الصدور بعد الارتباط بمشيخته هو : آدابٌ ظاهرةٌ وآدابٌ باطـنةٌ وأخلاقٌ مُستمدةٌ من سلوك المتبوع الأعظم ﷺ ولا علاقـة لها بمراتـب التعليم ولا الشـهادات ولا الوظـائف ولا مـا يترتَّبُ عليها من المظاهرِ الاجتماعيـة والأكاديميـة ..[1]

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلات :

أنَّ السّيـادة المُبَشّر بهـا الإمـام الحسن بن علي عليـه السلام :

لـم تكن خـاصـةً بشـرف الـذوات فحسب كمـا هي في أشـباهـه وأمثالـه من أهـل البيـت علـيهم السلام ، بـل هي سـيادة خـاصـة ذات ارتـباط بـموقفٍ سياسي في الأمـة مـستديم النفـع والتـأثير لمن : ﴿ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾؛

بـل هـو مـوقفٌ أخـرج الـنمط الأوسـط في نموذج من نماذجـه عن سـيادة قـرار الحكـم ، إلى سيـادة قرار العلم والـوراثـة الشـرعيـة ، لـمدلـولات العـدالـة وصحـة الأسـانـيد فيمـا جـاء بـه النبي الأكـرم ﷺ من مبـادئ السلام والعـدل والأمـانـة والصـدق وأعـمـال الـبر والتقـوى ، التي لا مجـال لـتطبيـقـها عمليـاً إلاّ بـمثل هـذا الـموقف الخطـير .

إنـه المـوقف الـذي حفظ الله بـه الإسـلام في الأمـة ، وحفـظ بـه دمـاء المسلمين من الإهـدار في سبيـل الملك ، وعـصم بـه الرجـولـة والعلم والـوراثـة مـن الضيـاع في معـتـرك الأَسِـنّـة والـرمـاح .

---

[1] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١ لعام ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٤ م ص [٩٢ ـ ٩٣].

ولعل الـذين لا يهمهم من الإسـلام إلا كـرسـي القرار وسلطـانـه لا يروق لهم مـدلــول السيــادة التي يشير بهـا النبي ﷺ، ولا تسـتأنس نـفوسهم إلى ثمـراتـهـا ..؛

لأن الـسيادة مِـنْحَـة ومـوهبـة، وليست اجتهـاداً أو فهماً من فـهـوم العقل أو النقـل ، فــذهب الكثير من هـؤلاء خلف شـروط الفهم العقلي والـنقلي يقيـدون السـيادة ويُطوعـونـهـا للـدمـاء والحرب والانـتقـام والأخـذ بالثـأر في مـيـدان لا يـوجـد فـيه القـاتـل ولا المقتـول لا حِسّـاً ولا معنى .

لـقـد كـانت مـواقف الإمـام الحسن عليـه السلام قـائمـةً عـلى دراسـة الـنصـوص ولـيس على انـدفاع المـحبيـن ولا ضغـوط الـمبـغضيـن الـمنـازعيـن ، سـواءً بـعد تـولـيـة الخلافـة ، أم قبل تـحمّـلـه أعبـاءهـا ومسؤوليـاتهـا [1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أنَّ قرار الصلح مقابل حِفظ الدماء وصون الأعراض من الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما كان قراراً مُـهِماً في ذاته ؛

فصـل بِـه الإمام قرار العِلم الأبـوي الشرعي ــ عن قـرار الحُكـم العضـوض ـــ فظـلَّ الحِفـظ المشروع مُرافِقاً لقرار العلم الشرعي بيد (آل البيت) ومن اندرج في مدرسـهم العالميـة ، وهذا معنـى من معاني (سُـفُن النَّجاة) لأن الإشارة في الحديث إنما تؤكِّـد موقـف آل البيـت (كَـسُفُن) في حالـة طلب(النَّـجاة) والنجاة في السفيـنة يُـعبَّـر عن حالة عامـة من الغرق .. وقد حصل الغـرق في تلكـم العصور بما لا يحتاج إلى تفصيل ..فكان لابد من موقف زُهدٍ في هذا المُحيط العاتي والطوفان المُدمِّر ..

فالموقف من الإمام الحسن إنقاذ لِما يجب إنقاذه ، وهو موقف زهد فيما لا حاجـة له ساعـة النجـاة .. وأما غيره فقد رضي ما رضيه (كنعان)أي ـ ابن سيدنا نوح ـ لنفسـه ساعـة قوله لأبيــه : [سَـآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَـوْجُ فَكَـانَ مِـنَ الْمُغْرَقِين]..[2]

---

[1] بتصرف من سـلامـة الـدارين ص (٥١ ــ ٥٤) .

[2] إهـ من كتاب : الزوبـعة العاصـفة ط١لعام ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥ م ص [١٣٦ـ ١٣٧] .

أن مرتكز صلح الإمام الحسن الذي صار به سيداً في أمة القرآن والسنة هو :

ما قال فيه سيّد المِلّة ﷺ مستبقاً للحادثة ومقدّراً موقف السيادة لابنه الحسن : ((إن ابني هذا سيِّد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)).

وفيه إشارة واضحة إلى أن الخروج ــ من الفتنة السياسية ــ ولو بالتنازل عن الحق المُجمَع عليه ، في سبيل المصلحة العامة خَير من التعصُّب على أخذ الحق بالقوة متى ما كان فيه مغامرة بدماء المسلمين .

وكان صلح الإمام الحسن وقايةً ودرءًا من الفتنة السياسية الهالكة المُدمِّرة التي لا مجال لصدِّها لو لم يقم رضي الله عنه بهذه المعالجة (طلباً لِما عند الله) .

والطلب لِما عند الله هدف غائي عظيم قطع به دابر المجد الصوري والحظ النفسي_الطبعي ، وغلَّب به أمر الآخرة على أمر الدنيا لشرف ما عنده من الارتباط المعرفي بمولاه وموعوده الحق ؛

بل وترتب على موقفه المتميِّز معرفة الرحمة الكبرى في عاطفته الجيَّاشة للأمة من خطر الفتنة واستباحة الدم فيما لا يستحق الأمر فيه ذلك .. وخاصة بعد وضوح الأمر وإصرار المفتونين على المضي قُدُماً في معركة الهلاك والدمار للإسلام وأهله تحت فقه المبررات والمغالطة المعهود .

لقد عمل الإمام الحسن رضي الله عنه في مرحلته المتميِّزة بمبدأ :

(انقاذ ما يمكن انقاذه)

فأرسى بهذا المبدأ سلامة السفينة وسلامة ركّابها ، وكان من بركاته وسلامة قراره ظهور الاجتماع والألفة بين شرائح الأمة في صورتها الشعبية ، وإعادة النظر في ميراث النبوة العلمي وخدمته بعيداً عن الفتنة السياسية وملابساتها ومبرراتها ومغالطاتها ، والتي سارت في إطار فتنة الحُكم ومتعلقاته معلومةً في أتباعها ومميزةً بأصحابها ودعاتها وحملة وسائطها ووسائلها جيلاً بعد جيل على مدى التاريخ المنصوص عليه في أحاديث فقه التحولات بمرحلة الملك العضوض[1] .

---

[1] إهـ من كتاب :إظهار العلم المكنون ط١ لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥ م ص [١٠١_١٠٢].

أن خـروج الإمـام الحُسـين بن علي عليـه السـلام قـائمٌ على ثـلاثـة أمـور :

- للإصـلاح في أمـة جده ﷺ.
- النظر في أمـر أهل العراق واختـبـار صـدقهم فيمـا وعـدوا بـه دون تـجيـيشٍ لـحرب ..
- حـفظ الحـرم من أن يُـستحـل بـه بعـد بيعتهم المـزعـومـة .

والأمـر الراجح في خـروج الإمـام الحسين رضي الله عنه وأنـه للإصـلاح في أمـة جده قـولـه للـقوم حين نـزلـوا كـربلاء ، اختـاروا واحـدة من ثلاث :

* إمـا أن تدعـوني فأنـصـرف من حيث جئت .
* وإمـا أن تـدعـوني فأذهب إلى يـزيـد .
* وإمـا أن تـدعـوني فألـحق بالثـغـور .

فـكـان ردهم عليـه : لا ولا كـرامـة حتى تُـبـايـع ، أو تسـتسلم ، فأبي الإمـام الحسين رضي الله عنـه ذلك فكـان مـا كـان .

إن مقتل واسـتشـهـاد الإمـام الحسين رضي الله عنه مـرحـلة تحول في حـيـاة الأمـة ، لا تقـف عند مجـرّد روايـة الاقـتـتال وتفصيـلاتـه ، وإنـمـا ترتبط بقراءة النصوص الـمعبرة عـن الحـادثــة ، ومـا يـترتب عليهـا في فقـه علامـات الساعـة (فقـه التحولات) .

حيث أن مقتل الخـليـفـة المصطبر عثمـان بن عفـان رضي الله عنـه كــان مِفصـلاً ومـرحلــةً تاريخيـة خطيرة في حياة الأمـة وردت بـهـا الـنـصـوص ، ولـم تـكن مجـرّد موقـف شـعبي ضــد حـاكمٍ مُـعيّن .

فكـذلك مقتل واسـتشـهـاد الإمـام الحسين رضي الله عنه ، فلـه آثـار وردت بـهـا النصـوص حُـجّــة على طرفي الإفـراط (المحبين الخـاذليـن) ، وطـرف الـتـفـريط : (المبغضين القاتلين)[1].

---

[1] سلامـة الدارين ص (٥٦ ــ ٥٧) .

ولهذا فإن فقه التحولات المستنبط من معاني نصوص من لا ينطق عن الهوى ﷺ يؤكد أن الصراع القائم إلى اليوم بين المحبين الراغبين في الأخذ بثأر آل البيت ، والمبغضين المعاندين مسألة حق آل البيت ، إما بغمط حقوقهم أو بإقصائهم وعدم الاعتراف بهم ..

إنما هما نموذجان للعقوبة التي أصابت الأمة بعد المرحلة الكربليّة ، وثمرات دعوة مستجابة دعاها الإمام الحسين رضي الله عنه على الفريقين ما تناسلوا وما تنازعوا ، ولن يسلم من هذه الدعوة المستجابة إلا من اتخذ المنهج الأحوط والأسلم ، منهج أهل النمط الأوسط بصدقٍ وصبرٍ وسلامةِ اتباعٍ ، وهو النهج الذين نُدينُ الله به وندعو الجميع إليه عن دراية وطول دراسة [1].

علامتي فقه التحولات:

أنَّ موقف المحب والصديق من بعد انتهاء المعركة الكربلية مُجرّد موقف ذاتي ناتج عن عقدة ذنب وشعور نفسي بالإحباط من آثار الحرب ؛

ولا علاقة له بما كان الإمام الحسين وآل البيت محتاجون إليه ساعة النصرة ، المأمور بها من رسول الله ﷺ من قوله : ((إن ابني يُقتل بأرضٍ يُقال لها كربلاء فمن شهد منكم ذلك فلينصره)) .

فالزعيق والشهيق والصراخ الصادر عن المتخاذلين ومن يرغب في الأخذ بثأرهم: لا يخدم منهج الشهداء من سادة الصلح وبقية السيف ، وإنما يخدم الباحثين عن السلطة والجاه واستعباد الإنسان ، وقد فعلوا ذلك واستثمروه أفضل استثمار ، وأمرهم إلى الله .

وإنما الذي يخدم منهج الشهداء ، ويُحجّم موقف الاندفاع والانتفاع هو موقف الإمام علي زين العابدين صاحب الحق في طلب الثأر إن كان مطلباً مشروعاً لدى أهل النمط الأوسط ، فهو الذي عمّد وزكّى مبدأ الاعتدال المشروع والفكر الوسطي المجموع ،

---

[1] سلامة الدارين ص (٥٨ ــ ٥٩) .

والتفت إلى الحياة من حوله فوجدها تَغُص بالمتنمرين من طرفي الغلوّ المندفع والجفاء المنتفع ، فأشاح نظره الثاقب عن الجميع ليصنع السلام النمطي المتميز بالراغبين من الأتباع والأشياع وعموم المصلين وطلبة ميراث علم سيد المرسلين ؛

وتصدر ميدان المعركة العلمية في المساجد والمجالس ومواقع البذل الشرعي والعطاء المعرفي ، ليقيم صرح العدالة والإسناد ، وحفظ الأمانة في سائر البلاد ، وطأطأت لشرف موقفه الأبوي النبوي هامات أُلي السلطان المنقوض والعلم المقبوض.

واقتدى بهذا المبدأ النمطي المتميز أيضاً أئمتنا العدول وساروا عليه في المجتمع السياسي المتنازع ، وبه لا بغيره حُفِظت وراثة العلم الشرعي بعيداً عن طرفي الغلو والجفاء على مدى تأريخ الملك العضوض ودُوَلِهِ المتعاقبة ، وهذا الذي نهتم بدراسته من خلال النصوص النبوية ، والبحث عن أتباعه ومؤيديه في أبناء السلالة الشريفة الأبوية ، ومن تبعهم بإحسانٍ وصدق يقينٍ إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً [1].

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلات:

إن كافة المَسميات المحتشدة على حافة الصراع المذهبي والطائفي لا تخرج عن مفهوم الغُثَاء

الذي وصف فيه رسول الله ﷺ الزمان ، ولم يستثنِ ﷺ صوفياً ولا سلفياً ولا شيعياً ولا سُنياً ولا حِزبياً ولا حكومياً ..وإنما جمع الأُطُرَ المتنافسة كلها في مُسمى (الغثائية) ومسمى (الوهن) و(حبُّ الدنيا وكراهية الموت).

وكل هذه الصفات تُشيرُ إلى ضعفِ المُخرجات الفكرية دون المخرجات التعبُدِّيَّةِ لكل طائفةٍ ومذهبٍ .. والمَخرجُ من الإشكال للجميع :

أن يوجد ويبرُزَ الأبطالُ القادرون على إيقاف نزيف الدماءِ وصراع المُسَمَّيات والأسماءِ ،

---

[1] سلامة الدارين ص (٨١ ــ ٨٢) .

وإعادة شرف العلم والحلم الذي سار عليه رجال النَّمطِ الأوسطِ أنفُسِهم ، سواءً من حملة السيف المقاتلين به أو بقية السيف المقتولين بِـهِ ..

فالقتل بين الفريقين لا يُعالج قضيةً ولا يحلُّ إشكالاً ، بل يخدم سياسة التسعير الإبليسية بين الشعوب ، كما أنه يترك المحبين والمبغضين يدفعون بالشعوب نحوَ الهاويةِ والهلاكِ على غيرِ تَبصِرَةٍ أو بيانٍ شرعيٍّ ، ويُعَدُّ بلا شكٍّ تخاذلاً وفراراً من الزحف المشروع [1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتِ :

أننا هنا أمام دراسة نصية وفهمٍ مقتبس من فقه التحولات المشروع ، ولا علاقة لهذه الدراسة بالعواطف ولا بالعواصف السياسية ؛

والانتماءات المذهبيّة والانفعالات الطائفية والمماحكات التيارية ، فالمواجهة الأساسية هنا : عُمق النظر والمتابعة للنصوص المعبرة عن المراحل والمواقف والمعارك ، وعن الأنظمة وقادتها وعن الكتل وتوجهاتها ، فلا نجاة في الدارين إلا بمنهج العدول ، ولا مكسب في الحياتين إلا بالاهتداء والاقتداء بالسلف الأصول ، ولا سلامة من فتنة الشيطان والدجال وفتنة المحيا والممات إلا بالثبات عند كل معقول ومنقول [2].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتِ :

إن الذي نحن بصدده إعادة ترتيبٍ لمدرسة وتصحيحِ وضعِ طريقةٍ ، ومتى ما عني الآخرون بمهاجمتنا أو النيل من طريقتنا فلا نشتغل إلا بما يعنينا من الأمر كله ؛

فالمهاجمون متربصون ومسيَّسون ، ونحن لا نرغب في التربُّص بأحد ولا أن نُسَيِّس منهجنا وطريقنا ، وشتان بين المنطَلقين ، والعدل أن ندفع الشر عنا بالحكمة ، ونقيم منهجنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونُصرُّ على هذا المنطلق الصعب مهما تغيرت الظروف وأظلمت الأكناف

---

[1] النمط الأوسط ط٢ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧

[2] سلامة الدارين ص (٨٢ ــ ٨٣) .

والمراحل ، وهذا هو عين البِر للأسلاف ولمن ارتبط به الأسلاف متصلاً إلى أئمة آل البيت الأكابر إلى سيد الأمة ﷺ. إ هـ[1].

عَلَمَتنِي فِقهُ التَحَوّلات:

أنَّ السلف الصالح كانوا أئمـةً في الخير والهدى بل كانوا لا يرغبون الجدل ولا هدر الوقت في المناظرات والمحاججات ، وعماد أمرهم : على العمل ولا غير ..

يقول الحبيب أحمد بن حسن العطاس مُخاطباً أحد مُريديه : اجعل السلف الصالح نصب عينيـك واقتد بهم في حركاتك وسكناتك ، وإذا أردت فِعل شيء اعرضه على الشرع وعلى أحـوال السـلف وأفعالهم المقيدة بالشرع والذين هم على بصيرةٍ من الله في جميع أحوالهم ، فـإن بلغـك أن أحـداً مـنهم فعل هذا الفعل الذي أردته فافعله واقتد به ، وإن لم يبلغك أن أحـداً مـنهم فعلـه فإيـاك والمحـدثات والمستحسنات الناشئة عن الهوى .. ولا حول ولا قوة إلا بالله[2].

عَلَمَتنِي فِقهُ التَحَوّلات:

أن العالم الإسلامي مُنذ مرحلة الإمام الحسن والإمام الحسين وعليٍّ زينِ العابدين رضي الله عنهم ومن جاء من بعدهم : يُعَرِّفون التصوّفَ بالإحسانِ وينهجونه سُلوكاً وذوقاً ومراتبَ ومقاماتٍ .. وتتحدّد عندهم كلمـةُ الابتداعِ والجنوح عندهم على الخارجين عن الاعتدال والتوسُّطِ الشرعيِّ مـن كلِّ مذهبٍ ومجموعـةٍ دون تشريك و تكفير لهم .

أما ما تَـبنَّـته مدارس القبض والنَّقض فهو الإخراج عن الملّةِ والتكفير والتشريك بما لم يُنـزِل اللهُ به من سلطان ، ما عدا المواقـف المُسَـيَّسةَ والارتبـاط بمراحلهـا المضطربــة ذات العلاقــة بتسـليطِ مجموعـةٍ على أخرى لاستثمارِ هذا الصِّراعِ لصالح الشيطان والدجال وأتباعـهِ من الأئمـة المُضلِّين .

وغايـة ما يلزَمُ الحريصين على العقائد والتـديُّنِ عنـد وقـوعِ الزلـل والجنـوح : بسـطُ الـدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة والمجادلة بالتي هي أحسن ..

---

[1] تفردات مدرسة حضرموت ص (٢٣).

[2] إهـ من كتاب : تقليب الأرض الخاشعة ط١لعام ١٩٩٥م ص [٤٥] .

وأما تُهمة التكفير والإصرار على التشريك وإصدارُ المؤلَّفات والكُتُب الحاملة عقيرَة المشابهةِ بين مُشركي الجاهلية وزُوّارِ القبورِ ..

فلن تكون في هذه المراحل إلا سياسة الشيطان وأتباعِه ..[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

إن آل البيت الأطهار ليسوا سياسة مراحل وتجمعات فصائل ..

وإنما هم سُفن النَّجاة للعالم كله ، وبكافة مذاهبهم الصحيحة ..

وقدوتهم لا تنبع من وقائع أحداث التاريخ ومشاكله ،وإنما من مواقف الأب الأول ووسائله ، فمن علم هذا عرف الأطهار وسَلَك مسلكهم ومن خَبَط وخلط سقط في الوحل وجرفه التيار إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ..

والذين لا يعجبهم المنطق الإنشائي لانعدام الأدلة والبراهين المنقولة عن الغير هم أولئك الذين يُحرِّفون الأدلة والبراهين داخل مراجعها للاستدلال والبرهنة ..

ولهذا فقد دخلنا معركة العولمة بسلاح فقه التحولات وسُنَّة المواقف ..

والذين لا يعلمون هذا الفقه يحتاجون إلى إعادة النظر في كثير من قراءتهم للتاريخ واستدلالهم به وبمجريات أحداثه وحوادثه : ليتعرفوا على مقاييس العلاقة بين الأجيال ..وشرف العلماء والخلفاء الوارثين في كل عصرٍ وزمن ..

وخطورة زعزعة الثقة بين الأمة وخلفائها حيث لا تستقيم بهذه الزعزعة أمة ولا يُعاد لها شرف .. وإنما ينحصر استثمار هذه الأقاويل على منقوليها والمنتفعين بها فقط ..[2]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أنَّ التصوف أخلاق وقِيَم دينية راقية ..

يتدرّج فيها السالك من الإسلام ويرتقي به إلى الإيمان ثم تجتمع له كلها في مرتبة الإحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..

---

[1] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١ لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٢٨ ـ ٢٩] .

[2] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢ لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م ص [١٨٣] .

أيُّ تلميذٍ من تلاميذ المدرسة الحديثة اليوم يستسيغ هذا التدرُّج في مفهوم :
((أركان الدين)) من حيث الرؤية الصوفية فضلاً عن أن يكون من أهله ..؟

لقد حرَّف مُنَظِّروا المدرسة الحديثة هذا المفهوم الراقي تبعاً للمدرسة التي أخذوا عنها مفهوم التحريف ..فوصموا التصوف بالتجرُّد عن الإسلام كله .. وقالوا : أن هذا التدرّج إنما هو سياسة صوفية لإبعاد المريد عن الإسلام شيئاً فشيئاً ..ويتجرؤن على هذه الطائفة من خلال تراث بعض شواذِّها فيقولون : إن الصوفي في أعلى مراحله تسقط عنه صلاته وصومه وحجه الخ ..ويُفسّرون الآية: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } بأنه الفتح الأكبر الذي يُسقِط عنك الواجبات.

أستغفر الله ..أيُّ مُسلمٍ يقول هذا ؟

وأيّ صوفي يعتقد هذا ؟!

ولكنّ آثار التحريف الإستشراقي القادم من تحريف اليهود والنصارى قد أُعطي ثماره في المدرسة الحديثة.. وكانت الضحية المقصودة ، وليهنأ المستشرقون بنجاح تلامذتهم ..!![1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن سلفنا الصالح تركوا حمل السلاح ولم يُكلفوا أنفسهم عناء شرائه أو استخدامه ؛

ولكنهم أوجدوا المعادل البديل ، وقد وصفه السيد علي بن حسين العطاس في كتابه : (تاج الأعراس) نقلاً عن الحبيب علي بن حسن العطاس : بأنهم حملوا سلاح الباطن ..، وهذا ما يحتاج منا إلى دراسة وعمق نظر في معانيه ..سلاح الباطن من جهة ..وما تقتضيه الظروف الخاصة والعامة من جهة أخرى ..وهذا هو عي ن العقل والوعي لمن يرغب في معرفة مواقف الرجال وما يعنيه اتخاذ القرار التاريخي عبر المراحل .

لقد فُجِعنا بجيل منا يكره الصلة والانتماء بالسلف ويضيع وقته وجهده في التساؤلات عن هذا أو ذاك ، وينطلق في كل تصوراته ومواقفه من مفهوم الضد والمعارض حتى صار العديد منا أبواقاً للأعداء والأضداد ..

---

[1] إهـ من كتاب كشف الأقنعة ط ١ لعام ١٩٩٣م ص [٧٤ـ٧٥]

ومنا من يعلم بذلك ومنا من لا يعلم بأثر الضد والعدو في ثقافته ووعيه .. بل كيف يعرف أنه عدو أو ضد وهو قد يتبنى ترويج مفاهيمه بعد أن انقطع تماماً عن مدرسته الشرعية الأبوية ؟ إما بالتعليم والدراسة في مدراس الغير أو بالاستحسانات والميل إلى سلسلة التهمات والمحاكمات المطروحة في ساحة المرحلة بين الفئات .

وليس لنا اليوم من سلطان على أتباع مدرستنا بعد أن تفكّكت غالب العرى واندرج الجيل الأوسع في مضلات الفتن ، ومنها رغبة العديد في حمل السلاح دون حاجة ماسة له ولا سبب عارض لحمله ؛ ما عدا المخالفة وعقدة الاعتداد بالذات .

إن موقف سلفنا الصالح قديماً من السلاح وحمله كان موقفاً صائباً من كل الوجوه ، كما كان لهم أيضاً موقف إيجابي من أولئك الذين يحملون السلاح كالبداوة والجُند ، ومن مواقفهم عدم إثارة أولئك أو الدخول معهم في أسباب المنازعات وإذكاء الاختلافات ، بل قد يوجِّهونهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى حماية الأعراض وصون الدماء عن القتل الحرام [1].

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

إن الإسلام في حاجة عُدول وعقلاء يُحَجِّمون إفراط الغُلاة وتفريط الجفاة وجهالة الجهلاء ، وينقلون العقول والقلوب من حمأة الصراع المفتعل إلى الاقتداء والاهتداء..

فاشتغال الشعوب بالنقائض والنواقض عِلّةٌ من العلل ، وقد كان السلف الصالح يشتغلون بالمحاسن ويُشغِلون الأجيال بالإيجابيات أملاً في بناء منهجية الاقتداء والاهتداء وخيراً فعلوا .. فالكثير من المجتمعات التي اشتغلت بهذا النصيب المبارك كانت مجتمعات السلم والسلامة وعاشت مصدراً للأمن والاطمئنان في ذاتها ومع غيرها ، حتى كان من أدب التربية والسيرة في منهج التعليم المذهبي الصوفي شحن عقول وقلوب الناشئة بمحاسن الصحابة وبطولاتهم ومحاسن من جاء من بعدهم دون الالتفات إلى المتناقضات والاختلافات ، حتى جاء عهد الغثاء وهو العهد المذموم في نصوص الكتاب والسنة ، وله ملامحه المميزة وعلائمه المتميِّزة بالنَّصِّ الشرعي ، فانقلب المِجَنّ فيه على الإسلام وأهله ، وتحوَّلت الإيجابيات إلى سلبيات ، كما تحولت الرذائل إلى

---

[1] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م ص [٢٣١ــ ٢٣٢] .

فضائل ، وغزا الشيطان بِجُنْدِه أمة القرآن والسنة بالوسائل المتنوعة ، والأبالسة المُتَقَنّعة ، خلال مراحل وأزمنة متلاحقة مُصَنَّعة ...[1]

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن سلفنا الصالح لا يعرفون علاقتهم بالآخرين شيئاً مما تروِّجه منافيخ الحقد المُسَيَّس ..

لا يعرفون الحقد الطبقي الذي تبنّت إشاعته وإذاعته مدرسة الإلحاد ، ولا يعرفون الحقد الطائفي الذي تبنّتهُ مدارس الإفراط والتفريط .. ولا يعرفون الحقد السياسي الذي تبنّتهُ مدارس الحزبية ..

لأن هذه الأمراض كانت وليدة الثقافة الطبعية ، والمعلوم أن الإسلام قد رفع بالدين وآدابه سخائمها ، وأبدل المسلمين الصادقين عنها بقيَم النبوة والرسالة ..فحيثما وجدتَ المتَرَسِّم بالدين يمارس الأحقاد الطَّبْعيَّة والطبقية والطائفية والسياسية والاجتماعية ..علمتَ أنه لم يتحل بفضائل الإسلام ، وإنما لا زالت جاهلية طبعه على ما فُطرت عليه كما قال ﷺ لأحدهم : ((إنك امرؤ فيك جاهلية)) ، والجاهلية داءٌ طبعي ركبته العادات والتقاليد وسورة النفوس البشرية ..

أما الإسلام : فآداب وأخلاق وقِيَم وعبادة ..وسلفنا الصالح بلغوا غاية المراتب العلوية في مقامات علم الإحسان بعد تحقيق علوم الإيمان والإسلام ، فزالت عنهم بذلك أدران الطباع ، وأسباب الصراع ، فعاشوا يهدون الناس إلى أفضل العلاقات والقِيَم ، ومرَّت مراحل حياتهم الاجتماعية وهم في غاية السلام وتطبيق الإسلام مع كافة الناس في الواقع الاجتماعي البسيط ، يقتسمون الكسرة والتمرة وشربة الماء ونتاج عَرَق الخدمة في أراضيهم الزراعية [2].

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

إن اهتمامنا بشأن المحافظة على شَرَف علاقة المنتسبين لحضرموت بمدرستهم الأبوية لا يعني استنقاصاً لغيرها من المدارس الإسلامية ؛

بل نعتقد أن في الأمة خيراً كبيراً والتزاماً يستحق الإكبار والإجلال ..

---

[1] إهـ من كتاب : الصِّدّيق الأكبر ط١لعام ١٤٣٥هـ ــ ٢٠١٤ م ص[٢١] .

[2] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م ص[٢٦٤ــ ٢٦٥] .

ولكننا هنا نأبى العيش الرخيص من أبناء المدرسة أو منسوبيها إذا ما ساهموا في هدم مدرستهم الأبوية ونقض ثوابتها لكونهم لم يجدوا المعلومات الكافية أو لم يروا في منهج الزهد والخمول موقع الطموح والمنافسة ، ففعلهم هذا لا يُمَثِّل أمانة ولا خدمة للدين مهما كَبُرت في أعينهم ثوابت الآخرين . إهـ [1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن حقيقة السلامة والأمان والبناء والإعمار وسلامة الحياة والمنقلب ..هو في نهج دعاة السلام الذين شَرُفَ بهم الزمانُ واطمأن بهم أهل كل مكان ؛

لا يُشغِلهم شاغل غير جمع الناس على حياض هذا الدين وآدابه وفضائله .

فحقائق هذا الدين الحنيف وثوابته الداعية إلى الوئام والعمل ، لا يدعو الأتباع والمريدين إلى مالا يليق من الشتم واللعن وإثارة الجدل ، فالشتم واللعن والإثارة إنما هي مطلبٌ نفسيٌّ يُحقِّق نِسبةً من إرضاء الذوات المنتقمة والمتربّصة ..؛

وأما رجال منهج السلامة فقد تركوا مالهم من حقوق واعتبارات وتجاوزوها رضىً ومحبّةً للأمة وجمعاً لما يمكن اجتماعه لأنهم قدوة الأزمان وسادة السلام ، وهؤلاء القدوة تكاد أن تشعر بفوارق سلوكهم عندما تعرض لك فرصةُ معاملتهم أو مجالستهم ..

وهؤلاء الرجال الذين نحتاج إلى بسط سلوكهم وآدابهم بين الناس ..

هم إذا زرتَهم رَضِيَتْ نفسُك وارتاح قلبك وضميرك بحُسن مقابلتهم ولطيف أخلاقهم ؛ وإن غِبتَ عنهم سألوا عنك الصادر والوارد ويدعون لك بظهر الغيب ، لأنهم قد تجاوزوا آثار النفس والهوى والشيطان والدنيا وهي الأمراض الأنوية التي تُشغِل الذوات المريضة والتي تُسمى بـ(الأنا) ، والأنا شعور المرء بأن الحق له في كل الأحوال ولا يرى لأحد من الناس عليه فضلاً ولا احتراماً ، والذي ينظر إلى الأمور من داخل مصلحته الذاتية ويقدّمها على كل شيء في الحياة ..[2]

---

[1] تفردات مدرسة حضرموت ص (٣١ــ٣٢) .

[2] إهـ بشيء من التصرف من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ٢٠١٠ م ص [٩٣ــ٩٥].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أنَّ : ما أعاقت مسيرتنا المعاصرة إلا أسباب الملل والقلق ، وما أظهر الواقع فشلنا إلا لأننا نعتدّ بالسلف ونُترجم عنهم بألسنتنا ما ليس في قلوبنا ؛

ونعيش على حسابهم لمصالحنا ، ونجعلهم سوطاً بأيدينا نوجع به من لا يوالينا ، ولا ينطوي تحت رغباتنا.. والسلف ما كانوا عليه إنما هو عِلم وعَمَل وَوَرَع وإخلاص وخوف من الله ..

وصارت هذه الثوابت منهج دعوة إلى الله سواء في حالة الصمت أو في حالة الإبلاغ ، ويتأثر الناس بالنظر والمشاهدة قبل التأثر بالمذاكرة والمجاهدة .

لقد كان منهج السلف :

خِدمةً للأمة في الواقع المُدقع ،وصبراً على شؤون الناس ، وتلطُّفاً بالأعداء قبل الأحبَّاء والأتباع ..لأنه منهج رسالة ..ولأنه اقتداء بالقرآن والسنة ..

وتفعيل عَمَلي لها .. [[فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]].[فصلت ٣٥] [١].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أننا ينبغي لنا أن نُعيد صياغة العلاقة الواعية بالثوابت الخمسة :

العِلم ، العَمل ، الوَرَع ، والإخلاص ، والخَوف من الله ؛

ورفع مُدركات الأتباع في الأخذ بهذِه الثوابت عِلماً وعملاً ، وأنها أصل الانطلاقة المشروعة في خدمة المجتمع المحلي والعربي والإسلامي تحت محور الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..

إن مدرسة حضرموت ليست مُعَبِّرة عن رأي أسرة ولا عائلة ..وكذلك طريقتها ..

إن العائلة والأسرة ، شَرَفٌ خاصٌّ مَنَّ الله به على آل البيت الكرام لِما لهم من الصِّلة المباركة بالدوحة الطاهرة ؛

---

[١] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣ م ص [١٨].

ولكن الأصل الذي يجمع الأتباع على الطريقة والمدرسة ، هي الثوابت الخمسة مع منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..لا فرق في هذا المنهج بين عربي ولا عجمي ، ولا أبيض ولا أسود ، ولا رفيع ولا وضيع ، ولا عالم ولا جاهل ؛

لأن هذا المنهج مُستمَد من أصل الرسالة التي تَنصُّ على شرف الاتصال بها من خلال التقوى ، لا مِن خلال شرف الأنساب والأحساب .

والذين يخلطون الأوراق مِنا أو مِن غيرنا إما جهالة أو تجاوز أو سوء فهم فعليهم أن يُعيدوا الشيء إلى نِصابه ويدخلوا الحقّ مِن بابه .

إن بيننا وبين شرائح الأمة علاقات مصيرية عظيمة ، ومسؤوليات إيمانية مُشتركة ، هي أعظم مكانة من النسب والعِرق والعائلة ، كما أن على شرائح المجتمع من واجب العلم بدرجة آل البيت وما خصَّهم الله به من شرف النسب للمتبوع الأعظم ﷺ واجباً يُسهِم في إجلاء الغموض والضبابية المُنتشرة في واقع الإعتام من أهل الإيمان والإسلام .

والمَخرَج في هذا كله هو : العِلم والتّعلُّم الخالي عن المصالح والتسيس المرحلي .

كما أن أمراً ثالثاً يجب معرفته والبحث عن ماهيته ، وهو ما وَرَدَ على الجميع من متناقضات وأخطاء وإدخالٍ فكري واجتماعي مُسَيَّس ومدفوعٌ به ، كان الغرض منه تفجير الصراع الطبقي ثم الاعتقادي ، وأن هذا الدفع المُسَيَّس بُذِلَت فيه مَدفوعات مالية كبيرة ، ومؤامرات معرفية خطيرة ..كان لها الأثر في تشويش العلاقات وإضعاف دَور الإسلام كله في العائلات والجماعات فضلاً عن إضعاف بين الشرائح الاجتماعية[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

بقوله : يا أحبة.. إنكم تنتمون إلى طريقة ومدرسة رسالتها الحُب والسلام والرحمة ،

وكانت هذه الأسس هي عين الوِجهة الصحيحة التي انطلقت بها هذه المدرسة ، حيث أنها لا تَنْزع إلى الأطماع والرئاسات ، ولا تعمل من أجلها ولا تُساوِم أحداً في سبيلها ؛ بل تنظُر إلى الحُطام

[1] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣ م ص[٢٥ــ ٢٦].

ومظاهر الحياة الدنيا بمنظار نظر العاقل إلى وسائلـه التي يحتاج إليها ثم يضعها حيث يجب أن توضع . ولهذا تمكّنت مدرستكم المباركـة من الانتشار ف أصقاع المعمـورة دون الحاجـة لاستخدام السلاح ، أو الضغط السياسي أو الاجتماعي أو الفكري أو الاقتصادي .

يا أحبـة ..لو تأملتم في كثير مـن الـدعوات المعـاصرة وغيرهـا مـن الـدعوات السابقـة ذات العلاقـة بالواقع السياسي الحركي لرأيتم كيف تُفرض الآراء عـلى الشـعوب بالمـال والجـاه ، وكيـف تُعاني الشعوب من ضغوط الحركيين المُتطرفين في كافـة الأزمنة والعصـور بسـوء ارتبـاطهم بعَـرَضِ الدنيا.

وإذا نحن أنصفنا أصحاب الدعوات الحركيـة الاندفاعيـة فإننا سـنحمد حماسـهم المُتّـقِّد مـن أجـل الشرف الإسلامي كظاهرة ، ورغبتهم في الوصول إلى الغايات المنشودة كرؤيـة ؛

ولكن الأساليب المتبعـة ووسائل المعالجـة التي يتخذونها تحـرِق الأخضرـ واليـابس ، وتضـرّ القائم والجالس ، ولا يُجنى منها غير العـار والدمــار ، وامتـداد هيمنـة الكفـار ، وهـذا مـا شـهدناه وعاصرناه خلال المـئة العام الماضــية ؛ بـل ومـا قبلهـا مـن خـلال استقراء الحـوادث والنصـوص التاريخيـة ..

وليت هذه النصوص والاستقراءات تُقرّر للطلبـة والطالبات في الثانويات والكليات ليفهمـوا مسـاحـة الدمار الذي أحدثـه الاندفاع والتطـرف الأرعـن في تاريخنـا الإسـلامي القـديم وتاريخنـا الحضاري الحديث؛

ولكن الإشكال والعِلّـة : أنّ العديد من قيادات المراحل تتعمّد التشويـه والتعميـه والتشـكيك ، والإغفال للتاريخ لتـستمر العمايـة الفكريــة تعبـث بواقـع الأجيـال المتلاحقــة حتـى يسـتثمرها السماسرة النفعيون ، ويُسَوِّقون نار الفِتنـة والإحـنة بين الشعوب المسلـمة والجماعات وقـوداً يُحـافظ على مراتبهم ، وامتيازاتهم لدى الشيطان الرجيم ، ومملكتـه الأنويـة الإبليسـية ، وهذه حقيقـة ماثلـة قَلَّ مَن يُدركها في صخب الحياة المعاصرة [١].

---

[١] إهـ من كتاب : الوثيقـة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣ م ص [٣٦ــ ٣٧].

أن أهداف مدرستنا الإسلامية لا ترتبط بالحوادث والمتغيرات ، ولا تُنازِع أحد في سلطانه ، ولا تُشارك في نقض مُبرم من مكانه ، ولها دورها الإيجابي في نُصح الجميع على ضوابط القِيَم الشرعية من غير إفراطٍ ولا تفريط .

إن رصد مدرسة النمط الأوسط في كافة مراحل التقلبات والمتغيرات : رصدٌ عُني بالإفادة وإصلاح المجتمع ، وأن المقارنة عبر تاريخ الأئمة والعلماء تُفصِح لنا عن ذلك ، ومن لم يجد في منهج السلف حُجّة ، فلن تنفع في توجيهه المحجّة . لقد مضى أئمة الدين من عهد الصدر الأول في الإسلام على تَجنُّب الإثارة ومواقع الفِتن ، رغبة في سلامة الجميع ، واقتداءً بالنبي الشفيع ، ولم يُطالبوا أحد بحقٍّ تعمّد إسقاطه ، أو غمط أصحابه ، ولم يُنازعوا عالماً نكص عن العدل ووضع العلم في غير موقعه ، ومن خرج منهم في سبيل ذلك استشهد في سبيل الله ولم يُحقق مطلبه الأول ، وغنم المطلب الثاني . لقد اعتقد الكثير من المتأخرين أن مدرستنا لا مرجعية لها ، وإنما يتخبّط أتباعها في لجج الحيرة والإحباط ..والحق أن أتباع هذه المدرسة هم أكثر أماناً بالمنهج الأبوي النبوي ولا فخر .

أما بقية المنتمين للمدرسة انتماءً صورياً فهم أحد ضحايا المراحل الحديثة المتحولة ولا شماتة ، وهناك في المراحل المتحولة مرجعيات ذات اعتبار وقِيَم ، لكنها لم تمنع ألسنتها عن الذم ولا أيديها عن الدم ، فكان ما كان وسبحان الواحد الأعظم .

كان يسعنا أن نسكت كما سكت سلفنا الصالح عن الخوض في تحولات التاريخ ومجرياته ، ولكن المرحلة لم تترك لنا العذر في الصمت والسكوت ، ولا خيار لنا بعد أن وردت على مدرستنا حُزَم الأغاليط الفكرية المدمرة سلامة المنهج وثوابت الطريق ، إلا أن نقول الحقيقة المُرّة التي سكت عنها سلفنا الصالح ، وعلى الآخرين أن يفقهوا سِرّ سكوت الأوائل وسِرّ افصاح الأواخر ،فالسكوت حفظ للعلاقات والافصاح صون للحصانات ، ولكلٍ وجهةٌ هو مولّيها فاستبقوا الخيرات[1] .

---

[1] إهـ من منشور شعارات لحولية الإمام المهاجر عام ١٤٣٦هـ لشيخنا الحبيب العلامة المربي د/ أبوبكرٍ العدنيّ ابن علي المشهور حفظه الله وأمتعنا به .

الباب السابع :

باب: الخلافة ومتعلقاتها :

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

إن فقه التحولات المُسنَد إلى أُصوله الشرعية هو أحد علوم آل البيت ، ومن هذا العلم برزت مواقفهم الشرعية التي حَقَنُوا بها دماء الأمة عبر تاريخ التحولات كلها ..

فتميّزوا عن الظلمة وسفّاكي الدماء وطُلّاب الدنيا..

والتحولات : هي حوادث وأسباب تفرضها الظروف والتقلبات ..سلباً وإيجاباً بأمر الله تعالى وسابق حِكمته ؛

وأما المواقف : فهي ثبات الأئمة الأطهار والعلماء الأبرار أمام هذه التحولات والحوادث للالتزام بالاعتدال الواعي المشروع دون إفراط ولا تفريط ..[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أنّ الخلافة الراشدة تبدأ بخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كأوَّلِ لَبِنَةٍ من لبنات البناء لمرحلة الخلافة الراشدة المدعومة بالنَّصِّ الشرعي ؛

ومواقف الصحابة والآل الكرام رضي الله عنهم ، المُثبتةِ لانتقال الأمانةِ من مرحلة الرسالة ، إلى مرحلة الخلافة بشروطها المعتبرة ، وهي : ((سلامة الخلفاء)) بالاجتهاد المشروع ، وبالصحبة المُحصَّنةِ بالنَّصِّ النَّبويِّ خلال مرحلة الرسالةِ ، وبسلامة المرحلة ـ أي مرحلة الخلافة ـ ذاتها بالنَّصِّ أيضاً وبمواقف الصحابة وإجماعهم رضي الله عنهم ، وفيها يقول ﷺ: ((خلافة النبوة ثلاثون سنةً ، ثُمَّ يؤتي الله الملكَ ـ أو : ملكه ـ من يشاء)) [2].

---

[1] الوثيقة ط ٢ ص ١٩٣

[2] الأسس والمنطلقات ص (١٧١) ط٢ .

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلات:

أن هناك نصوصٌ صريحـةٌ في سلامة المرحلة الراشدة :

يعتبر تأكيد فقه التحولات على سلامة انتقال القرار الإسلامي من رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق بالاجتهاد والمشورة ترسيخاً لمبدأ الشورى في الإسلام :﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

وأيدته وقائع الأحوال ومواقف الانتقال ذاتها في بروز مواقف الصـديق رضي الله عنـه أمـام الجميـع بالجدارة والتقدمة وسلامة التصرف .

أما فيما يتعلق بالنصوص الصريحة المؤيدة لهذا الانتقال المشروع فمنها قوله ﷺ: ((القائم بعدي في الجنة والذي يقوم بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة)) .

وهو ــ أي الحديث ـ من دلائل النبوة فقد ذكر النبي ﷺ الخلفاء الأربعة المبشرين بالجنة ، وفيه دلالـة صريحة على أن كل واحد منهم قد قام بالأمر والخلافة .

وفي الحديث ((الخلافة ثلاثون سـنة ثم تعود مُلكاً)) إشـارةٌ واضحـةٌ لسـلامة مرحلـة الخلافـة الراشدة وهي مرحلة أبي بكر وعمر وعثمان وعـلي رضي الله عـنهم أجمعـين وللحسـن رضي الله عنـه ثمانية أشهر .

وسـماها النبي ﷺ خلافـة ورضيها كبار الصحابة رضـوان الله تعالى عـنهم أجمعـين ، ولم يطعـن أحدٌ في مسماها أو تسلسلها المشروع ، بل الذين بايعوا علياً رضي الله عنه في خلافته كان أكثرهم ممـن بقي حياً وبايع أبا بكرٍ وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ؛

وعلى هذا فإن تثبيت مرحلة الخلافة الراشدة بدءاً بمرحلة أبي بكر الصديق ينقل القـرار الإسـلامي على ثوابته ومشروعيته على منهج السلامة من عصر الرسالة إلى عصر الخلافـة عـلى الوجـه الشرـعي الصحيح ؛

وكل ما قاله واحتج به المعترضون والمعارضون تحت أي مسمى يرجع إلى أنموذجين :

١ ــ خلاف أو اختلاف يندرج تحت مفهوم الاجتهاد وإبداء الرأي لدى الأتباع حول نَـص أو فهـم أو موقف لا يقدح في سلامة انتقال القرار ذاته .

٢ ــ تعصب الرأي وغرضٌ ذاتي لهدم قرار الإسلام على أهله ، واستثمار هذا التعصب من خلال التحريش والتفريق والتمزيق وتحريف للنصوص والمواقف والثوابت ..

وهذا ما يرجعه فقه التحولات إلى مضلات الفتن وعلامات الساعة الموعود بها بين المصلين في التسلسل المتعاقب عبر المراحل والأزمنة ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . إ هـ [1].

عَلَمَي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن تاريخ الخلافة الشرعي ثلاثون عاماً كما ورد عن النبي ﷺ في الحديث بقوله :

((الخلافة في أُمتي ثلاثون سنة ثم مُلك بعد ذلك)) .

فالثلاثون سنة رقمٌ زمني أرّخ لتاريخٍ شرعي مُحَصَّن لا طعن فيه ، ومن طعن فيه طعن في سلامة النبوة ؛

قال ابن كثير : [كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال ، وكانت خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتا عشر سنة إلا اثني عشر يوماً ، وكانت خلافة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه خمس سنين إلا شهرين ، ثم قال : وتكتمل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه نحواً من ستة أشهر].

هذا من حيث التأريخ الرقمي المنصوص ، أما من حيث التاريخ السلوكي العملي للمرحلة وعدالتها الشرعية فيدلّ عليه قول حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ((أول دينكم نبوّة ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم ملك ورحمة ، ثم ملك وجبرية)).

ويُستفاد أيضاً لتثبيت مرحلة الخلافة الراشدة وسلامة قرارها مواقف الإمام علي رضي الله عنه مع الخلفاء ومُساندتهم وحضور الصلوات في الجماعة معهم ومشاركته المشورة في أمور المسلمين وحلّ معضلات الحُكم والعلم المُستعصية على كثير منهم ، وكلها دلالات ومواقف تؤكّد سلامة البواطن وصدق المعاملة المتجردة عن النفوس وسخائم الطباع .. [2]

---

[1] التليد والطارف ص (١٩٠ ــ ١٩١) ط ٣ .

[2] إهـ من كتاب : الصِّدّيق الأكبر ط١ لعام ١٤٣٥هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٦٤] .

عَلْمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلَاتْ:

أَنَّ قضيـة الخلافـة أخذت بعد رسـول الله ﷺمأخـذاً جدلياً واسـعـاً في حياتنا المعاصـرة ؛ أكثر مما كان عليه الأمر سـاعـة القرار في العهـد الأول ، حَشَـدَ فيه كل فـريـق أدلّـتـه وثـوابـت حـجـجـه.. وبـهذه الحجج والأدلـة وصـل المسلمون إلى لُـجّـة الصـراع الطائفي الهاتـك ، وخـاصـةً عند أصـحاب منحى الإفراط ضـد منحى التفريط .

وكـانـت الـمُشكـلة الأسـاسـيـة لـدى الفريقين حسب وجهـه القراءة الـمُـتأنـيـة في نصـوص فقـه التحولات تكمن في الآتي :

- ❖ الـنـظر حصريـاً في الفضـائـل والمناقب وتفسـير النصـوص الـخاصـة بـهـا كجـدارة الامتلاك الشـرعي للقرار دون النظر في المواقف الـذاتيـة لأولي المناقـب ومـا قـد أشـار إليه النبي ﷺمن علم السابقـة في القرار .
- ❖ انـعدام النظر في نصـوص التحـولات والمـواقف التـي حَـصَّـنت الخلفـاء الـراشـدين كـذوات ومـرحـلـتهم الشـرعـيـة كخلافـة .
- ❖ اسـتشراء مسحـة التعصب والولاء المفرط لاحـقاً من دعـاة المنهج السيـاسي المعـارض لمجريـات البيـعـة ، لـتـتـحوّل إلى قضية عـقـائـديـة مُـعقّـدة وكتـل فكريـة ومـذهبيـة متبايـنـة .
- ❖ خلط الأوراق السياسيـة من أجل امتلاك القرار ، بيـن منابر السياسـة الـمُـعَـبَّـر عنهـا في نصوص الحديث (بالفتن والفتنـة) بِـدءًا مـن فـتـنـة مقتـل الخليفـة الثـاني عـمر بـن الخطاب (غلق الـفـتـنـة) حتى مقتل الحسين شهيد الطف رضي الله عنه ومـا ترتب عـلى مقتله من المواقف السيـاسيـة المرتبـطة بالحوادث ذاتـهـا وتحـوّل هـذه الفـتن إلى برنـامج عمل سياسي بـين فريقين :

١ ــ فريـق الملك العضوض ومنـابـره ؛

٢ ــ فريق الـثورة الكربليـة المعارضـة للملك العضوض ومنـابرهـا .

❖ طغيان التيارات السياسية بين الفريقين على تيار (النمط الأوسط)[1] ، وهو الخط الأول المعروف بتيّار السلامة ، وكان هذا الطغيان السياسي على هذا النمط الأوسط بسبب غلبة الضجيج الإعلامي السياسي وتبعاته ودعاته حتى اليوم ـ[2] .

علمني فقه التحولات :

أن موقف الإمام علي رضي الله عنه في بداية المرحلة الراشدة وموافقته على البيعة ومشاركته الفعلية في تثبيت دولة الخلافة هو :ــ

تعميدٌ شرعيٌ للمرحلة ، وأساس في توثيق سلامتها ، بصرف النظر عما يُقال أو يُروى من التأخر أو التباطؤ في البيعة ، فالعبرة بالنتائج لا بمقدماتها سواءً في رواية القائلين ببيعته في اليوم الأول والثاني ، أو القائلين بتأخر البيعة ستة أشهر حتى وفاة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ورضي الله عنها ، أو القائلين بهما معاً ، أي : ببيعته الأولى في حينها وبيعته الثانية تجديد العهد وتأكيداً عليه .

كما أن قبول البيعة في أُخريات مراحلها ومباشرته الفعلية لقيادة المسلمين قراراً واستقراراً تأكيدٌ مُهم على صحة المرحلة واستقامة شروط السلامة في رجالها وقرارها ، بصرف النظر عن الظروف والحوادث والحيثيات المسبّبة لذلك ، أو الظروف والحوادث المترتبة بعد ذلك .

وهذا مفصل هام في قراءة المرحلة الراشدة اعتماداً على المواقف والدلالات ، أما قراءة النصوص فالأحاديث الشريفة أكبر شاهدٍ على سلامة المرحلة بعمومها على مدى تأريخها بالهمز وتاريخها بغيره .

---

[1] تيار الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي في المسيرة الإسلامية كلها بدءًا بموقف الإمام علي والزهراء رضي الله عنهما من قبول الخلافة وعدم الخروج الصريح عليها إلى عهد الإمام الحسن وتنازله عن الخلافة بالكلية إهـ .

[2] الصديق الأكبر ص (٥٤ ــ ٥٥) .

والمقصود بالهمز .. أي بالرقم الزمني لفترة الخلافة إذا رمزنا بالهمزة الساكنة على ألف (تأريخ) والفترة الزمنية مثبتة في الحديث بقوله ﷺ: ((الخلافة بعدي ثلاثون سنةً ثم مُلك بعد ذلك)) .

فالثلاثون سنة رقم زمني أرّخ لتاريخٍ مُحَصَّنٍ لا طعن فيه ، ومن طعن فيه طعن في سلامة النبوة ، قال ابن كثير : (كانت خلافة أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنتين وأربع أشهر إلا عشر ليال ، وكانت خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إثنتا عشر سنة إلا اثني عشر يوماً ، وكانت خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خمس سنين إلا شهرين ، ثم قال : وتكمل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نحواً من ستة أشهر .

هذا من حيث التأريخ الرقمي المنصوص ، أما من حيث التاريخ السلوكي العملي للمرحلة وعدالتها الشرعية فيدُلّ عليه قول حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: ((أول دينكم نبوّةٌ ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم ملك ورحمة ، ثم يكون ملكاً وجبرية)) .

ويُستفاد أيضاً لتثبيت مرحلة الخلافة الراشدة وسلامة قرارها مواقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع الخلفاء ومساندتهم وحضور الصلوات في الجماعة معهم ومشاركته المشورة في أمور المسلمين وحل معضلات الحكم والعلم المستعصية على كثير منهم ، وكلها دلالات ومواقف تؤكد سلامة البواطن وصدق المعاملة المتجردة عن النفوس وسخائم الطباع .. إهـ[1]

علمي فقه التحولات :

أنَّ مواقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على مدى تاريخ الخلافة الراشدة حِصناً حَصيناً للإسلام كله ؛

يشهد بهذا الأمر كافة الخلفاء الثلاثة وجمهور الآل والصحابة والتابعين .

---

[1] الصديق الأكبر ص (٦٣ ــ ٦٤) .

فدور الإمام في بسطه يده للمبايعة كان حاسماً قطعياً لتثبيت خلافة أبي بكر الصديق ومساعداً عملياً لاجتماع كلمة الأمة ، وروي عنه قوله في خطبته على منبر الكوفة مُثنياً على أبي بكر : (فأعطى المسلمون البيعة طائعين ، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا) . [1]

وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ ظل الإمام علي رَضِيَ الله عَنْهُ عضواً بارزاً في شؤون الدولة العمرية ، ومعترفاً بفضله وفقهه وحكمته ، وفيه يقول الفاروق رَضِيَ الله عَنْهُ : (أعوذ بالله من مُعضلةٍ ليس لها أبو الحسن) ، وفي موقفٍ آخر يقول : (عجزَت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب ، ولولا علي لهلك عمر) . [2]

وفي عهد عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ كانت مواقف الإمام علي رَضِيَ الله عَنْهُ مثلها مِثل مواقفه مع الخلفاء السابقين وهي السمع والطاعة ، والإدلاء بالمشورة والنصح ، وكان عاصماً من فتنة الاندفاع لدى الثوار والمحيطين بهم الذين نووا الضرر بعثمان وأقاربه ، بل ظل الإمام واسطة بين الفريقين لتهدئة الأوضاع ومحاولة التوفيق بين الفرقاء ، حتى تفاقم الأمر وخرج عن شروط الضبط والالتزام فعاد الإمام علي إلى منزله مُستقبحاً كافة المواقف المتناقضة ، وحريصاً كل الحرص على سلامة الخليفة عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ ، ودفع بأبنائه وجملة من المقربين إليه كي يحموا منزل عثمان من غوغائية المعتدين والمتعدّين حتى جرى أمر الله كما كان ، ولم يسع الإمام علياً إلا أن يقول :

(كيف قُتل عُثمان وأنتم على الباب ؟ ولطم الحسن وكان قد جُرح ، وضرب صدر الحسين ، وشتم ابن الزبير وابن طلحة ، وقال : تَبّاً لكم سائر الدهر ، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلتُ أو مالأتُ على قتله)[3].

وتبرُّؤ الإمام علي من مقتل عثمان إشارةٌ إلى عظم الحدث وخطورة الفتنة وعلمه رَضِيَ الله عَنْهُ بعلاقة الأمر بفتنة الدجال .. وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رَضِيَ

[1] أسد الغابة (٤ / ١٥٦) .

[2] سنن البيهقي (١٥٥٥٨)..

[3] أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١ / ٢٢٢) .

الله عَنْـهُ أن علياً أرسل إلى عثمـان فقال : (إن معـي خـمسـمـئـة ذراع ـــ أي مقاتـل ـــ فـأذن لي فأمنعك من القـوم ، فإنـك لم تُحـدث شيئـاً يستحل بـه دمـك) فقـال عـثمان رَضِيَ الله عَنْـهُ : جُـزيت خـيراً مـا أُحب أن يُـهراق دمٌ في سببي [1] .

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

مـوقِف الإمـام عـلي كَرَّمَ اللهُ وَجْـهَـه مِنَ الخِـلافَـة :

مـعَ اعتبارنا لكلِّ النصـوص التي يَعْتبرها القائلون بأحقية الإمـام على في الخلافـة ، وما يُفَـسَّـرون به خبر البَيْـعة في السَّقيفة ، وإضـفـاء صفة الـمؤامـرة على القرار وتأخر بَيـعة الإمـام حتـى مُـرور الأيـام الثلاثـة ، كما ورد في بعض الأقـوال ، ثُمَّ بيعته لسـبب وآخـر .. ونجـد أن (موقـف الإمـام الأخير والنهائي) والذي بَـنَى عليه عصره اعتبارات موقفه هـو : إثبـات خلافـة أبي بكـر ومبايعتـه والتـزامه المشورة إلى جانبه ، والاشتراك الـواعي في خدمة وحدة الأُمـة [2].. فيكون بهذا الموقـف قـد حدد هوية القرار وشارك فيه ، وفَضَّلَ السَّلامة على الـمَلامـة .. وتتابع هذا الموقف الواعي في وقوفه إلى جنب عمر رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر ، ثُـمَّ وقوفه بجانب عثمان ، ولم يُـجَـيِّش أَحَـداً ضـد القرار المُجمع إليه ، ولم ينسحب ليعمل في الظل ضد عمل المجمـوع ، وكان أول وقـوفه ومـواقـفـه رضي الله عنه التي حدد بها هـويَّة أَتبـاعه وأنداده وأضداده ساعـة امتلاكه لقرار الخلافـة بعـد مقتـل عثمان رضي الله عنه ، فكان ما يلي : قبول الخلافة على مَضض لما قد استشرى من الفتن .

- ❖ عدم اتخـاذ أي مـوقف معلـن مـن الخلفـاء السـابقين أو نقـد لحكمهـم أو نقـض لعـرى أحكامهم وشـوراهم ، وهذا يعني سلامة منهج الخلفـاء وموافقتـه لمـا كـانوا عليـه ؛ بـل جَـنَّـدَ أبناءه للـدفاع عن عثمان رضي الله عنه ساعة حصاره.
- ❖ موقفه الواضح من غلاة الشيعة المفرطين في ذاته ، وما أُثِرَ عنه من حـرق أحـدهم والتـبرِّي من آخرين .

---

[1] / الصـدّيـق الأكـبر ص (٦٧ ـــ ٦٨) .

[2] / بل ونجده رضي الله عنه يُثبت اجتهاد الصحابة في شأن الخلافـة بما كتبه لمعاوية بن أبي سفيان عندما أبى أن يُبايعة .. فكتب إليه (إنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك ، فإن خرج منهم خارج لطعنٍ أو بدعة رَدُّوهُ إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى) أ هـ نهج البلاغة (٣/ ٧).

❖ تحديد موقفه من سلطة بني أميَّة وعدم المهادنة في شأن تمحّكُهم بقضية عثمان رضي الله عنه وإعذاره لمن وقف موقفاً سلبياً في أيام الفتنة .

❖ معاملته العادلة مع معارضيه من أصحاب رسول الله ﷺ وعدم سبهم أو تكفيرهم أو معاملتهم بما يُعاملهم به مُدَّعو المحبة للإمام رضي الله عنه حتى اليوم.. وخاصَّةً مواقفه من الأصحاب الأكابر كعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم .. وبه يتضح الفرق بين موقف الأتباع وموقف المُقتدى به .. من خلال سُنَّةَ المواقِف للأئمة لا من خلال مواقف الأتباع .

❖ انقسام أتباعه في حرب الجمل إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ آل بيته ومُحبَّيه الخواص رأوا رأية وسكتوا عن الغير .

٢ ـ شيعته الذين ألزموه بقبول التَّحْكيم وأشاروا عليه بما لم يرضَهُ حتى آلت القضيَّة إلى الحيلة الموصوفة بالتَّحكيم .

٣ ـ الخوارج الذين خرجوا عنه بسبب رضاه بموقف شيعته ، وتشعبت المواقف بهذا الانقسام وجرت مجراها من القضاء والقدر إلى الحرب معهم ..

ويُستفاد من نصوص فقه التحولات وسنن المواقف عدم انشغال الإمام علي رضي الله عنه ساعة امتلاكه لقرار الخلافة حتى موته بنقض خلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم ، أو تخوينهم أو تجييش الرأي الإسلامي ضدهم ، أو حصره الإيمان والإسلام بعد رسول الله ﷺ في خمسةٍ كما يدعي الغلاة ، وحُكمهم بردّة الأصحاب ـ والعياذ بالله ـ أو انحصار العلم والفتوى والمذهبية في ما يُسمَّى بمذهب آل البيت ، وحصر مذهب آل البيت في الإمام علي رضي الله عنهم وسبطيه دون غيرهم . .

فكُل ما يُشاعُ أو يُقال أو يُكتب أو يُروَّج له في شأن هذه القضايا لا علاقة له بِأئمَّة آل البيت الأطهار ، المُقتفين منهج النَّبيّ المختار ﷺ، وإنما هي مواقف الأتباع المتعصّبين وفق قراءتهم للأحداث .. كما هو في شأن أتباع المذاهب ذاتهم .. وهذه ظاهرة استشرت في المسلمين وللأسف ، وتحولت إلى منهج سياسي ودين قياسي. والذي يعني الأمة من هذا الركام المتناقض

هـو مـوقِف أئـمَـة آل البيت الأطـهار والصحابة الأبرار رضي الله عنهم فقط .. وأمـا رُكـام الأتبـاع ومـا قرروه لأنفسهم من مواقف فَـعِـلَّـةً مِن عِلل المراحل ، وليسـت مـذهباً يُـقـتَـدى بــه ويُهتـدى بهـديه .. وهذا مـا فعلـه واتخذه عُقلاء الأمَّـة والأئمـة على مـدى مـراحل استشراء الفتنة وسيرهـا المخيف . أ هـ[1]

عَـلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ:

أن الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه هو أول من طبّق مفهوم الأخذ بمنهج السلامـة بعد رسول الله ﷺ؛

فلو اعتبرنا قول القائلين بالأحقيـة للإمام علي رضي الله عنـه في الخلافـة بالوصيـة أو بغيرهـا ، فالأمر يقتضي من الإمام أن لا يقبل الأدنى في الأمر الشرعي الواجب ؛ بل عليه المقاتلة حتـى يرجـع القرار إلى أهله ، أو أن يموت في سبيل ذلك : لأهمية المرحلة ذاتها ..

فانتقال سلـطة الإسلام من عهد الرسالـة إلى عهد الخلافـة الراشـدة يجب أن تنتقل عـلى قاعـدة مـن السلامـة والأمان والحق المُطلق ؛ لأن سلامـة الخلافـة الراشـدة هي سلامـة الإسلام كلّه ؛

ولهذا نجد أن الإمام علي رضي الله عنه وهو أحد خلفاء منهج السلامـة يوقِف العمل بالنصـوص التي يتخرّص بها الآخرون ويضع سيفـه حيث وضع المسـلمون سيـوفهم ويصـمت عنـدما لا يجد للقول أُذناً صاغيـة إذا اعتبرنا موقفه من البيعـة حتى موت فاطـمة رضي الله عنها ، ويرجع بعد ذلك لوضع يده في يد الخليفـة أبي بكر ويُصبِح مستشاراً وقاضياً وإمام المرحلـة في العلم الأبوي النبـوي ، وهكذا في سائر مرحلـة الخلافـة من أبي بكر إلى عمر إلى عثمان حتى جاء عهد خلافـته رضي الله عنـه وأرضاه ..؛

وبهذا تُعتبرُ مواقفُـه التي وقفها إلى جانب الخلفاء الثلاثـة منهجَ اتّباعٍ بصرـف النظر عـن النصـوص التي أَوْقَفَ العمل بها ، وتجاوز المطالبـة بما فيها ، إن كانت هناك نصوص مُعيَّـنة تمسـك بهـا أشياعه وكفروا بها صالحي الأمـة ، وتجاوزا مواقف الإمام ذاته في موافقـته ومواقفـه ..

[1] الوثيقة ص(١٩٣ـ١٩٦) الطبعة الثانية .

ولهذا فمنهج السلامـة الصحيح أن نأخذ بمواقف الإمام ذاته وننشر في المرحلة السلام ونُشـارك في صُنعِـه كما أخذ به الإمام علي وشارك في صُنْعِـه على عهد أبي بكر وعمر وعثمان ؛

بل وكان له مع الثلاثة رضي الله عنهم أجمعين أعظم المواقـف في التماسـك والخدمــة المشتركــة وبناء منهج السلامـة في الأمـة أجمعين ، بل إن مرحلـة خلافـة الإمام علي رضي الله عنه قـد تنوعـت واختلفت عن رأيـه وعن رأي آل بيته ، فمعركـة صفِّين نجدها ميَّزت بـين ثلاثــة قـوى متعارضــة الفهم :

١ ـ الإمام علي وأهل بيته والمندرجين من الناس تحت رايـته ، ولم يلزموه التحكيم ولم يخرجوا عليه .

٢ ـ الشيعـة الذين قبلوا التحكيم وألزموه قبول ذلك .

٣ ـ الخوارج الذين رفضوا موقف الشيعـة وخرجوا عليهم وعلى الإمام علي .

ولهذا فإن اعتبار أهل منهج السلامـة أساس المحبـة والتشيُّع لـيس عـلى مـن تسـيَّس بعـد هـذه المعركـة ، وإنما على الذين قبلوا رأي الإمام وأهل بيته وانطووا فيهم ولم يتمرَّدوا أو يتخذوا لهم موقفاً يُرغِمون أهل البيت على قبوله مُقابل محبّتهم المُزيَّـفة[١] .

عَلَمِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أنَّ من أخطر ما نُعانيه في عصورنا المتلاحقة حشد العلـماء والبـاحثين تـراجم الإمـام عـلي وفضـائله وخصوصياته ومميزاته ، لخدمة الجنوح الذاتي القائم في النفس البشـرية عـلى قاعـدتي : ((المنافســة ، والتحريش)) ،

وهما صفتان سلبيتان أدانهما رسـول الله ﷺ في أحاديـث الساعــة وفقـه التحـولات ، حتـى لا نكاد نقرأ ترجمة من تراجم الإمام علي رضي الله عنه إلا وهي تصبُّ في تجييش المسـلمين ضـدّ الآخـر ممن يصف الإمام بمـا هـو بصدده من التوجّـه والمنطلق والرؤيـة ، سواءً في مَسألـة جدارة الحُكـم ، أو جدارة العلم ، بل وتخرج بعض التراجم عن الأدب الشرعي العام إلى طـرفي الإفـراط والتفـريط ، ومـرجع ذلك كلـه على قضيـة واحدة .، وهـي : ((تألـيه الحاكميــة)) ووضعهــا عقيـدة الـولاء والبراء والنظر إليها كأنهـا ميراث الديانة الأساس ، وإسقاط بقية الثوابت دونها .

---

[١] إهـ من كتاب :منهج السلامـة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠ م ص [٤٣ـ ٤٥].

وقد برز هذا الملحظ العدواني منذُ مرحلة الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ، وهي المرحلة المعنية في أحاديث فقه التحولات بالاختراق الدجالي والاختراق الدجالي في تعليل هذا الفقه تأليه قضية الحاكمية فوق مستوى نصوص العلم بعلامات الساعة ، والنظر المحصور في نصوص الثوابت دون المتغيرات ، وقد وقع في هذا الفخ الكثير ممن أصابتهم الفتنة في تلكم المرحلة . .

وكفى أن ندرس نصوص الأحاديث الخاصة بالفتنة خلال صراع القوم على قضية الحاكمية وامتلاك قرارها ، حيث استوى الكثير من أولئك في الحصانات والصحة والعلم والاجتهاد ، وكانت هذه الشروط عين التأثير على عموم الأتباع والجند وجحافل الموالين ..

وترجح لنا اليوم سلامة أهل السلامة وعدالة مطلب الإمام علي رضي الله عنه يوم دارت رحى الحرب بينه وبين عائشة والزبير وطلحة بأحاديث فقه التحولات وعلامات الساعة ، وعُرفت عدالة معركة صِفّين بين الفريقين بتوقفها ساعة ظهور علامة الفقه الشرعي للتحولات : ((عمار تقتله الفئة الباغية)) ، وترجح بهذا الحديث علم لم يكن في حسبان الكثير من علماء وفقهاء الفريقين ، حتى أن جيش الإمام علي رضي الله عنه يُقاتل أهل الشام وعيونهم على عمار بن ياسر منتظرين الحسم الآلي لقضية المعركة وعدالة أحد الفريقين بمقتل عمار .

وإذا كانت الحيرة قد شملت أتباع الإمام علي رضي الله عنه في تلكم المعركة حتى ظهرت العلامة ، فما هو حال الأمة اليوم وهي تجيّش النصوص ضد بعضها البعض .. استعداداً لمعركةٍ لا مفرّ منها باعتبار المقولة المألوفة لكل مقدمات نتائج .

وإذا كان ما يُقدمه من علماء المسلمين من كل مذهبٍ وطائفة هو صراع الأقلام والأفلام والأزلام مع حُكّامهم وشعوبهم لإبطال المنهجيّة السنيّة المتداولة بالشبهات والنواقض عند فريق ، أو التكفير وإدانة وكشف هنات وعيوب وتراث أتباع التشيع لدى فريق آخر ، فالنتائج المتوقعة بين الفريقين الهلاك والدمار وحرق الأخضر واليابس .. دون عائدٍ إيجابي ، أو مستقبل مستقر يُرجى ،

وإنما هي النسخة المكررة منذ عهد عثمان رضي الله عنه وما تلاه إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا .

ولن يسلم من هذه الحالـة المدمرة سوى الفريق الذي عرف طريق السلامة منـذ العهـد الأول فسـار على طريق الرجاء في الله والخوف منه متخذاً من الدين جُنـةً ودرءًا مـن الفـتن المضـلة وعاصـماً مـن قواصمها على ما سار عليه الأئمـة الأعلام أهل النمط الأوسط رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

كما أنه لن يسلم من فتنة المسيخ الدجال الكاسحة ومقـدماتها الهاتكـة إلا مـن عـرف الـدين برباعيـة أركانه مسلماً لسـانه ما استطاع من الذم ويده مـن الـدم .. محبـاً لآل البيـت ولأصـحاب رسـول الله ﷺ واصفاً لهم كما وصفهم ربهم في كتابـه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ الفتح. ٢٩: هـ[١] .

عَـلَامَـات فِقْهُ التَّحَوّلَاتْ :

أنَّ آل البيت من بقيّـة السيف وسادة الصُّلح الواعي ومن تبعهم يخالفون أهلَ الإفراط والتفريط :

فيما جَـنَـحوا إليه من إطلاق السَّبِّ والشَّتم والوقيعة في المبشرين بالجنة وأهل بـدرٍ ، ويتعففـون عن تنـاول غـيرهم أيضـاً بـاللعن والسَّـبِّ الصريـح الـذي تتبـناه مـدارس الإفـراط والتفـريط ، ويتذكرون قولَ المعلم الأعظم ﷺ (إنِّـي لم أُبعَثْ لعَّاناً وإنما بُعِثتُ رحمةً) وهُــمْ بهـذا المواقـف قـد تخلَّـصوا من عُقدةِ الطبع الراغبة في الانتقام وأخذ الحقَّ باليد وباللسـان ، واستعاضـوا بـما عنـد الله عزَّ وجلَّ الذي ينصر المظلوم ويدفعُ عن الحقَّ وأهلِـه ، ويعـوّض المـسلوبين مـا سُـلِـبوه بأفضـلَ وأحسنَ وأكرمَ مما في الحياة الدُّنيا ، بل إنَّ كسرَ السيفِ الذي اختاره الفقيه المقدم في القرن السـابع لم يأتِ اعتباطاً ولا جهلاً بالنصوص ، بل التـزاماً لها ففي الحديث ، قال رسول الله ﷺ ((إِنَّهَا سَـتَكُونُ فِتْنَةٌ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْجَالِسِ ، وَالْجَالِسُ خَيْرٌ مِنْ الـماشي وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِـنْ السَّـاعِي)) فَقَـالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِّ فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : ((مَنْ كَانَتْ لَـهُ إِبِـلٌ فَلْيَلْحَـقْ بِإِبِلِـهِ وَمَـنْ كَانَـتْ لَـهُ غَـنَمٌ

---

[١] الصديق الأكبر ص (١١٣ ـــ ١١٥) .

فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ من ذلك فَلْيَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ فَلْيَضْرِبْ حَدَّهُ على صَخْرَةٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجاءَ)) .. [1]

عَلَمِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أنَّ مفهوم الخلفاء الراشدين في فقه التحولات هو :

تعريفٌ جامعٌ لأوعية الحُكم أوِ العلم بشرط الحصانة والعدالة ، مِن عهد الخلافة الراشدةِ إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ؛

وينقسم تفصيل الخلافة الراشدة في فقه التحولات إلى قسمين هما :

١ـ قرار الحُكْمِ والعِلْمِ ، وينحصر هذا التعريف في مَرحلة الخلفاء الستة بدءاً بالخليفة الأوّل أبي بكرٍ الصديق ثم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ثم الخليفة الثالث عثمان بن عفان ثم الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ثم الخليفة الخامس الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهذه المرحلة المَنصوص على سلامتها وعدالة رجالها ، ويليها مَرحلةُ الخليفة السادس عمر بن عبد العزيز باعتبار عدالة الخليفة ذاته وبراءته من القدح الشرعي ، ويَلحقُ بها في مستقبل الزمان المرحلةُ المهديّةُ والمرحلةُ العيسويَّة .

٢ ـ خِلافَةُ قَرَارِ العِلمِ وَالوِرَاثَةِ الشَّرعيَّةِ ، وتبدأُ هذه المرحلةُ بتنازُل الإمام الحسن رضي الله عنه ، وكذلكَ بفصله بهذا التنازل بين قرار العلم والوراثة الشرعيّة عن قرار الحُكم والملك العضوض ، وتؤكّدُ ذلك خطبَتهُ الشهيرةُ عشية التنازُل : ((إنَّ الله هداكم بأوَّلنا ، وحَقَنَ دماءكم بآخرنا ، وإنَّ مُعاويةَ نازعني أمراً أنا أحقُّ به ، وإني تركته حقناً لدماءِ المُسلمين وطلباً لما عند الله)) .

---

[1] أهـ النمط الأوسط ص (١٠٥ ـــ ١٠٦) .

وبهذا التعريف للخلافة تحددت أَهميَّةُ العدالة والسند المُتصل في قرار العِلم الشَّرعي للصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وهؤلاءِ هم المعنيون في (فقه التحولات) بقوله ﷺ:

((فَإِنَّ مَن يعش منكم فَسَيَرى اختلافاً كثيراً ، فَعَليكُم بِسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المَهديين ، تَمَسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ)) . فـ (الرَّشَدُ) هنا هو العدالةُ ، و (الهداية) العمل الصالحُ المُرتبطُ بِحُسنِ التَّلقّي والأسانيد [١] .

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن الملتفت والمتأمل إلى الظالمين في رحلة التأريخ يجدهم : قد ذهبوا أدارج الرياح ، ومثلهم المظلومون الأوائل قد انتقلوا بمظلمتهم إلى عالم المستراح ؛

فما يدري المستبصر المعاصر مَنْ هو المتهم بالخيانة اليوم ليُقَام عليه الحد الشرعي ، ومن هو المَعْنيّ بحمل الأمانة ليُسار خلفه بشاهدٍ قطعي ..

في زمن أجمعت أدلة الفقه النبوي الصحيحة أنه عصرـ فتنة واستتباع وغثاءٍ واندفاع وانتفاع : قادتُه الأشياع والأقماع . مُستثمرُه الكافرون المستعمرون والمستهترون أُلو الحقد والأطماع .. عدوُّهم الأصليُّ الإسلام ، وغرضهم المبدئيُّ هزيمة المسلمين في معركة الصمت والكلام .. واحتواء الأسباب الوضعية والشرعية لتهيئة العقول والقلوب والأرواح والأجساد ، لمشروع ((فِتَنٌ كقِطَع الليل المظلم يُصْبِح الرجل ــ فيها ــ مؤمنا ويمسي كافرا أو يُمسي مؤمِناً ، ويُصبِحُ كافراً ، يبيعُ دِينه بِعَرَضٍ من الدنيا قليل)) .

فيرتبط أولها بآخرها وآخرها بأولها ، مُذُ مَقتل الخليفة المصطبر عثمان رضي الله عنه ، ومنذُ تخلي الإمام الحسن رضي الله عنه عن كرسي خلافته تاركاً زمام السلطة إلى غيره ، ومنذ إثبات الإمام الحسين رضي الله عنه شجاعة آل البيت في مواقفهم المصيرية ومقتله بين تخاذل

---

[١] إهـ النبذة الصغرى ص (٤١ ــ ٤٢) .

المحبين الـثرثـارين وخـيـانـة البغاة القتلــة المبغضين .. مؤكـداً نـهـايــة النصـرة بمقتلـه وأهـل بيتـه مظـلوميـن ..

وأَوَّلُ مَن علم ذلك ووعـاه وأشـاح عن خطرِه بمعنـاهُ ومبنـاه إمـامـنـا السَّجـادُ عليٌّ زينُ العابـدين رضي الله عنه الذي كـان معـنِـيّـاً بأخـذ الثـأرِ وإقـامــة المطلـب والـشّـعـار ، ولكنَّـهُ رسـمَ لآل البيت مـدرسـة السلامـة ، وكـان خير قـارئٍ للـدلالـة والعلامـة فاغتـنـمـهـا في سـبيل الاقتــداء والاهتـداء .. وكـان درسـاً لمن ﴿ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾ الإسراء: فلم يُـجَـيِّـش أحـداً على أحـد في ذكريـات آبـائـه ، ولـم يُــقِـم مـأتـمـاً أو دعـا إليـه ، أو أوصــى بـه لنصرة المظلوميـن في ذلك اليوم الخطير على مـدى مسيرة حياتـه .

وإنمـا حقيقـة الأمـر لمن أراد الحقيقـة أن مبـتـدأ هـذا التركيب السياسي صـراعٌ مُـفـتـعل بيــن فئتـين لا علاقـة لآل البيت الأكـابـر بهما ولا بثمـرتهما ، إلا من حيث نـسبـة الأمـر إليهم : إمـا على أَلْـسِـنَـةِ فِـئَـةِ الـمُـفْـرِطيـن الغلاة .

أو التلبيس عليـهم بألسـنة فِـئَـة الـمُـفَـرَّطـين البغاة . وهـذان الـفريقـان هما اللـذان اكتسبا القـدرة على الحركـة بيـن مالكٍ للـقرار أو معـارضٍ لـه .. وهـمـا في قـراءة النصـوص مـعلــومون صِفـةً وحـالاً وشـعـاراً .. ولا يـخرج عنهما إلا المخدوعون المستغـفلـون الذين تأخـذ بهم المحبــة الجـامحـة مـأخـذ الاسـتتبـاع .. أو جـماعـةٌ من سـادة الصلح وبقيـة السيف اجـتهدوا فـثـاروا عـلى الظلم واستشـهـدوا في سبيـل الله .. ولا يُـقاس عليهم أحـد من الأطـراف المتعـارضـة ألـبَـتّـة [1].

نـداء ممن عَلَّـمَنِي فِقْهُ التَّـحَـوّلات :

أيها الجيل المُشـرَّف بالـنِّـسبة الطاهرة أو من ارتبط بهم منهجاً ومحبةً وعلاقـةً أُعيـدكم إلى نصِّ النبـي محمد ﷺ في فقه التحولات ، حرصاً على سلامـة أهـدافكم وديانتكم وعلاقـتكم بأسلافـكم ، فهـو

---

[1] / الصـديق الأكبر ص (١٤١ ــ ١٤٢) .

خيرٌ لكم من أفكار الجماعات والجمعيات والأحزاب والأنظمة ومخرجاتها الإعلامية والأقلامية والأفلامية وتخبطاتها السياسية والمسيَّسة ،

فالسند المتصل في فقه التحولات المرتبط بعلم أركان الدين الأربعة يربطكم بمن لا ينطق عن الهوى ﷺ، والسند المتصل في فتنة المسيخ الدجال وأحابيله الفكرية يربطكم بالثلاثي المدمر الشيطان والدجال والكفر ، ولم يحذرنا الحق سبحانه من شيء في نصوص القرآن وسنة النبي محمد ﷺأكثر من تحذيره لنا من هذا الثلاثي الهالك .إهـ[1].

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلات:

إن التناول الفج لدى طرفي الإفراط والتفريط لقضايا التاريخ الإسلامي أضاع الموقف الشرعي لأئمة العدل السياسي في المسيرة الشرعية؛

وألقى بظلال البغضاء والحقد والانتقام والتشفي النابع من صدور هذين الطرفين ، بل وغلب الانفعال الطبعي على المتعصبين في هذه القضية وأشباهها ، ولم يعد هناك مجال للنظر المتأني والفصل الواعي بين مواقف البغاة القتلة الهالكين ، وبين مواقف الأئمة الهداة المتقين ، وانقلب الأمر إلى موقفين متعارضين لا ثالث لهما :

- إما موقف الملك العضوض المُدان .
- أو موقف المطالبين بالثأر والانتقام على طول الزمان ؛

وأدرج الشيطان كافة مواقف العقلاء وورّاث النبوّة في إحدى زوايا الإفراط والتفريط حتى بلغ الغلوّ لدى فريق ادعاء الكفر والنفاق في أكابر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وأدى الجفاء إلى فريقٍ آخر الأخذ بجريرة الاسم والمذهب والطائفة دون اعتبار للنسب والعلم والمواقف .

---

[1] رسالة شخصية ص (٤٧) .

إنها مصيبـة حقيقيـة ولا زال خطرهـا يلتهم الأخضر واليابس ..؛

ولا مخرج منها ومن أوارهـا إلا بمعرفـة فقـه الفـتن ومضـلاتها وأثرهـا المـدمر بـين الفريقين ، ومعرفـة منهج السلامـة ، ومسلك النمط الأوسط من جهة أخـرى للمتميـز بـين الفئتين ، وتربيـة جيل إسلامي معتدل الوعي ثابت المواقف بعيداً عن علل الصـراع والنـزاع مستوعباً فـقـه التحولات وملـتزمـاً بالنَّص ، ومواليـاً لمخرجاتـه الشرعيـة ؛

ومجانباً فقه المبررات والمغالطة الذي عم الفرق والجماعـات ، ومقدّمـاً مقولات النبوة في جانبي المناقب وتوظيفها في مناسباتها ، أو عـدم الخلط بين النصـوص أو بـتر معانــيها ، حيث فعل هذا الخلط جملـة من حملـة الأقـلام ومتعصـبي الأفهـام ، ممـا أوصـل الفـريقين المتعارضين إلى محاربـة ثقـات آل البيت ممن لهم موقفٌ وسـطٌ بين المـوقفين (الغلـو والجفاء) وصـار الانتـماء والولاء والبراء لا يتعلق بصحة النسب وعــدالة السـند المكتسـب ، وإنـما يتعلق بالجمـاعـة والمذهب والانـتمـاء المركّـب (وكـل يغني على ليلاه) . إ[1]هـ .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن كثيراً من مؤلفات السلف في التفسير والحديث والتصوف والتراجم والسيرة وغيرها من فنون الكتابـة .. في أمَسِّ الحاجـة إلى صياغـةٍ حديثـة ؛

من غير تحريف ولا تُهم ولا احتيال ولا ابتذال ، ليحصل بذلك الربط التاريخي بين الجيل المعاصر والجيل الماضي على أحسن الوجوه والقواعـد ، وأن العـار الأعظـم ليصـيب الـذين يهملون تاريخ أسلافهم ليعتدي عليه لصوص الفكر وسماسرة التحريف .

كما يحلّ العار الأعظم بالذين يجعلون دعوتهم للتجديد لعنـات عـلى السـلف وتـراثهم وعقائدهم ، فيتحكّمون في التراث ويُحسِّنون ما يتلاءم مع آرائهـم وأفكـارهم ولـو كـان في

---

[1] إظهار العلم المكنون ص (٤٨ ــ ٤٩) .

التاريخ شاذاً ، ويُسَفِّهون ما لا يوافق أهواءهم وأفكارهم ولو كان يُمَثِّل الحق والسّواد الأعظم ..

إن سياسة تشويه التاريخ ورجاله عقوق لا يُساويه عقوق ، وتضييق نفعي غرضي للمفهوم الإسلامي الشامل ، واحتكار لعالمية الدين وإشراقاته ، ومهما طال المدى بهذه السياسة الغريبة على الإسلام وتاريخ التصنيف فيه فإنها الآن تنكشف وتظهر للأمة مُجَرَّدة عن الأقنعة والمساحيق ..

وإنَّ غداً لناظره قريب[1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أن من الوعي بمكان أن نتفقّد قضية الاقتداء بالمتبوع الأعظم ﷺ

ونجعله هاجساً مستديماً ، ونرفع أنفسنا أولاً : من حوصلة المفاهيم المقبوضة والعُرى المنقوضة حتى نستوعب مهمتنا الشرعية ، ووظائفنا القطعية وبهذا الاستيعاب سنقطع دابر الفتنة والافتتان ، ونحجز مداخل ممرات الإفك التي يتمحّك بها ومن خلالها كل ختال وفتّان ..[2]

---

[1] إهـ من كتاب : شروط الإتصاف لمن يريد مطالعة كتب الأسلاف ط١لعام ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٩ م ص[٤٢ــ٤٣].

[2] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣ م ص[١٥].

الباب الثامن :

باب القرار ، ودعاة الاستقرار وما يتعلق بذلك .

عَـلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أَنَّ هنـاك من يشـتـغل بالقرار وامتلاكـه وشـعار هـذا النموذج (الغايـة تـبرر الوسيلة) ،

فيفني نفسه وما حولـه من الأسـباب والوسـائل لتحقيق الغايـة التي يصـبو إلـيـهـا : إمـا القرار ، وإمـا الدمـار ..وهنـاك من يشـتـغل بالاسـتقرار ومقومـاتـه ، وشـعاره : (الغايـة تـقرر الوسيلة) فقد تلزمـه الغايـة التي يصبو إليها أن يتخلى عن القرار ذاتـه لـيُـحقق معنـىً مـن معـاني الاستقرار في حياته ويضمن السلامـة لنفسـه ولمن معه بـعد مماته .

وهـكذا كـان مبـدأ رجـال النمط الأوسـط في تأريخ امـتلاك القـرار وتبـوء مـراكزه ، فـالقرار مجـرد وسيـلة ، وقـد يتجاوزهـا عقلاء الـديـانـة لأجـل غـايـةٍ أسمى . إهـ[1] .

عَـلَّمَنِي فِـقْـهُ التَّـحَـوّلاتْ :

أننا نُشير إلى كل من يرغبُ بالخيرَ والسـلامـة بأن الأمن والاطمئنان وسلامـة الأمن والاستقرار ..كامِنٌ في أسباب المعالجـةِ لهذه الانفعالات الطَّبعِيَّـةِ ؛

وهي مهمـةٌ صعبـةٌ للغايـة لم يتمكّن من تحقيقها على الوجهِ الكاملِ خيرُ النـاسِ وأفضـلُهم ﷺ في عصرِه وعهدِه ، إلا أنـه قد أوضح السبيل وحدَّدَ القصد لِمَن يرغب في الطريق الأسلَمِ ، ورَسَم المنهجَ الأسمى في المعاملة الصحيـحة سواءً في حال السِّلمِ أو الحربِ ، والحُبِّ والبُغضِ ، والقرب والبُعد..

سواءً كانوا في مستوى قرارِ الحُكم أو قرارِ العِلم أو لم يكونـوا كـذلك ، فهـم حيـث مـا كـانوا يؤدّون دورهم الرِّياديَّ في الأمـة بلا ضوضـاءَ ولا جَلَبَـةٍ ، وإنـما [سِيَمَاهُمْ فِي وُجُـوهِهِمْ مِنْ أَثَـرِ السُّجُودِ][2].

---

[1] سلامـة الدارين ص (٤٨).

[2] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٧٣].

أن السلامة ليست مجرد وجهة نظر ،

وإنما هي قاعدةٌ شرعيةٌ دعا إليها رسول الله ﷺ في مناسبة ظُرُوفِها وطبقها عشراتٌ من أتباعه وحاملي سنته ﷺ، وفي شأنها يقول ﷺ في حديث الْحَسَنِ رضي الله عنه عن أبي مُوسَى الأشعري : ((إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ هرْجًا)) قَالَوا مَا الْهَرْجُ ؟ ونرى أنه قال ((الكذب)) قال : الْقَتْلُ) قالوا وما يكفينا أن نقتُلَ كلَّ عامٍ كذا وكذا من المُشْرِكِينَ ؟ قَالَ ((لَيْسَ ذلك وَلَكِنْ قتلكم أنفسكم)) قالوا : وَمَا عُقُولُنَا ؟

قال ((فَقَالَ : إنه تُخْتَلَسُ عامةُ عُقولِ أهل ذلكَ الزمان ، ويُؤَخَّرُ لها هباءٌ من الناس يرون أنَّهم على شيءٍ))وما أُراها إلا ستدركني وإياكم ، وما أعلم المخرج لي ولكم منها فيها عهد إلينا نبينا ﷺ إلا أن نخرجَ منها كيوم دخلنا فيها ، قال الحسن : (ما الخروج منها كيومَ دَخلوا فيها إلا السَّلامة)[1] .

وبهذا يتميّز رجال النمط الأوسط بالمواقف الأخلاقية الشرعية والالتزام بمنهج السلامة في كل الظروف وتتلخص أهمُّ مواقفهم بما يلي :

- مواقف أهل البيت في عصر الخلافة الراشدة في مسألة الحكم ، والموافقة على ما أجمع عليه أهل الحلِّ والعقد ، وعدم المنازعة في ذلك ، والرضى بما رضيَ به المسلمون ، وتجاوزِ ما اعترى البعضَ منهم من عدم الرِّضى في بداية الأمر إلى الموافقة ودعمهم التَّامِّ لمراحل الخلافةِ الرَّاشدةِ حتى تنازل الإمام الحسنِ رضي الله عنه[2] .
- قبول الإمام رضي الله عنه المشاركة الدائمة في بناء دولة الإسلام والنصح لها طيلة مرحلة خلافة سيدنا أبي بكرٍ وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وقبولُهُ البيعة بعدهم لإنقاذ ما يمكن

---

[1] النمط الأوسط ص (١٥ ــ ١٦) .

[2] وعلى هذا الموقف يلتزم أهل النمط الأوسط ما التزمه سلفهم الصالح من عدم الخوض أو الطعن في الخلافة الراشدة إلى يوم الدين ، ومن طعن فيها أو نازع بعلم أو بغير علم فقد خالف منهج النمط الأوسط ونحى إلى الإفراط والتفريط .

إنقاذهُ من منهج النمط الأوسط في مرحلة خلافته ، وهذا موقفٌ يُقتدى بـه بصرف النظر عمن يُشيرُ إلى مسألة النصوص التي تجعل الحق له في الخلافـة .

- موقف الإمام الحسنِ رضي الله عنه من الفتن والتنافس عـلى القـرار وتنازلـه عنـه في أشَـدِّ حاجة الناسِ إلى وجوده ، حفاظاً على دماء المسلمين وسلامة وحدتهم ، وانتقاله مـع أهـل بيته من العراق إلى المدينة حتى وفاتهِ رضي الله عنه دون خروجٍ أو منازعـةٍ محافظـةً منه عـلى الديانـةِ والأمـانـةِ ، وتجنيباً لحملتها من الهلاك والمنافسةِ ، برغمِ نكثِ الجانب الآخـر عهـدَ الاتفاقِ والتآمر على حياةِ الإمام الحسن رضي الله عنه بدسِّ السُّمِّ .
- موقف الحسين عليه السلام والتزامه السكون في المدينة مثـل غـيره مـن أهـل البيـت حتـى ابتعاث أهل العراق له بالبيعة وتحميله مسؤولـيّـاتها وإخراجه من أجلها من المدينـة إلى مـا قضاه اللهُ وقدّرهُ من استشهاده رضي الله عنه بكربلاء .
- موقف الإمام عليٍّ زين العابدين رضي الله عنه وهو الذي شهدَ معركة كربلاء وكان الرجـل الوحيد الناجي من المعركةِ ، واتخاذه فيها بعـدُ طريـق السَّلامـةِ والالـتزام بمـنهج الـنمط الأوسط ، والاعتناءَ في إقـامة منهج النبوّة دون المطالبـة بالقرار أو الاقتـتـال من أجلــه أو الـوصيـةِ بـذلك .

وقد تفرّعَ عن هذا الموقف منهج الزهـد المعروف بالتصوف وانتشر بعـد ذلـك في صـورته المعتدلــة كنموذجٍ من نماذج السَّـلامـة لكل من اتبع رجال النمط الأوسط.

سلك هذا المسلك الذي سلكـه هؤلاء الأئمة أغلبُ من جاء من بعدهم من آل البيت الكـرام وأتباعهم وتلاميـذهم ومن أخذ عنهم ، وهم قومٌ كُـثُـرٌ ، ولم يخرج عـن هـذه القاعــدةِ إلا أفـرادٌ ، وكان خروجهم لاجتهادٍ يتلاءمُ مع أزمنتهم ومن فيها ، ولم يســتقم لأحـدٍ مـنهم أمـرٌ ، بـل قُتـلـوا واستـشهدوا في سبيل الله ، ولا يُطعنُ في مواقفهم ولا في خروجهم ، بل هـي مواقـف استفاد منهـا رجال النمط الأوسط خِلال مرحلة الملك العضوض وثبتت بها مواقف السَّـلامـة ، ولا يحقُّ لأحـدٍ

من بعدهم أن يتخذها قُـدوةً للخـروج وإثـارةِ الصراع ، ويؤيـد هـذا المعنـى مـا أورده الإمـام القرطبي في تفسيره قال رسـول الله ﷺ: ((يكـونُ بـينَ نـاسٍ مِـن أصْـحابي فِتنـةٌ يغفِرهـا الله لهـم بصحبتهم إيايَ ، يَسْـتَنُّ بِـهِم فيها نـاسٌ بعدهم يُـدْخلُـهُم الله بها النار))[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أننا نحن لابد أن نقرأ التأريخ فإن كل مرحلةٍ يتسع فيها الشيطان عندما يُفقَد قرار الحُكم ،

وعندما يُفقَد قرار العلم ، وعندما تدخل الشعوب فيما سمّاه النبي ﷺ: بالهرج وما سمّاه بالمرج ، إذاً معنى ذلك : أننا نحن موعودين بهذه الظاهرة ..لكن عندما نؤصِّلها تاريخياً :هـذه الظـاهرة التـي قال عنها النبي : أنها [هَرْج ومَرج] وأشار فيها إلى الدم ، ما سببها ؟ لماذا تصير إلى هكذا ، فقط لأنها مُجرّد قضاء وقدر ..؟

ولكن لأنه اتساع السياسـة القابيلية في الأرض ، أيضاً اتسـاع السياسـة الدّجّـالية في الأرض ، أيضاً اتساع الرؤى الشيطانية في العالم الإنساني والأرضي حتى هيمنَت على مفاصل القرار في الحكم ، وربما هيمنت على مفاصل القرار في العلم ..فجاءت الأجيال التي تُنَـفِّذ مُسمى الإسـلام أو مُعالجـة قضايا الإسلام بِنَفسِ الأسلوب الذي يريده الشيطان في الأرض .. وهذه مـن أدق الأمـور الخطـيرة التي أصابت الأمـة[2].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أننا في حاجـةٍ فعليةٍ للإسـلام الحق ، وليس للإسلام التجاري المُصَـنَّع ..

ولا الإسلام العولمي البديل ..

فالإسلام البديل سيستخدم الشيطان في سبيل إنجاحه : كل هذه المسميات المتنازعـة والمتنوعـة مـن خلال مبدأي : [أنا خيرٌ منه ــ فَرِّق تَسُد] .

---

[1] إهـ من كتاب الأسس والمنطلقات ص (١٢٩ ــ ١٣١) ط٢ .

[2] إهـ من كلام سيدي الحبيب العلامـة المربي أبي بكرٍ العدني بن علي المشهور حفظه الله ونفعنا الله بـه في برنامج ترجمان المعروض على قناة الإرث النبوي الحلقة التاسـعة .

والإسلام التجاري مجرّد أداة ماسخة وناسخة للإسلام الأساس ، وهي المسمى في الإسلام :[بالقبض والنقض].

وكل هذه المسميات الناسخة الماسخة سماها القرآن : {خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} ،وأُمرنا أن نتجنبها في مسيرة البناء الشرعي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} ، { نَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِّ مَا لَا تَعْلَمُونَ} إذاً فهل من بيانٍ رباني أوضح من هذا ...؟؟

إن الحق سبحانه يؤكد صدور الأوامر الشيطانية إلى بني الإنسان بممارسة : [السوء والفحشاء] ، والسوء والفحشاء هما الممارسان اليوم في كافة شؤون حياة الأمم بما فيها أمة القرآن والسنة .

ألا ترى ما تفعله الجهات المعنية بالاقتصاد في العالم من تهديد الشعوب بالفقر ومستقبل المجاعة ، وقد امتلكت أسباب الغذاء والحاجات الأساسية وحوّلتها من ناتجٍ شعبي في الأوطان والبلدان إلى ناتج عالمي يتحكَّم في المصير والأهداف .

وهذا ما أنذر به ﷺ أمة القرآن من شمول أثر الشيطان في تخويف الأمة بالفقر ، وتحريشهم وإشغالهم بالفحشاء ، وهي ظاهرة المرحلة ..فما مِن قناة ولا محطة بث إذاعي محلي أو عالمي إلا وهي جزء من ترويج الفحشاء بين الشعوب حسب نِسبة علاقتها بالشيطان وبرامجه ..وهي أيضاً روايةٌ لأخبار التخويف من الفقر وِفق أطروحات خبراء التغذية ومستثمري الشعوب المغلوبة ، قال تعالى :

{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُّ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللهُّ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[1].

[1] الوثيقة ط ٢ ص ١٧٣ ـ ١٧٤

أن الله قد حفظ الصحابة من الفتنة في (مطلع بناء الدولة الإسلامية) بعد موته ﷺ؛

لما لديهم من قراءة نصوص النبوة ، فكان لفهم النَّصِّ ثباتاً يمنع من الاندفاع والمتصرف الانفعالي كقوله ﷺ: ((من نجا من ثلاث فقد نجا ، موتي ، وقتل خليفة مصطبر والدجال)) وكل المفاصل الثلاث فتن سياسية وحيصةٌ من حيصات الفتن ، وكان موت النبي ﷺ أول ابتلاء وأشدها ، وبصرف النظر عن التعليلات العقلانية ، فالموقف المتخذ من السقيفة كان أرفق نماذج الاجتهاد للخروج من الفتنة في ساعة الاختلاف على القرار ، ولو كان هناك حلٌ آخر أو مخرجٌ آخر أولى وأفضل لفرض نفسه بُعيد ساحة الحسم واجتمع عليه المسلمون بلا منازعة.

فالمسلمون لا يجتمعون على ضلالة ، والقرار الشرعي في هذه المرحلة في غاية الأهمية والحساسية ، والاجتماع على درء الفتنة وإخماد مصادرها أهم وآكد من ترك الأمور دون حزم وموقف مناسب .

والحكم من مسلم أو من عالم جماعة أو مذهب على صحابي مُعدّل وحاكم أُمّةٍ عاش مع جملة من الصحابة العدول ، يقيم العدل وينصح للمسلمين وينشر الفتوح الإسلامية في أقطار الأرض ، يُعَدُّ هذا الحكم والتكفير والطعن استهزاءاً واستخفافاً بالإسلام وبالمسلمين الذين عاصروه ورضوا بحكمه وصلّوا خلفه وائتمروا بأمره ،

ولن يكون هذا الموقف الجريء إلا عملاً شيطانياً توارثه جملة من أتباع الشياطين ووضعوا له فقه التبرير والمغالطة .

فالمناقب التي يعدلون بها من يحبون إنما جاءت على ألسنة وزمن الصحابة والتابعين الذين عاصروا العدول من الخلفاء والصحابة ، ولذلك لم يأل أولئك جهداً في ذكر المناقب كما ثبتت ، وذكر الأخطاء والمثالب كما وردت ، وليس أحد منهم معصوماً بل الخطأ من طبيعتهم والصواب رغبتهم وهدفهم ، والاجتهاد المشروع سياجهم وحصنهم ، والنصوص الواردة في فضائلهم إبان

حياة من لا ينطق عن الهوى هي أصل العلاقة بهم ومحبتهم ، وقد كفانا رسول الله ﷺ مهمة القدح والذم بما ورد عنه في كل مقدوح أو مذموم في حياته ﷺ ، وبعد مماته ، كما كفانا أيضاً مهمة الممدوح والمعدل بما ورد عنه في كل ممدوح ومعدّل ، وغاية ما يفعله المغرضون الطعن في الأسانيد وعدالة الرواة ونقلة الأخبار .

ولهذا فإن الحقيقة التي لا محيد عنها .. أن الطاعنين واللاعنين هم ضحايا فقهاء الحوادث مثلهم مثل ضحايا مدارس التشريك والتبديع في المنهج المنسوب لأهل التسنن ، فالمشكلة في الفريقين واحدة .. وهي خروجهما عن النصوص إلى الإفراط أو التفريط سواءً في سوء التفسير للنص .. أو في وقوعهما في ولاء وبراء الحوادث والوقائع السياسية التي تشكلت بها مواقع قرار الحكم أو العلم في تاريخنا الإسلامي العريق .. وتاريخنا الإسلامي الحديث .

وهذه في حد ذاتها مشكلة يصعب الخلاص منها إلا إذا تخلص القوم من أسبابها وعللها وعلاقتها المشينة بمبدأ الشيطان الرجيم (فرِّق تسد) .

وهل يا ترى هل أحد يصدّق أن هذا الهراء المدلل مبدأ الشيطان الرجيم ، وأنه لون من ألوان الاحتناك والتحريش والمنافسة بين أهل الدين الواحد والمصير الواحد والنبي الواحد والقرآن الواحد .. وقبل هذا كله المعبود الواحد ..

لقد أفضت التعليق الإضافي هنا باعتبار المرحلة المعاصرة وما أظهرته الأسباب من لغة التحريش بين منسوبي أهل السنة من جهة ، ومنسوبي الشيعة من جهةٍ أخرى ولغة التحريش وأنها لغة شيطانية يرعاها الشيطان بواسطة وكلائه الآدميين .. وبها يُدمر الشعوب ويحفز بها في الدنيا إلى ما سماه الحديث الشريف بجحر الضب وإلى ما سماه القرآن (حزب السعير) يوم القيامة ..

وتفصيل هذا العلم مبثوث في جملة أحاديث العلم بعلامات الساعة ، وهو العلم الضابط للمرحلة ومجرياتها ، والعلم الوقائي الحافظ لثوابت علم الأصول من جهة ، والعلم الحافظ والمجدد للغة الدعوة إلى الله .

وسيأتي اليوم الذي يصطدم الشيطان بين الفريقين المصطفين لهذه المصيبة المنتظرة .. ولن يسلم منها إلا الحاملين لواء السلامة من أطراف الفريقين أهل الاعتدال والوسطية الشرعية ..

وسلامتهم إما حفظ ألسنتهم من الذمِّ وحفظ أيديهم من الدم .. ، أو سلامتهم يوم لقاء الله إن اجتاحتهم جحافل الإفراط والتفريط وأجبرتهم على الموت في أتون الفتنة الحالقة المبيرة الهالكة ..

نسأل الحفظ والعون والسلامة .. إ هـ[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتِ:

أن الجهاد في سبيل الله فرضٌ على هذه الأمة ، وبالجهاد تظل راية الإسلام خفّاقة في العالم ، سواءً على صفة العالمية أو على صفة الجزئية في الواقع المُعيَّن ، كما هو في فلسطين وغيرها بشروطه الشرعية المُعتبرة ؛

لأن في الجهاد مطلبَ توازن أمام الغير ، ووضع اعتبار لشرف الديانة والشهادة التي شرفنا الله بها على كل أمةٍ أبت الديانة والشهادة .. والجهاد في سبيل الله في ثوابته مُقَيَّدٌ بشروط ؛

لأن فيه إراقة الدم وتقديم الرقاب ؛

والإسلام جعل السلام والأمان مشروعاً بديلاً عن القتل وإراقة الدماء ، فمتى أمكن استخدام وسائل السلام ونشر الدعوة إلى الله في الشعوب دون سلاح ولا قتال فهذا هو المطلب الإسلامي العالي ، وإذا ما تعسَّر السلام إلا بالجهاد ، فالأمر يقتضي إقامة شروطه ، وخاصة في عصرٍ لا تملك الأمة فيه قرار سلمها ولا حربها .

والتجارب قد أثبتت تدخل العدو في صناعة الجماعات وبعض المُنظمات وتمويلها باسم الجهاد لتكون جسراً لهدم الأمة من داخلها وبأيدي أبنائها ، الذين لا يدركون حامل القرار الأصلي في جهادهم ، كما أنهم لا يدركون حامل القرار الأصلي في حال سلمهم ؛

ومن هنا نجد أن منهج السلامة يُقدِّر للجهاد قدره بشروطه ، ولا يجعل الجهاد ورقة عمل مرحلي كما هو في منطلقات الأغرار وبعض المنتفعين والمندفعين ، وللأسف[1] .

---

[1] إظهار العلم المكنون ص (٤٢ ـ ٤٤) .

أن أول مَن يوجّه إليهم الحديث أولئك العسكر الذين يحملون في صدورهم وعقولهم مواد هذه المتناقضات يخطبون بها في المساجد ويتحدثون بها في المجالس ويوسِّعون بها دائرة القلق حيثما انفتحت لهم مسالك التناقض في المجتمع المريض .. اتقوا الله في أُمَّتِكُم وأرضكم ..

ضعوا نَصبَ أعينكم قول مولاكم :{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِّ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } . افهموا الآيـة على الكيفيـة التي أريد لها ، لا على ما تفسرون وتُؤوِّلون ..

اربطوا بين سِرّ التنزيل ومطالب الواقع كما ينبغي أن يكون ..

أحْسَن القول ..وهو الشرط الأول ..ومن لم يُحسِن قوله في ذات الله فليس بداعٍ إلى الله ، وإنما هـو داع إلى رؤيـته وعصبيـته وجماعته وحزبـيته ..

ضعوا نَصْبَ أعينكم قوله تعالى :

{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } . ومَن لم يـؤت الحِكمـة في دعوته فإنما يدعوا إلى وحشـة قلبه ونفرة طبـعـه ، { وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ } .

وتليها الموعظـة الحسـنة ..والحكمة دفّـة تُسَـيِّر الموعـظة وتجعلها حسـنة ، ومن لم يُلهم الحكمــة فموعـظته بَـشِعـة مُملّـة مُنَـفِّرة ممقوته ..

وهادتها قُبح ودمامـة وقذائع لِـيُقحِمَ فيها الدليل القرآني والبرهان النبوي إقحاماً لا يليـق بحقيقــته التي أنزل عليها ومن أجلها .

وجادلهم بالتي هي أحسن ..ومن فـاته أول المنهج وبدايته ..فلم يـؤت الحكمــة ولا الموعــظة الحســنة ..فمجادلتـه شـؤم وانفعاليــة واضـطراب لأن الجدليــة في الإسـلام مُقيّـدة لا مُطلقــة ، ومحكومـة لا حاكمـة ..وتابـعة لا متبوعـة ولا تتغلغل هذه المفاهيم الراقيـة إلا في رجال صدقوا مـا عاهدوا الله عليـه [2].

---

[1] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص[١٢٢ـ١٢٤] .

[2] إهـ من كتاب كشف الأقـنعـة ط ١ لعام ١٩٩٣م ص [٣١ ـ ٣٢]

عَلَمِيّ فِقهُ التَحَوّلات :

أنه يكاد جُلّ الجيل الإسلامي المندفع للتغيير أن يكون مع قادة التغيير الإسلاميين والإعلاميين ..

ينطلقون في اندفاعهم المشبوب واكتساحهم من واقع الظلم السياسي القائم على قاعدة الفِعل وردِّ الفِعل .. والفِعل وردِّ الفِعل في أساسه : سياسة المستثمر والمستهتر والمستعمر ..

مُحرِّك عواطف الضحايا ، ومُحرِّك أسلحة الحكام الظالمين ومن شايعهم للضرب فيما بينهم والتضحية بهم جميعاً في معارك التبرير والتحرير والتغيير ..

ومع كل نهاية معركة يبدأ المستثمرون في حَبْكِ مؤامرة المستقبل الجديد من عناصر الثورة ، وبمجموعات العمل الضدي وِفق الاحتياجات الطبعية للمجموعات وتشكّلاتهم الحزبية ، أو القبلية والمناطقية ، أو الطائفية ، أو غير ذلك من عوامل المتناقضات والنواقض المدروسة : أي التي تم التخطيط لها بعناية من أعداء الإسلام .

فالمفاصل العملية المؤثِّرة في حركة التغيير لا يملكها الأحرار المقاتلون ، وإنما يملكها المموِّلون الأشرار القابعون خلف كواليس المراحل .. يُشعِلون الفتن ، أو يستثمرون إخمادها .

وعِزّتنا نحن المسلمون لا تكمن في مساندة أقماع الفِتن ولا في تهيئة ظروف استقرار المستثمرين ..وأما غالب الإسلاميين والمستسلمين والمؤسلمين ..فلا يعنيهم مِثل هذه العِزّة التي تُشير إليها النُّصوص ، وإنما تعنيهم كلمة [الحرية والديمقراطية وتحقيق مصالح الإنسان وحقوقه] باعتبارها برنامج المرحلة الغُثائية بصرف النظر عن المُموِّل والمُنَفِّذ والمُستثمر ..[1]

عَلَمِيّ فِقهُ التَحَوّلات :

أن فئات الواقع المتصارع اكتسبوا بغضاً وحسداً وحقداً فيما بينها ، وهي تنطلق في الواقع المضطرب حيناً بالعلن وحيناً بالسر إلى امتلاك قوة القرار والمؤامرة من أجله ؛

واشتغل الجُلّ الأوسع من هؤلاء بحصاد عيوب بعضهم البعض ، وحول ما يدور في المعركة الحياتية من مطالب الاستقرار والاشتراك في مستوى صياغته ..

[1] إهـ من كتاب : المرصد النبوي ط١ لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٥٣ ــ ٥٤] .

وقد بعدت على الكثير على كثير منهم شقة الرجوع إلى مراد الله والديانة بمفهومها النقي المُجرّد ..واستنوقت كافة جوارحهم وعقولهم مجريات الحياة وطموحاتها ..وقفزات الإعلام ومسابقاته ..وثمرات الحياة المادية وأرباحها ..وصار من الصعب عودة الجُل الأوسع من هؤلاء إلى صفاء ونقاء منهج السلامة المقصود لدى الأسلاف ..

بل إن أهل الاندفاع والانتفاع منا ومنهم يرغبون في ترك ما تبقى من التعلق بالأسلاف ومسميات الارتباط بالمدرسة والطريقة ، ويعتبرون مثل هذا من مخلّفات الجهل والتعصُّب العائلي المقيت الذي لا يتناسب مع مسيرة التقدم الحضاري والتطور المعرفي المعاصر ..[1]

علمني فقه التحولات:

أن الأهواء هي القاصمة للظهر من القاعدة إلى القِمّة ومن القمة إلى القاعدة وهي ثمرة من ثمرات الانحراف عن الاستقامة ، وسبب من أسباب تجاوز قيد الأمر ..

والناس .. وبعض ما عليه الناس يظنون أن (الأمر) هو ما تفهمه أذهانهم وما يفسرونه مضغوطاً أو مبستراً أو مطحوناً أو مطعوناً من الأقوال والمفاهيم والتعليلات ..كالأمر في قول المعلم الأعظم ﷺ: ((من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ)) ولا يوجد في عصرنا شاب ولا كهل ولا عامي ..إلا وهو يستدل به على مراده ..ويقذف به المخالف لتهويشات اجتهاده ، وما هذا الحديث عند الوقوف على الحق بحجة لواقع كائن ولا متحدث شائن بقدر ما هو حجة على الجميع لا لهم .. حتى يحققوا في ذواتهم أحقية انتساب الأمر إليهم ..من قوله : ((في أمرنا)) ومن احتج به وهو في المستوى النفساني الذاتي فإنما يرجع الأمر عليه وعلى جماعته ..وليس على الأساس الذي به الأمة معلمها ﷺ . . فقد يقول رجل الكتلة ، والحزبية ، والنظام ، والمؤسسة الدينية : ((من أحدث في أمرنا ..إلخ))فيكون الأمر ما هو عليه وفئته من الحيثيات كلها .. والرد في مثل هذا الحال اختيار فؤي وامتلاء رؤي ..لأنه لا يجاوز معنى أمر صاحبه القائل ..

والأمر الذي قصده رسول الله ﷺأكبر من أن يكون سنداً لنظام ، أو حزب ، أو جماعة لم يتحقق لها في مجال (العلم والعمل) الخروج من دائرة الأهواء ..

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ } وهداية الله مرهونة بقوله : { وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أن هناك ثلاث فتن مُضلة خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية من نجا منها فقد نجا في الدنيا والآخرة وهذه الفتن أخبرنا عنها رَسُولَ اللَّهَ ﷺ بقوله :

{ مَنْ نَجَا مِنْ ثَلاثٍ فَقَدْ نَجَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ : مَوْتِي ، وَالدَّجَّالِ ، وَقَتْلِ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ مُعْطِيهِ } وفي[2] روايةٍ: { مَنْ نَجَا مِنْ ثَلاثٍ فَقَدْ نَجَا قَالَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، قَالُوا مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهَ ؟قَالَ : مَوْتِي وَمِنْ قَتْلِ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ يُعْطِيهِ وَالدَّجَّالِ } وما هذه الثلاث إلا فتنٌ مُضلة خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية .

فالأولى : موته ﷺ..

فمن نجا من ثائرة الفتن المضلة التي برزت بعد هذه الحادثة فقد نجا ، ومن الفتن التي برزت في هذه المرحلة :

١ ــ فتنة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يود كتابته قبيل موته وما جرى من اللغط في مجلسه ﷺ ثم قال : (قوموا عني) .

٢ ــ فتة الاختلاف حول موته وثبات أبي بكر الصديق وتلاوة الآية في المسجد.

٣ــ فتنة التحريش حول مسالة البيعة في سقيفة بني ساعده .

٤ــ فتنة القول بامتناع الإمام علي على البيعة، وما ترتب على ذلك.

٥ــ فتنة الاختلاف حول ميراث أهل البيت في فدك وغيرها.

٦ــ فتنة الردة.

٧ــ فتنة مسالة الاستخلاف بالوصية أم بالشورى ، وما ترتب عليها لدى مدارس المسلمين فيما بعد .

---

[1] إهـ من كتاب كشف الأقنعة ط ١ لعام ١٩٩٣م ص [١٦ ـ ١٧]

[2] الوثيقة ط ٢ ص ٢١٠ــ٢١١

ولأن هذا الفتن فتن مضلة فالمرء المسلم بين واحد من ثلاث مواقف:

١ــ الاعتصام بالسكوت عما جرا واعتبر الأمر اجتهاد أصاب فيه من أصاب فله أجران ، وأخطأ فيه من أخطأ فله اجر ..

وقبول ما أجمع عليه الصحابة العدول وهو في مواقفهم : خير قدوة بعد رسول الله ﷺ .

٢ــ قراءة الأمر من جذوره بواقع النصوص ومن أهمها قراءة نصوص فقه التحولات الخاص بجملة المتغيرات .. يميز الحق من الباطل علي بينة، ومن غير إفراط ولا تفريط.

٣ــ الواقع فيما وقع فيه أهل الإفراط والتفريط من الغمز والهمز واللمز واللعن والتكفير وما شاكل ذلك من المواقف المفتونة التي أصابت العديد من المسلمين واتخذ المتعصبون فيها مواقف ذات خطورة بالغة في الدنيا و الآخرة جعلت الإسلام والإيمان والإحسان ديناً وعلماً ملوّثاً بالذّمِّ وبالدَّم .. إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا ..

وخلاصة القول أن الفتنة الأولى بعد موت النبي ﷺكانت من أخطر الفتن المضلة في عدة نواحٍ وقد ترتب على إخمادها الحاسم ، وإجراءات الصِّدِّيق العملية جملة من المواقف المستجدة لدى المفتونين من نماذج العرب واليهود وغيرهم ومنها :

١ ــ مواقف الأعراب الذين حاربهم الصديق وأجبرهم على العود إلى حظيرة الالتزام للإسلام وأحكامه

٢ ــ مواقف العرب الذين ادعوا النبوة الكاذبة كمسيلمة وطُليحة وغيرهم وما أدى إلى جهادهم وقتالهم من آثار نفسية ومداومة نفاقيه مبطنة ضد الإسلام وشخوصه ..

٣ ــ موقف المدرسة النفاقية بالمدينة المنورة وظهور أتباعها في أكثر من موقف وصورة على صفة الضدية والمنافسة وإثارة التحريش بين المسلمين ..

ومع هذا وذاك فقد ارتفعت راية الإسلام خفاقة بدولة الخلافة الراشدة ، وكان أساسها المتين وقاعدتها الجليلة :

١ ــ اجتماع أهل الحل والعقد على خلافة أبي بكرٍ رضي الله عنه .

٢ ــ إسناد الإمام علي وآل البيت عليهم السلام لقرار الخلافة والمشاركة في دون تجريد سيفٍ ولا تجييش معارضة .

٣ ــ نجاح القرارات الصديقية أمام الفتن السياسية المضلة ، وقطع دابرها السياسي المعارض بتماسك الصحابة وتقديرهم لمواقف بعضهم البعض .

٤ ــ ظهور هيبة الإسلام الأولى باجتماع الكلمة وسلامة الرأي ورفع راية الجهاد في سبيل الله ، ويبدو ذلك جلياً منذُ خروج الخليفة أبي بكر من المدينة إلى بقعاء مستنفراً الناس لقتال أهل الردة ومكثه بها أياماً ، فجعل عمر ابن الخطاب وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما يكلمانه في الرجوع إلى المدينة لما رأيا من عزمه على المسير بنفسه ، وقد توافقت المسلمون وحشدوا فلم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار من أهل بدرٍ إلا خرج ..

ولهذا قال عمر رضي الله عنه ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة وردفاً فإنك إن تقتل يرتد الناس ويعلوا الباطل على الحق ، وأبو بكر رضي الله عنه كان مظهرا المسير بنفسه . إ هـ تاريخ الخميس ٣٠٤ / ج٢.

وهذه المواقف أجلى صورة من صور قوة القرار ساعة الحرج وأشرف سياسة إيجابية تجمع القلوب والعقول والمبادرة والاتجاهات .. فرضي الله عن أبي بكر الصديق وعن بقية أصحاب رسول الله ﷺ. إ هـ[1]

الثانية : قتل خليفة مصطبر بالحق معطية :

والخليفة المصطبر هو سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الخليفة الثالث ، وهو صحابي جليل وحامل حصانة شرعية من رسول الله ﷺ نالها بالاستحقاق والجدارة ، فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وشهد غزوة بدر وغيرها من الغزوات ومن السابقين للإسلام ، وفيه يقول الرسول ﷺ بعد أن جهز جيش العسرة : ((ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم)) ، حصانته الذاتية تأتي من مناقبه التي حازها على عهد مصاحبته لرسول الله ﷺ ، كما أن حصانة قراره (أي : حصانته السياسية) في مرحلة خلافته مصانة بنصوص فقه التحولات ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وعثمان إذ ذاك

---

[1] إظهار العلم المكنون ص (٦١ ــ ٦٤).

محصور بمكة عام عمرة القضاء ــ سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إنها ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنة)) قال : قلنا يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : ((عليكم بالأمير وأصحابه)) وأشار إلى عثمان .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لعثمان : ((إن الله مقمِّصك قميصاً)) أي مولِّيك الخلافة ((فإذا أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه)) ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((يا عثمان إنك ستبوء الخلافة بعدي ، وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها ، وصم ذلك اليوم تفطر عندي ..)) .

وهذه الأحاديث دالة على سلامة القرار السياسي لعثمان رضي الله عنه ، ولفساد موقف المعارضين له برغم شعورهم بعدالة قضيتهم ، ولعل الفساد مرتبط بوسيلة المطالبة لا بموضوعها ، إلا أن الحُكم الصادر من لسان النبي ﷺ على من أراد له الخلع بالنفاق ، مسألة أوسع من تصور العقل المسلم القارئ للأحداث والشعور بسلامة التصور ، وهنا تكمن أهمية (النصوص) في فقه التحولات .

والأمر الأكثر خطراً في المسألة : أمر الربط بين مقتل عثمان وفتنة المسيخ الدجال ، وهنا مربط الفرس في كشف الوحي لحقائق المواقف وجعل الفتنة شاملة وواسعة المدى تخرج من دائرة المطالبة بالحق من جهة وظلم الظالم من جهة أخرى إلى إدانة الدوافع والمسببات النفسية للخروج ذاته ،

وإلى ذلك أشار المصطفى ﷺ بقوله : ((أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال ، والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من حُبِّ قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه آمن به في قبره)) وتربط أحاديث فقه التحولات بين الدجال القادم وبين مسببات الانحرافات المتراكمة في القرار السياسي المتتابع ، ويحصرها في عناصر التسييس ورموزه في ((الحكم والعلم)) بقوله: ((لغير الدجال أخوفني على أمتي)) (قالها ثلاثاً) قال: قلت : يا رسول الله ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك ؟ قال: ((الأئمة المضلون)) والأئمة المضلون هم ساسة الحكم والعلم الواضعون بصمات الانحراف والمهيئون أسبابه في المجتمعات ، والراسمون سياسة الدجل والنقض والقبض في مراتب الحياة الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية و الإعلامية والثقافية

والتربوية والتعليمية والعقدية ..الخ إما بسوء الفهم وتعسف النصوص ،وإما بالتأثير المباشر ببرامج الكفر والجاهلية والعمل على حقن الشعوب بجهلها وأمراضها وثقافاتها .

فالمواقف السياسية الناتجة عن مسببات مقتل الخليفة الثاني تحولت إلى علة دجالية في نفوس القتلة ومن أيد مواقفهم السياسي .

برغم ما نستشعره من عدالة المطالبين بالحق المسلوب ، فالمطالبة شيء ، والقتل لحامل القرار شيء.

وهنا مسالة دقيقة وهامة جداً لا يدركها القاري المتعجل ، ولا المندفع المستعجل ، ترفع مستوى حصانة حامل القرار في الساعة حصول الفتن ، لأهمية بقا القرار فيها ، لا لأهمية الذات وحدها .

فالخليفة الرابع كان أكثر عدداً وعدة واجتماعاً لأسباب العدل والأخذ به من سابقه .. ولكن الفتنة التي عصفت بالقرار الأول، مهدت أيضاً لمقتل حامل القرار الجديد وهكذا دواليك، وتبدأ المشكلة في التراكم ودون الحلول.

إنها قضية (النقض)، والنقض سياسة الشيطان، ومطية الفتنة، ووسيلة التحول وهزيمة الشعوب وسبب فشلها المستديم[1].

ثالثاً :ـ قول الحبيب ﷺ:{والدجال} :ــ

وهي الفتنة الكبرى التي حذَّرنا منها النَّبي ﷺ فَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لأنَا لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إلا نَجا مِنْهَا وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتْ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلا كَبِيرَةٌ إِلَّا لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ} .

وسائل الحفظ من الدجال منها :

- التعوذ بالله من فتنة الدجال وخاصةً في الصلاة .
- التزام الأذكار والأوراد وقراءة القرآن والمحافظة على أعمال الطاعة الواجبة والمندوبة .

---

[1] فالذين طالبوا بدم عثمان وأقاموا عقيرة الحرب وامتنعوا عن البيعة للإمام علي أمام ما اعتقدوه مطالبة بحقٍ ونصرة لمظلوم عجزوا أن يفعلوا شيئاً بعد ذلك ، ولم يأخذوا بدم عثمان بل غرقوا في دماءٍ أخرى زادة الطين بلة ، والإشكال علة ، فلا هم حققوا مطلبهم ولا هم رضوا بإمامة العدول كي يقيمون العدل بما ارتأوه واجتهدوه .. بل حقق الجميع مطلباً آخر هو مطلب الشيطان الرجيم في ساحة قراري الحُكم والعلم وتكتل الشعوب فيما لم ينزل به الله من سلطان . إ هـ من كتاب إظهار العلم المكنون ص (٧١ ــ ٧٤)

- قراءة العشر آيات من سورة الكهف من أولها وفي رواية من آخرها والجمع بين الروايتين أولى ..
- الدراسة الشرعية لأسباب فتنته وملابساتها فمن عُصم من فتنة قبله عُصم منه عند ظهوره ولتجنب مواقع حركته وسيره لقوله ﷺ .
- {من سمع بالدجال فلينأ عنه فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات }[1]

عَلَّمَتْنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أنَّ مواجهة الخطر العالمي لا تتم إلا بوحدة الرأي ووحدة الفكر والهدف ، ووحدة القرار والأرض ..في كل زمان .

والعدو التقليدي القديم هو العدو المعاصر ، والهدف السياسي المعاصر هو الهدف السياسي القديم ، ولا اختلاف إلا في الشخوص والوسائل والزمان ..ومعركتنا مع هذا النموذج من الأعداء العالميين تاريخياً معركة سلم وحرب ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

عَلَّمَتْنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أن من أعظم النعم الكبرى على الإنسان في الحياة الدنيوية شمول الأمن والاستقرار ،

وبمقدار انتشار هذا الشأن بين الناس تبرز المواهب وتزداد الأرزاق والمكاسب ، وتتسع الأسباب في المعرفة والعلم وثمراتها الدينية والدنيوية ويعرف الإنسان قدر نفسه وقدر ما يكلفه الله به من الواجبات والمندوبات والأعمال الصالحات ، كما يتعرف على شرف الآباء الصالحين والأمهات الصالحات ، ممن كان لهم الدور الأكبر في حفظ القيم والأخلاق الشرعية المقتبسة من شرف الديانة وميراث الأمانة .

---

[1] أخرجه أبو داود. أ هـ من الأسس والمنطلقات ص (٣٩٠)

[2] إظهار العلم المكنون ص (١٣٤) .

تلك الأمانة التي تعادل الأمن في الحياة حيث لا ينفع أمن بلا أمنة شرعية ، ولا تطبق أمانة شرعية ولا وضعية عند انعدام الأمن في المجتمع ، ولأجل هذا المطلب المشروع جاءت الحدود الشرعية من جلد ورجم الزاني وقطع يد السارق وإقامة حد القصاص على القاتل وتعزير قاطع الطريق بالقطع والأرجل نكالاً من الله .. إلى غير ذلك من القوانين الشرعية التي تُسهم في بسط الأمن المشروع في الحياة ، وبهذا يتبين عظمة الدين الإسلامي في ضبط الحياتين وسلامة الدارين .

ولقد شهدنا في حياتنا المحدودة آثار الاضطراب على كافة شؤون المجتمع ، مما لا يدع مجالاً للشك أن الأمن أساس التنمية والبناء وأصل سعادة الإنسان ، وأن القادرين على العطاء في أي مرحلة يكون ربيعهم المثمر من المجتمع واستقراره إ هـ[1].

علمني فقه التحولات :

أن قضيتنا واحِدَةٌ ، وعَدوّنا واحدٌ ، ومَصيرَنا كذلِكَ ؛

وإشكالنا جميعاً هو تَبَنِّينا سياسة التفريق للواحِدِ ، والقرآن يُعالج هذه الظاهرةِ لدى الجميع : {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} ، وعلى هذا المعنى الربانيِّ يجبُ أن نحصُرَ القضيَّةَ ذاتها في ثلاثة أبعادٍ :

اعتدالٍ ، إفراطٍ ، وتفريطٍ ؛

وعلى الجميعِ العَمَلُ الواعي لِربطِ المجموعاتِ والمذاهبِ والنِّحَلِ والرُّؤى بالاعتدالِ ، ومجانبة الإفراطِ والتفريط ؛

وإذا ما وقع الأتباع في شيءٍ من ذلك لِسَببٍ ما أو فهمٍ ما : فالحكمَةُ والموعِظَةُ الحسنةُ والمجادلَةُ بالتي هي أحسن كفيلةٌ بإيراد الحقِّ من طَرَفَي الجنوح .

وهذا أساس التشخيص المؤدِّي إلى سلامة المعالجة للذين يفهمون المقصودُ والمراد من هذا الأمر ، وهم المرجَونَ في إعادة ترتيب الوعي والإدراك من كلِّ وُجْهَةٍ أو جماعة[2].

---

[1] المرصد النبوي ص (١٦٠) .

[2] النمط الأوسط ط ٢ ص ١٢٨

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن المنتفعون والمندفعونَ هم وَقُودُ الفِتنِ ، وهم أسباب اتِّساعِ الخَرْقِ في كل زمانٍ ومكانٍ ، وهم قومٌ كُثرٌ أصابهم داءُ الأُمَمِ :

البغضاءُ والحَسَد ــ كما قال النبي ﷺ: ((دبَّ إليكم دَاءُ الأممِ قبلَكُمْ الحسدُ والبغضاءُ ..))

وفلسفة مَفْهُومَي البغضاءِ والحسدِ من الوُجهَةِ الشرعية تُشيرُ إلى عِلَّتين :

الأولى : طَبعٌ مَريضٌ مُصابٌ بِداءِ الأَنَا والأنانِيَّةِ .

الثانية : استتباع لِرُؤى شيطانيةٍ اخترقت الأمم عبر التاريخ ، فكان داؤها سبباً في إهلاكها وإهلاك غيرها (داءُ الأنويَّةِ) .

والسلامة من هذا الداء مُتابعةُ نَصِّ الحديث النبوي وما يحمله من مُعالجةٍ :((ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتُم ؟ أَفشوا السلامَ بَيْنَكُم))[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أننا لا نتفاعل عاطفياً مع الأحداث ، ولا نرسم التهوكات والشعارات الرخيصة ؛

وإنما نُقيِّم المَسيرة المعاصرة وِفق مَنْطوقات من لا ينطق عن الهوى ﷺ، ونتظافر مع الخَيِّرين في مراتب الحياة الاجتماعية على خدمة الأمة ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الطوفان الجائر ، مع علمنا اليقيني أن كافة الخَيِّرين في مرحلتنا على مختلف مسمياتهم وأحزابهم وجماعاتهم لا يملكون الحل الناجع ، وإنما يُسهمون في مرحلة العلاج بقدر إخلاصهم وصدق نياتهم ، هذا إذا سلموا من التسييس المحلي والعالمي ..وإن لم .. فإن المعالجة المُتحَدَّث عنها تُصبح جزء من اتساع جرح الأمة النازف ، وخراجاً إضافياً لما تحمله من جراح في جسدها المعلول [2].

---

[1] النمط الأوسط ط٢ ص ١٢٩

[2] الوثيقة ط٢ ص٢٣

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتْ :

أننا نحن جميعاً على شفا جُـرُفٍ هار ..

من تكلم ورفع الصوت ومن سكت وخلد للموت فالحال من بعضـه ، والشر لا ينحصر في فاعله وجنده { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِـنْكُمْ خَاصَّـةً } والنجـاة منوطــةٌ بشر ـوطها .. ، ومـن شروطها : معرفـة الأمر على وجهه الصحيح من حيث جاء ..كما أراده الله عنـد نـزول الكتـاب مـن السماء ..إبّان تبيان صاحب الرسالة ﷺ { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } .

وسبيل الله واضحٌ وضوح الشمس في رابعة النهار ؛

وما أصاب الأمـة إلا اتباع السُـبُل والجنوح إلى ما يؤدي إلى التفريق ؛

ويعتقد البعض أن السبيل الواضح هو منهج هذا وفهم هذا.. وقـد بطـل هـذا الاعتقـاد بشـاهد قولـه تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ } .

بل أن الله تعالى دمغ المتفرقين بمعنى من معاني [الشرك] والعياذ بـالله في قولـه : { وَلَا تَكُونُـوا مِـنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } .. [١]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتْ :

أن عودة شرف الأمـة لا يبرز إلا بعودة قرارها ، وقرارها لا يأتي في مثل هذه الحالة الممزقـة بإسـالة الدماء أو بإرهاب الشعوب ؛

بل يتحقق بهذا : نجاح مشروع الصراع والصيد في الماء العكر وزيادة أزمات الواقـع الاقتصـادية والاجتماعية كما هو ملاحظ ؛

كما أنه لا يتحقق مطلب القرار أو إصلاح الأمة بما يتبناه بعض حملة المناهج المذهبيـة الـمُـسَيَّســة التي تنهج نهج اللعن والطعن في عصر الخلافـة الراشـدة ، وتستهين ببعض المبشرين بالجنة ؛

---

[١] الوثيقـة ط٢ ص١١ ــ ١٢

أو أولئك الذين ينسفون أبنيـة المسلمين الفكريـة المتوارثـة كالطعن في التصوف عموماً أو في الأتبـاع للمذاهب خصوصاً ، ويدعون إلى اللامذهبية والعود إلى الأصولية ..؛

فكل هذه الدعوات لا تخدم الأمـة لا في قرارها ولا في استقرارها ؛

إن مثل هذه الدعوات ذات الارتباط بالمفاهيم الانفعاليـة هـي الجسر المناسـب التـي يشـجعها أتباع الشيطان لإنجاح مفهوم التحريش في أمـة الصلاة ، وقد أكّد النبي ﷺ هذا المشروع وخطورتـه في الأمـة ؛

لأن ((الشيطان أَيِسَ أن يعبُدَهُ المُصَلُّون في جزيرةِ العربِ ، ولكن في التحريش بيـنهم)) ، وهـذا المنهج الإبليسي هو ما يتردد على ألسـنة الكثير اليوم في المقولة المعروفـة [فَـرِّق تَـسُدْ] ؛

فالتفرقـة أصابت المسلمين ، والسيادة التي هي امتلاك القرار بيد أعدائهم مـا دامـوا عـلى صـفة التحريش والتَّـفَرُّق..[1]

عَـلَمَي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أنَّ في كل مرحلةٍ تَـمُر تُصاب الأمة في علاقتها الشرعية بأزمات ومحن ؛

وسبب ذلك جهل الأجيال بما يدور في هذا العالم من استغلا ل نفعي للعقل الإنسان بـالعموم ، وبالعقل الإسلامي بالخصوص ، وهذا الاستغلال أساسـه : الوسـواس الشـيطاني القـائم في الحيـاة بأمر الاحتواء للبشرية كي يحشرها إلى النار كما حشرها كُفْرُهُ ؛ وبئس المصير .

ويمكن لنا أن نُحلّل مسألة الوسواس الشيطاني في الإنسـان حتـى نُـبرهن حقيقـةً عـلى أثـره في النكبات والهزائم والاستحواذ ، فمن الوساوس مـا يُسـمى بــ(الاسـتـغفال) ، وهـو خـداع يجريـه الشيطان على العقل الإنساني ليجره من خلاله إلى مُخالفـةٍ أو جنوح أو الوقوع في لـذة حـرام أو نهـب حرام أو أي شيء آخر .

وهذا الاستغفال هو عين الضرر على الجنس البشري من عهد آدم ، وربما يكـون تقـديم الشر في معرض الخير حتى يتقبله العقل ويقبله بحكم ارتفاع غليان الشهوة ، وانفعال الغريزة . [2].

---

[1] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص[١٢١ـ١٢٢] .

[2] تفردات مدرسة حضرموت ص(١٣)

علمني فقه التحولات:

أن الأمـة المحمدية أمةٌ ذات مميزات بين الأمم ..ولها وظائف عقديـة واجتماعية وتربوية وتعليمية ودعوية ؛

أُخْتيرت لأجلها وتمَـيَّزت بحملها ، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} فالخيار الرباني لنا كأمَّـة قائمة على وظائف الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر والإيمان بالله ، وهذا المثلث المعروض علينا من ربنا قد عَرَضَـهُ قبلنا على اليهـود والنصـارى ، وكـرر العرض مرةً أخرى لهم بقوله : {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} .

وسواءً استجاب أهل الكتاب لهذا العرْض الرَّباني أم لم يستَـجِيبوا فالشأنُ كـلُّ الشـأن في الأمــة المحمدية أن تكون في مستوى المسؤوليـة حيثُ كـان وجودهـا في هـذه الحِقْبـة التَّاريخيـة مـن حيـاة البشريّـة على كوكب الأرض رسـالةً وليس استثماراً .

فالاستثمار قد أبرز لنا ماضياً وحاضراً سماسرة القضايا ، وجملـة الإفـك ، وعصـابات الشـيطان ، وعُبَّاد المال وعُشَّاق الدِّماء والإمـاء ، وعمـارِدة الهيمنة على الرجال والنساء ، وصار الاستثمار المَعنيَّ هنا مشروعاً عالمياً قائماً على قدمٍ وساق يدفعُ به الشيطان من خلال زبانيته وأتباعه وأشياعـه وجُندِه : كي يجعلونه منهج حياة الشعوب وغايـة مطلبهم . وقد أثبت سَـيِّدُ الأمَّـة ﷺ أن الخـير في السلامــة وإشـاعـة الأمان ، وأن هذا الخير هو منهج الرسالات الـحَقَّـة : {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَـدْعُونَ إِلَى الْخَـيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1].

علمني فقه التحولات:

أن قضية الاستسلام للظروف ومجريات الواقع هي أساس مراد الشيطان في بني الإنسان ،

فالواقع في كثير من الأحيان يُعاد تشكيله وِفـق الرغبـات والشـهوات وتسـييس القضـايا وافتعـال الأزمات ، والمستسلمون لهذه الفجائع يموتون ويُميتون غيرهم قبـل موعـد الفنـاء الأخـير .. وكـل شيءٍ بقضاء وقدر .

[1] إهـ من كتاب : المواجـهةُ السافرةط١ص[١٨ـ١٩] .

ولا يريد الشيطان من المرء غير استسلامه ثـم موافقتـه عـلى مجريـات المـألوف دون تفكـير ولا مناقشـة ، والمألوف حيناً يكون صحيحاً باعتبارات جذوره وثباتهـا في أرض الواقـع ، وحينـاً يكـون هشاً بما طرأ ودخل عليه من المتناقضات والتناقضات .

إذاً فلابد من عمق النظر في المألوف وطول النظر في إفرازات الواقـع ، ولا أعتقـد أن كـل فـردٍ من الناس يُحسن مثل هذا ، وإنما يُحسنه المرتبطون علماً وعملاً بفقه التحولات ، وهم أمناء المراحـل ، وهم المهندسون لمفهوم السكون إذا لزم ، والحركة المشروعة إذا تهيأ لها الوقـت المناسـب والحركـة في مفهوم وقاموس فقهاء التحولات ليس كفَهم وقاموس الطامحين للامتلاك والمندفعين في التصـورات والأحكام والاستنتاجات ؛ ففقهاء التحولات ينطلقون من جـذور الحركـة الشرعية عـلى صـاحبها أفضـل الصـلاة والسـلام ، وأمـا الطـامحون والمنـدفعون فينطلقـون وِفـق الأحـداث والظـروف ، ويستغلونها غاية الاستغلال لترويج ما هم بصدده ، بـل وربـما أنزلـوا تـراث التـاريخ والعلـم بهـذا الترويج بأسلوب أو آخر حتى يكسبوا جولة المعركة التي يهزم فيها المجموع ، ولا منتصر فيهـا غـير الشيطان .

فلهذا فإن من الثبات وطول الأمل في الله سبحانه وتعالى وحسن الاقتداء وسلامة الاهتداء بـث روح الحياة في الواقع وإصلاحه ، والنظر في جذوره وربط الرعايا بما كان عليـه أسـلافهم مـن الحـق والسلام ، مع إزاحة ما لا يحتاج إليه المرء من ركام السلبيات والإفراطات والتفريطـات عـلى طريـق الأمانة والوفاء وحسن المعاملة مع الجميع . إ هـ[1] .

عـلـمـيـ فـقـه التـحـولات :

إن الذين نظروا إلى الإسلام من المُنازَعـة على موقع القرار وامتلاكه شَغَلوا أنفسهم بما لم يَشْتَغِل به كثير من الخلفاء الراشدين أنفسهم ؛

فخالفوا بهذا الاتجاه منهج السلامـة ..واضطروا بلا تحفظ أن يَندَرِجوا تحت ما يُسمى (بمَنْهَجِ التَّحريش) ، وكانوا مِن رُوَّاده ومُروِّجيه ، وصاروا وَلِعِين كل الوَلَـع بالأخبـار والآثـار والحكايـات التي تخدم التحريش وتُسهِم في تجريح أهل العدالة والتوثيق ؛

[1] تفردات مدرسة حضرموت ص (٢١ ــ ٢٢).

بل جَنَّدُوا النَّصَّ القرآني والحديثي لهذا الغرض ذاته ، وأوغَلُوا في كل شُبْهةٍ قولية أو فعلية لِيُلْصِقُوهَا بأشرف نُخْبَة الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ..
وكان لهم ما أرادوا وحَقَّت عليهم وعلى أتباعهم مَقولة أحد الكذابين في التاريخ (اكذبوا ..اكذبوا ..اكذبوا.. فلا بدَّ أن يبقى لكذبكم أَثر!)

ومِثل هؤلاء أيضاً أولئك الذين صار من إرثهم المذهبي الاختلاف المُسِفّ في فرعيات العبادات وشُبُهات العادات ، وتتبع هذه النقائض بأسلوب وآخر لإلصاق تُهَم الشِّرْك والبدعة والضلالة على المُصلّين .

والذي يُعوَّلُ عليه في هذا الأمر أن الاختلاف المذهبي في الفروع نموذج للسِّعة العلمية في النظر للأدلة والبراهين ، وربَّما تفرَّع عن هذه السِّعة بعض الفهوم التي قد يُختلف في شأنها ، ولا إشكال في الأمر ؛
بل إن علاج ما اشتُبِه فيه واختلف عليه عند الاحتكام إعادته لأهل العلم من أهل منهج السَّلامة : لتتضح الصورة وينجلي الرَّيب ؛

ولا يُؤْبَه لأهل التحريش فيما يتناولونه إلا بمقدار ، والمقدار هو : معرفة ما هم بصدده في شأن الاختلاف وحُسْن الرَّدِّ عليهم بما يُناسب الموقف ، وترك كل ذي مذهب على العمل بما في مذهبه إن صَحَّ ، ولا يلزم تكليف الآخر بمذهب غيره فيما اختُلِفَ فيه ، وإنما المُلزِم للجميع رَفْع الضغينة وقطع دابر الحِقد والبغضاء الناشئة عن الاختلاف والجدل ..
إذاً ما هو الحلُّ الناجع ؟ إنه الارتقاء إلى مستوى فَهمِ القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية [1].

علمنة فقه التحولات :

إن الشارع الإسلامي ومؤسسات الأمة ومساجدها تعيش الخلاف وتعاني من بلوائه ؛ بل وبلغ بها إلى التلف والضرر كما يرجوه الشيطان ..

وسبب ذلك : رؤوس الجماعات وأشياخ الفئات ، فهم سبب الفتنة وهم مُسَيِّسو الصراع في الشعوب ، حيث وقعوا في الغلو والإفراط والتفريط لـمَّا شعروا بالمكانة والجاه بين أتباعهم

[1] إهـ من كتاب : المواجهةُ السافرة ط١ ص[٢٥ـ٢٧] .

وأشياعهم ، فاستثمروا هذا الغلو والاندفاع للتحريش والأذى ، وترجيح آرائهم وأفكارهم على غيرهم ، وسخّروا الأموال والإعلام والوسائل لصرف الناس عن الاعتدال والتوسط في الأمور وعن معالجة الإشكالات بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.. إلى الطِباع والنفوس والاستتباع لخطوات الشيطان ، ((الذي يوسوس في صدور الناس)) ، أي : حُكامِهم وزعمائِهم ورؤساء أحزابهم وجماعاتهم وشيوخ مناهجهم ومذاهبهم ..

فبانحرافهم تنحرف الأمة وتتدمر الشعوب ، وهذا هو عين ما نشهده اليوم وقبل اليوم ، لأن هؤلاء الصدور حكّموا العقول والمصالح ، ولم يُراعوا [[ثلاثي النجاة]]:
الكتاب والسنة والنبوة ((الأخلاق))[1].

علمني فقه التحولات:

أن الدين الإسلامي ديناً عالمياً في ذاته ، سواءً كنا حملة قرار أو كنا دعاة استقرار على منهج السلامة ؛ فالإسلام في كل نماذجه السليمة هو دين عِزَّةٍ ونماء ، يحمل أسباب العِزَّة لُمعتنقيه بين شعوب العالم ، باعتباره الدين الخاتم الحامل صفات الديمومة الشرعية والحُجّة القائمة على تلك الشعوب الكافرة ، باعتبارها أمماً فشلت في حمل أمانة أنبيائها ، وحرَّفت مقاصد شرائعها ، فكفرت بالله وأنعمه ، فحقّت عليها بذلك كلمة العذاب في الآخرة .

وكلمة العذاب في الآخرة نتيجة تطبيق الكفار للمنهج العقلاني المُجَرَّدْ ، ودمغهم بالأمور العقلانية لتجتثّ علاقة الإنسان بالغيبيات ومسائل الإيمان بتوحيد الخالق سبحانه ، وهذه هي مشكلة المشكلات ؛

أما مسألة العلم والحضارة والتقدم المعرفي فهو قاسم مشترك بين الشعوب ولا علاقة للكافر بالتقدم لكفره ولا للمسلم بالتأخر لإسلامه ، وإنما هذه خدعة مُسيَّسة أُريدَ بها احتواء المسلمين وصرفهم عن دينهم الحنيف إلى الفشل الاعتقادي الكافر ..

وهذا هو ما أقسم عليه إبليس على نفسه ساعة كفره ورفضه للسجود ، فقد أقسم أن يحتنك الذُّريّة الإنسانية إلا القليل ويوردها بالكفر والجحود إلى السعير ، والسعير في أحد معانيه :

---

[1] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص[١٢٧] .

(الصراع والقتل والنزاع في الدنيا ثم الجحيم في الآخرة)..فهم أولئك الذين اشتركوا في مشروع السعير وإثارة نيران الفتن والحروب في الأمم والشعوب :[[إلا مَن تابَ وءَامَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صالحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئاتِهِم حسنات ..]] [1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتِ :

أنَّ قاعدة العمل في شرعتنا تقتضي : أن نبني لا أن نهدم ..

ومن بدأ مقامه وعلمه وحكمه على نقض عُرى الآخرين بغير حق ولا حاجة شرعية فقد شَرَع في هدم بنائه على نفسه وجماعته [وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] وشواهد الحال في قواعد هذه المدارس تُغني الراغب في السؤال عن التدليل بالمقال .إن الذين شغلهم عيوب وتراث وزلّات رجال الصَّدرِ الأوّل وملاحقة دقائق مواقفهم حقاً وباطلاً جعلهم يلعنون عدداً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يتورّعون في وصم بعض الخلفاء بالكفر والمروق عن منهج الإسلام .وهؤلاء المتطاولين اليوم على العلماء والصلحاء دون تمييزٍ ولا أدب ..لا يختلفون في إفراطهم الطبعي عن أولئك الغارقين في سبِّ الصحابة .

إن الخير كل الخير في إصلاح ما وجب علينا إصلاحه من حياتنا وحياة ضحايانا الإعلامية ، أما الذين ذهبوا إلى ربهم فلا حاجة لنا في محاكمة اعتقاداتهم ، والإبداع في رسم انتقاداتهم ، وكفى بهذا إقامة للعدل إن أردناه وكنا من الجديرين به .أما الزمان والمكان إذا وضعت تحت مجهر سيد ولد عدنان فما نراها تُشير إلا إلى (فقهاء الفتنة)وسماسرة المال وشيوخ النقض وإلى قومٍ حُدثاء الاسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم..

اللهم سلمنا أن نكون من هذا الصنف الممقوت [2] .

---

[1] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص[١٣٣ــ ١٣٤]

[2] إهـ من كتاب : شروط الإتصاف لمن يريد مطالعة كتب الأسلاف ط١لعام ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٩ م ص [٣٨ــ ٣٩]

الباب التاسع

باب :بيان عصر الغثاء، وفِقه الواقع ، ومجريات الأحداث..

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلَاتْ :

أن حقيقة الإسلام وجوهرِه قائمٌ في الحياة الدنيوية على تجسيد المودة وإشاعة المحبة ..

بدءاً بشعار السلام لفظاً ومعنى .. ونهايةً بقوانين الحروب وأدب الخلاف ، ((والمسلم أخو المسلم)) و((المؤمن للمؤمن كالبنيان ــ أو كالبنان ــ يشدّ بعضه بعضا)) ، وهذا هو ثمرة التأدُّب بالإسلام وأصل ارتباط رجاله ..

لكن [المسيرة الدجالية] بدءاً بنزع [سُنّة الحكم] حتى انتزاع كراسي الحكم ..قد عكست حقيقة الأمر ، وغرست تدريجياً أخلاق الشيطان ..حتى صارت أصلاً من أصول المجتمع المنحرف ، وأسلوباً من أساليب الثقافات المعاصرة في جامعات الوطن المغلوب ومعاهدِهِ ومؤسساته الثقافية ..تبعاً لسَنَن اليهود والنصارى على طريق العالم نحو المسيح الدجال [1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلَاتْ :

أننا ونحن أمة ذات مبدأٍ وغايةٍ وهدفٍ ومصيرٍ ومنهجٍ ..

لابد أن نعرف الحقيقة ولو كانت مُرّةً علينا أشد المرارة ، حيث أن رسولنا ﷺ قد كشف لنا في أحاديثه الصحيحة والحسنة حالتنا في عصرٍ سمَّاه [عصر الغثائية] ، هذا العصر .. أساس المعرفة به وكُنه تفسير ظواهره ومظاهره (ديناً ودنيا)..يكمنُ في القراءة الواعية لأحاديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ ؛

ولا يمكن بأي حالٍ من الأحوال الوقوف على عقدة الضعف إلا من خلال هذه القراءة ، لأن الذين يقرؤون الإسلام من مؤلفات ورسائل وأجهزة الإعلام ..لا يفهمون الحق إلا مشوباً بالباطل والخداع .. والذين تُبهرُهم أصوات المقرئين والمرتلين لكتاب الله في عصر الغثاء .. تحجزهم هذه

---

[1] إهـ من كتاب : بين يدي الدجال ط١ لعام ١٩٩٦م ص [٧٤] .

الأصوات عند مستوى الإعجاب والإغراب ..فينطوون مثل غيرهم تحت المعطف الدجّالي الفضفاض هم لا يشعرون ..قال ﷺ : ((سيخرج منهم خرج ناس من أمتي من قِبَل المشرق يقرأون القرآن لا يُجاوز تراقيهم ، كلما خرج منهم قرن قُطع ــ حتى عدّ ﷺ زيادة عشر مرّات ــ : كلما خرج منهم قرن قُطع ــ ثم قال حتى يخرج المسيح الدجال من بقيتهم)) . وفي رواية عند أحمد :

((حتى يخرج بقيتهم مع المسيح الدجال))[1].

عَلَّمَني فِقْهُ التَّحَوّلات :

أننا ابتلينا في هذا العصر بِعلَّة التصنيف والإحالة حتى أُضيعت الحقيقة المرجوَّة والأمانة المجْلوَّة ؛ وما مِن مجتمع مُسلم إلا وهو يُعاني من عِلَّة ((الأنوية)).. {أَنَاْ خَيْرٌ مِنْهُ } في مستوى الحُكم والعلم أو الرعايا المتكتلة المُتحزِّبة ديناً ودولة .

وما مِن باحثٍ وكاتبٍ وصحفي مُعاصر ممن أفرزتهُ سياسة التَّمرحُلِ إلا وذهب يُعللُ نفسه وغيرهُ بإبطال حُجَّة الحق الدامغ المطروحة على ساحة المناقشة الواعية ، ليرجع طَوْعاً أو كرهاً إلى الاشتغال بِعُقدة المنافسة ضد حَمَلة الأقلام الأبوية التقليدية والنيل من سلوكياتهم ؛

فالعلاج المُتفق عليه أو تقييم المرحلة شرعياً لا يُقبل من وجهة نظر عالم أو باحث مُنتمٍ للتصوف أو آل البيت ..لماذا ؟

لأن البرنامج الغثائي المدعوم قد أسقط الاعتبارات العلمية عن الصوفية والتصوف ، وعن كافة المنتمين إلى مدارس آل البيت منذ سقوط داعمها المرحلي ، ولو كانت تحمل شرف الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي ..

فالبرنامج الغثائي المرحلي قد جعل من فقه المبررات والمغالطة سدوداً منيعة في عقول الجيل الخدماتي المستغفَل .. فإما أن يَرُد على مثل هذا التعليل بإثارة الشُّبه والنقائض المألوفة ، وإما أن يسرق الفكرة ويعيد توظيفها لمصلحة مدارس الإفراط والتفريط التقليدية ، ويضع الحق وأمانته بين هاتين العلَّتيْن المُستشريتين في أمة القرآن والسنة ؛

وهكذا تطول الغربة ، ويستمر الاستغفال ، ونماذج الاعتلال والاختلال والاحتلال ..وللأسف ..[1]

---

[1] إهـ من كتاب : بين يدي الدجال ط١ العام ١٩٩٦م ص [٦٥ ــ ٦٦] .

أن المرصد النبوي يدعو المسلمين بالخصوص إلى عمق النظر في شروط قراءة التاريخ ومكوناته ومقدماته :

لتبرز لهم بالأدلـة القاطعـة حالة السلامة فيهم وفي غيرهم ، كما تبرز حالة الخيانـة والندامـة لـديهم ولدى الأصول الشرعيـة الربانية ، والتدبر والتأمل في الأصول الوضعيـة العقلانيـة الإنسانيـة .

واليوم لابد من إرضاخ ((المرحلة المعاصرة)) لشروط المرصد النبوي ، وتمييز منهج الديانـة الحق في مسيرة الإنسان المسلم وغير المسـلم ، ومـا هـي الإجـراءات الشرعيــة حيـال ذلـك ، وتمييـز مـنهج الجاهليـة والكفر في مسيرة الإنسان المسلم وغير المسلم ، وما هي الإجراءات الشرعيـة حيال ذلك .

ولا اعتراض على أمر الله ولا قَدَره ومكتوبه ، وقد عزا الأمر إليه بقوله :

{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَـاءُ وَتُـذِلُّ مَـنْ تَشَـاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ..

فالمرصد النبوي لا يشتغل بمسألة من يحكم ومن لا يحكم ، وإنما يشتغل بقرير حالـة مـن حَكَـم وموقعه من العدالة والسلامـة أو عكسها ، وتقرير حالة المحكومين وموقعهم من العدل والسلامـة.

فالعدل والسلامـة هدف المرصد النبوي ووظيفـة تقاريره ، أما المشغولون بالامتلاك والمحافــظة على موقعـه ، أو المشتغلون بنـزع القـرار وإثـارة الشـعوب ضـد مالكـه ..فهـم يعيشـون أزمــة ولا يصنعون حلاً ، ويَـمُرُّ الوقتُ تِلو الوقت ..شهوراً وأعوامـاً والمـأزومون عـلى غايــة الانـدفاع نحـو امتلاك القرار ، أو فك ارتباط بينه وبين حامليه وهكذا دواليك ..

تجييش واشتباك ، ودماء وارتباك ، وحروب ومؤامرات وانتهاك ، وانصراف الجميع عـن مبـادئ العـدل والسلامــة وشرف البنـاء والتنميــة إلى مشرـوع الشـيطان الـرجيم ..مشرـوع المنافســة أو التحريش حول أسباب المشروع ومتناقضات أتباعـه وعملائـه ووكلائه ومستثمريه[2].

[1] إهـ من كتاب : المرصد النبوي ط١لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٤٢ــ ٤٣] .

[2] إهـ من كتاب : المرصد النبوي ط١لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٤٨ ــ ٤٩] .

عــلـمـني فقه التحولات :

أن منطلق دراستنا لهذه المرحلة لا يحمل عداءً لرمزٍ ولا جماعـة ولا تيّار ولا نظام ..حيث قد يُفهم مثل ذلك عناصر المثقفين والمتنفذين في المرحلة الغُثائيـة ..؛

وإنما تحمل حلاً استقرائياً ينفعنا جميعاً ويربطنا على وجه الدقـة بالموروث الشرعي المُنزل من عنـد الله ، كما يُعرِّفنا شرف التميُّز القرائي الممنوح لنبينا محمد ﷺ عن الماضي والحاضر والمستقبل ، وموقـع هذه القراءة المتميِّزة مـن ثقافـة المسلم ودراسـته العلميـة خصوصـاً في عصرـ التسابق المعـرفي ، والاهتمام التثقيفي الداعي إلى عمق النظر في العلوم ومنجزاتها .

وأي مُنجَز أعظم من علمٍ شرعي لا يحمل الكذب ولا يُرَوِّج له ؟ يُطل بنـا عـلى العـالم الإنسـاني من مبتدئـه إلى منتهاه ، ويزيدنا ثقافـة بالخالق سبحانه الذي {يَـبْدَؤُا الخَلْقَ} ، ويجمع لنا في نصوصـه بين دراسـة عالم الأجل مع عالم الأزل ..لِـتُـفَـعِّل قوى الإيمان بالله فيما قرره أزلياً ، ونتعرف على قـدر الله فيما قَدَّره أجليّـاً ، ونُدرك دورنـا المعـرفي والتعـرفي الاختيـاري فـيما منحنـا الله مـن اسـتعدادات ومواهب نقيم بها ــ مع نصوص الشريعـة ــ ضابط الاختيار ..

{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ }[الأنفال :٤٢].[1]

عــلـمـني فقه التحولات :

أن مرحلة الاستنفار التي وعد بها من لا ينطق عن الهوى ﷺ في أمته قد بدأت ؛

وأن على العقلاء من هذه الأمة التزام شرف الوسطية الشرعية والاعتـدال الـواعي في كافـة مراحـل التحول والتغيير ، فللشـيطان فيهـا صـولات وجـولات وبهـا يضـع في الشـعوب ثـائرة التحـريش والمنافسـة ليحقق هدفه الأسمى (فرق تسد) .

وبالتفرقة والصراع يعود الجميع مرة أخرى إلى مربع الإحباط والفشل في المواقف والعمل ، وتـتجلى الفتن ومضلاتها في استثمار الشيطان للأحداث وإضاعـة الشعوب عـن أسـباب الاسـتقرار ودفعهـا لوسائل الاجتثاث .إ هـ[2].

---

[1] إهـ من كتاب : المرصد النبوي ط١لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٥١ ــ ٥٢] .

[2] المرصد النبوي ص (١٥٧) .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ :

أن الجهل المُرَكَّب هو من أخطر العِلل المُدمِّرة حياة الأفراد والأُسَر والأمم والشعوب ..

والمقصود بالجهل المُرَكَّب هو : (تَسْييس الانـدفاع في أهـل السَّـفَه والبَطَـر وغَمْـط الحـق بعـد معرفـته) ، وهذا النموذج من أهل الجهل المُركّب يكون على مستوى من العلم بـالأمور والقضـايا ، ولكن المَصلحة التي يرتبط بها واقعه أو حاضره أو مستقبله ..لا تتأتى إلا بالظلم لغيره أو إيقاعــه في الظلم ..فيتلاشى لدى هذا النموذج كل ما يحمله من علم عن القيَم والأخـلاق ، ويدفعـه التركيـب النفسي للطبع أن يزج بذاته وبغيره في معركة الصراع ضد الغير وإن كان غيره يملك نِسبة مـن الحـق راجحــة ..

ومِثل هذه الحالة تنطبق على كل شيء في أمور الحياة الدينية والدنيوية حيـث أن (الجاهـل) مـن هذا النموذج مخلوق شرس معتد أحمق ولا ينفع معه في المعاملة غير ما أشار إليه القـرآن: (وَأَعْـرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) أي لا تجعله لك خصماً تنازعــه مباشرةً وجهـاً لوجـه ..بـل اجعـل إعراضـك عنـه وتجاهلك وجوده هو خير علاج مناسب ..

وقد وصف الله العقلاء من هذه بمواقفهم المتعددة أمام هذا النموذج من الأمراض فقال تعالى :

{ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ } .

إنها إشارةٌ ربّـانيـة رحمانية بأن أصحاب نموذج الجهل المُرَكَّب دعاة لغوٍ ، أي : خوض كـلام باطـل ، وأقماع فِتَن ساحقة ماحقة..

والإعراض من المسلم خير من المشاركة أو المدافعة .. وهذا أسلوبٌ خـاص ..لا يعرفـه إلا أهلـه ..وهم الذين { وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ } ..اللهم اجعلنا منهم[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ :

إن استسلامنا لضغوط الواقع لا يضع مجداً ولا شرفاً ولا كياناً ..وأما الذي يصـنع الأمجـاد ، ويحفـظ الشرف ويثبت الكيانات : التصميم والعزم على إصلاح ما يمكن إصلاحه ــ وهـذا فـيما اعتقـده ــــ

---

[1] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م ص [١٦٣ــ ١٦٤] .

كامِنٌ في بناء جيل السلامة ، الجيل الواعد المُتسامي بين دور العلم والأربطة ، ومن لازال من عموم الشرائح الاجتماعية ملتزماً بطبعه وأرومته مجالسَ الخير ومماثل المناسبات ومظاهر السلف الصالح ..[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

إن الذي أدَّى إلى تفجير الأوضاع عبر التاريخ هو العمل السياسي ، وليس الاختلاف المذهبي ولا قضية حب آل البيت ولا التصوف ..

فالسياسيون يصطادون في الماء العكر ، ويجدون في هذا الخبط والخلط بغيتهم السياسية لاستثمار التناقضات في الواقع المتناقض (سياسة التوازن) وللشيطان في الماء العكر حضور أكيد وفاعل ...[2]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

أن عيوبنا ونقائصنا في الواقع المعاصر ليست محميَّة ولا مُحَصَّنة ..وهذا هو سر انتشار رائحتها وكراهية أوعِيتَها .

أما عيوب ونقائص وبدع غيرنا فمحمية بالسلطان ومُحَصَّنة بالمال ..ومهما كانت روائحها وأوعيتها العفنة فالحماية والتحصين كفيل بقطع الألسنة ، وبقبول شم الأنوف كريه الروائح ، ومع هذا وذاك فإن الأوعية المكشوفة تتجرأ الجرذان والذباب والصراصير ؛ لأنهم نموذج من المخلوقات لا ترتاح إلا إلى القاذروات ..فلن تنتشر عنا في الواقع الموبوء إلا ما تركناه مكشوفاً في هذه الأوعية .. والمطلب العادل أننا نعمل على جهتين :

الأولى : قطع دابر هذه القاذروات والأوساخ بما هو أفضل وأولى من تركها تحمل اسمنا وتاريخنا ، وبعجل ...

الثاني : حماية وتحصين أوعيتنا بغير السلطة والمال ، وإنما بتقوى الله وحُسن المعاملة مع الأمة برغم متناقضات فهمها عنا ..مع مزيد من الصبر والتؤدة كما كان سلفنا الصالح ..

هل تستطيعون ذلك ..؟

---

[1] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م ص[٢٦٤] .

[2] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م ص[٢٨١] .

إن أجبتم: بنعم ، فباب الاطمئنان مُتَّسع أكثر وأكثر ،

وإن أجبتم : بلا ، فأجهزة المسخ للسلبيات ومن يرعاها على أتم الاستعداد لطمس كل شيء بأمر ربها ..ولن يضرّ الماسخ شيء ولن يفقد الأقماع غير ذواتنا وما يعرف بجهالاتنا وامتيازاتنا التي نتشدّق بها على الناس ..ولا غير ذلك[1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أنَّ إهمالنا لتاريخنا الذاتيِّ ، والاستعاضةَ عنه بتقديس الواقع ، والتغنيَ بِشُخوصِه وطقوسه ..؛

قد أورَثَنا الذُّلَّ والوَهَن ، وجعل منّا ــ ونحن أمةُ تاريخٍ وسُلالةُ فضلٍ وعلمٍ ..ــ جعلَ مِنّا دُمًى تَرْقُدُ في ميدان العرض والطلب ، تُنَفِّذُ مصالح الحاقدين على كُلِّ سُلالـةٍ صالحة ، ونَرضى بِذَرِّ الرَّماد على عيوننا ، وقد ذُرَّ الرمادُ على العيون حتى بلغ أثرُه القلوب ، وانتقل أجيالُ هذه السُّلالات من مستوى الاهتمام بتاريخهم إلى مُحاكمته ونَقْدِه والطعن في الآباء الصالحين والأجداد المتقين .

وكثيرٌ منهم لا يدري لِمَصلحة مَنْ هذه الأفاعيل ، ولا يُفرِّق بين الحق المطموس وبين واقع الأضاليل ؛ لكن إلى متى يا قوم ؟ متى نعرف المستثمر الحقيقي لِتُرَّهات النقض والقبض ؟ ومتى نفهم المعنى من المثل القائل : ((رَحِمَ اللهُ امْرِءً عَرَفَ قَدرَ نَفْسِهِ))[2].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أننا نحن الآن نعيش في هذا العصر لدينا كلمة من كلمات إبليس وهي ما تُسمَّى بـ(الديمقراطية) ؛ والديمقراطية هي لفظة من لفظات إبليس وضعها في العالم الأرضي لأجل يُعيد الناس إلى النار ، هو لا يريدهم يرجعوا للجنة ، ربنا يريد أن يرجعنا للجنة بالتوبة بالاستغفار بالالتزام ؛

ابليس أخرج آدم من الجنة لا يريد أن يعيد آدم ولا بني آدم إلى الجنة ، يريد أن يكون مصيرهم مثله : [إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ] فلذلك أجرى لهم ألفاظ مُعيَّنة في الأرض ، آخر ما جعله : فكرة الديمقراطية في الأرض ، وهي الفكرة السياسية التي يُسَمُّونها :(حُكم الشعب للشعب) ، وهي كلمة لم تتحقق لأحدٍ بها أمنية ، خاصَّةً في عالم الديانة ، قد يكون تحققت في عالم

---

[1] إهـ من كتاب : الوثيقة ط٢لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م ص[٢٨٣ــ ٢٨٤] .

[2] إهـ من خاتمة ترجمة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي من سلسلة أعلام حضرموت ط١لعام ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢ م ص[٥٢] .

الكفر أمور مُعيَّنة للدمقراطية بطريقةٍ أو بأخرى لأنها تتناسب مع عقائدهم ومع أفكارهم فذاك أمر آخر ..، لكن بالنسبة لمن يقرأ القرآن ، لمن عنده السُّنة ، لمن عنده الشريعة لا تتناسب معه الديمقراطية ، فلذلك هي لفظة إبليسية ، ماذا تفعل ؟

تفعل للناس ٣٠سنة ٤٠ سنة ٥٠ سنة ثم تجد من يُطالب بها مرةً أخرى ..

على ما عِشت في حياتي رأيت مُطالبة بالديمقراطية يمكن ثلاث مرات أو أربع مرات ..، فمرحلة من المراحل في الجانب القومي في العالم العربي والإسلامي في مرحلةٍ مُعيّنة كانت في العالم العربي يُطالب بالعود إلى الديمقراطية وترك الأفكار المتخلفة ..وتحقق ما تحقق ومرَّت ٣٠ سنة ، وهذه الرموز ذهبت وسقطت الديمقراطية ولم نجدها ، وجدنا أُناس أقاموا ثورة من داخل هذه الثورة لتحقيق الديمقراطية ..حتى وصلنا إلى الربيع العربي ، قبل الربيع العربي كثير من الأنظمة وكثير من الرموز :

هم أنفسهم دائماً يدعون إلى الديمقراطية وهم يتكلمون عن الديمقراطية ويدافعون عن الديمقراطية كما يُسمّونها ..فجأة جاء من جيلهم ومن أبنائهم من يعتبرهم لم يقيموا الديمقراطية وأثاروا عليهم بهذا الاسم ..وسيستمرون ٣٠ سنة أو قريب منها وستجد من يأتي يُطالب بالديمقراطية حتى يوصلهم إبليس إلى النار ..فموقع الدجال : موقع السياسة ..[١]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن البحث الدؤوب عن المتناقضات والمغامز وعيوب الرجال وهنّات المواقف ..

أوجد في تاريخ الأمة شرخاً عميقاً لا تُعالجه الانتماءات للجماعات ، ولا الولاءات للمذاهب ..؛

وهذه المؤلفات والرسائل وحملة الوسائل بين أيدينا شاهدة على انعدام نقطة الالتقاء بين مدارس الافراط والتفريط ، بل ونراها قد أغربت بالقافلة عن حدّ التوسط والاعتدال سواءً في التعايش الشرعي في المرحلة المعاصرة ، أو في الأحكام على مجريات التاريخ المتناقض بين المجموعات المتناحرة المتنافرة .

---

[١] إهـ من كلام سيدي الحبيب العلامة المربي أبي بكرٍ العدني بن علي المشهور حفظه الله ونفعنا الله به في برنامج ترجمان المعروض على قناة الإرث النبوي .

ومع هذا أو ذاك فهي لا تحمل برنامج حل للأمة وأزماتها الاقتصادية والاجتماعية وإنما حصرت الحلول في الالتزام بما فهمه كل أهل مذهب من مسائل الولاء والبراء ..، حتى سقطوا جميعاً خلال المرحلة الغُثائية في تسييس أعدائهم لهذا الصراع وتوظيفه لمصلحة القوى العالمية في المنطقة ..

وأنّى لأمة تعيش الصراع العقدي والطائفي والطبقي في واقعها المُعاش حكماً وعلماً أن تحمل راية العدل والسلامة لدى كتابتها ،أو معالجتها لقضايا الافراط أو التفريط في تاريخ المتقدمين والماضين ..؟!.[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن الشعوب لو استيقظت ، وهذا الاستيقاظ ليس بالثورات ، وهذه مسألة يجب أن تُعرف:

[استيقاظ الشعوب بالثورات : دمارٌ لها] ؛

ولكن استيقاظ الشعوب :

بالعود إلى الأوامر التي يدعوا الإسلام إليها بالاكتفاء الذاتي ..

لو أن هذه الثورات التي تُسمى : تحوّلت إلى أسلوبٍ زراعي جديد ، واهتمت الدول فقط بالزراعة والصناعة التحويلية في الزراعة ، كل بلدٍ في الموطن الذي هو فيه ..

سينالون من البركات عشرات وأضعاف ما يأتيهم من البترول وما يأتيهم من الثروات الأخرى ، لأن الثروات هذه التي تحت الأرض هي احتياطي وليست أساس .. [2]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أنَّ المسألة الخاصة بالأولياء والصالحين مسألةٌ اشتهر الخلاف فيها والتناول بجرأةٍ ، وكَثُرَ خلالِ مرحلةِ الغُثاء والوَهَنِ ؛

حتى بلغ الأمرُ بِبَعضِ الجافِين المُبغضين أن صَنَّفوا أولياء الله مع المشعوذين والسحرة نِكايةً بِهم وتشفّياً وحِقداً وكيداً ، مع أن الاختلاف بين أهلِ الله وأولياءِ الشيطانِ واضِحٌ وبَيِّنٌ ، ولكنّ هذه

---

[1] إهـ من كتاب : الصِّدّيق الأكبر ط١ العام ١٤٣٥هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٦٥] .

[2] إهـ من كلام سيدي الحبيب العلامة المربي أبي بكرٍ العدني بن علي المشهور حفظه الله ونفعنا الله به في برنامج ترجمان المعروض على قناة الإرث النبوي الحلقة ١٢ .

المواقفَ ضِدَّ أهل الله شِـنشِنةٌ معروفـةٌ منذُ الزمنِ البعيد ، فقد جعل اليهود سليمان النبي عليه السلام في كُتُبهم ساحراً مُشعوذاً ولم يُنصِفهُ أحدٌ منهم ، بل فَسّـروا سلوك سليمان بأنه مُخالِفٌ لهدي الأنبياءِ ، وأجمع علماؤُهم على تكفِيره رغبةً في الهيمنة على الأمرِ من بعده وحرمان ولدِهِ وأشياعـه ،

وقَبِلَ المجتمعُ قولَهم وحَكَمَ مِثلهم على سليمانَ وأتباعِه بـالكُفر ، حتـى نـزل القـرآن فبـيّن سُـوءَ فهمِهم وفسادَ رُؤيَتِهم بقوله : [وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ].

ولِفُشُـوِّ هذه الظاهرة اليوم وانتشارها بين المُصلِّين فإن الأمر يحتاج إلى بعض البيانِ والتفصيلِ غـيرةً على أولياء الله ، وحمايـةً لهم من المنافقين والمارقين ؛ وحفظاً للأمـة من سوء تقرير الإفكِ وانعكاسـه على المصلِّين .

والمخرج هو التأنِّي في تناول هذه المسألة والبحث عن مَخرجٍ مفيدٍ للجميع ..

فإن الإشكال الذي طرأ على الشعوب أنهم لم يعودوا يسمعون صوتَ الحقيقـة من أهلِها ، بل صاروا يسمعون تشويـهَ الحقائقِ من منابر التوسيدِ وللأسفِ ، وهذا هو سبب الارتباكِ والاشتباك .

فالعِـلّـةُ هي وقوع الجميع مـن طـرفي الإفـراط والتفـريط في تحكـيم الهـوى ، ممـا أدَّى إلى فُــشُوِّ القطيـعة وشتم الصالحين ، مع أن الأمر يحتاجُ إلى عودة الجميع إلى شرع الله وفيـه الغُـنيَـةُ والكفايــةُ ، بل ومنه أسباب الاهتداءِ والاقتداءِ لمن أراد السلامة في الدنيا والآخرة ، وأما الذين يُهَوِّلون الأمـور ويُفَـسِّرونها على غير نهج الحقيقـةِ فإنما غَرَضُهم صرف العيون عن حالهم المُتَرَدِّي ووضعِـهِم المَريـرِ ، وإشغالُ المسلمين بعضهم ببعضٍ وإضاعـةُ الحالِ والمالِ في الصراعِ والقيلِ والقال .. [1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أنَّ مسألة الرزق للعباد وخاصـة بعد بروز دعوة الإسلام قد عالجها الدين خير علاج :

جعل مجموعـة الإجراءات الشرعيـة كالزكاة والفِطرة والهِبـة والقرضـة الحسنـة وغيرهـا مـن وسائل التكافل الاجتماعي ، وأوجد فُرَص العمل داخل أوطان العباد من خـلال مـا أودع فيهـا مـن الخيرات والثروات .. لو استخرجت على الصِّفـة التي جعلها الله تعالى في الأرض دون تسييس ؛

[1] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١ العام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٣٥ ـ ٣٧]

فالبترول والذهب وغيرها من المعادن مصادر رزق مبثوثة على صِفةٍ عادلة في الوجود .. وبإمكان الشركات والخبراء أن يستخرجوا كافة ثروات البلاد باعتبار حاجة الإنسان لا باعتبار سياسة الاستعمار والاستثمار لبني الإنسان ..

وسيجدوا في صُنعِ الله ومكنون تسخيره لمخلوقاته ما يكفي المستثمر والمستعمر والمسلم والكافر ؛

لأن الله ضمن الرزق في هذا العالم[وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأرض إِلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا] وخُطّة الخالق في الخلق أن يُهيئ الأرزاق على قدر الحاجة [وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ] و [فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ] ،واستخلاص هذه الأرزاق بالإتباع لدعوة الرسل في الاستفادة من خيرات الأرض والسماء لا من تغيير سُنن الله في خلقه ، قال تعالى : [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ].

فالتكذيب بالرسُل والتّسييس للثروات والانحراف بالاقتصاد والسياسة والتربية والإعلام ..جعل للشيطان في العالم الإنساني قوة وفعل وتأثير ، وبجهل الأمة وضعفها وفَقْدِ قرارها وشَتات أمرها انتقل هذا الوباء إلى ديار الأمة الإسلامية مرحلة بعد مرحلة حتى أبلغها إلى أسوأ أحوال الغُثائية والوَهن .. الغُثاء والوهن الذي عبّر عنه ﷺ في حديثة : ((حُبّ الدنيا)) أي :بالتنافس على الدنيا ، وأنها مُهلكة الأمة في آخر الزمان .. [1]

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

إنَّ هذه الدعوة القائمة على الصراع الاعتقادي وغيرها من مدارس التسيس المرحلي أغرقت الأمة العربية والإسلامية في أتون مشروع سياسي مُبَيّت حوَّل الديانة إلى :

(مواد مُتفَجِّرة) تنسف علاقات المُتدينين من داخلهم .. وتُشغلهم عن معرفة ما يتوغل به المستعمر والمستثمر في أوطانهم المسلوبة المنكوبة ؛

ولا زال هذا الصراع المُسيَّس نافذٌ في الأمة ومُدمِّر لها حتى الساعة .. بل صار في هذه المرحلة أكثر خطورةً وأثراً بعد أن تحوّل إلى سلوكٍ شعبي ينبع من واقع الشعوب .. بعد أن رفع الكافر رسمياً عنه الدعم والتغطية بمسميات الإرهاب والتطرف وتخلّت الأنظمة المُعبرة عنه والمستثمرة له

[1] إهـ من كتاب : الزوبعة العاصفة ط١لعام ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥ م ص [٨٨ ــ ٨٩] .

ليصير جزءاً من شرائح الحياة الاجتماعية و جزءاً من دمها ولحمها يحرقها من داخلها وينخر في بنيانها وكيانها باسم الإسلام والديانة ..[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أنَّ سياسة الفِعل وردَّ الفِعل وفِقه التحريش ومُبَرِّرات النَّقض والقبض والصراع ..
قد أضرَّت من قَبلُ بمجتمعات الإسلام والمسلمين في مراحل التاريخ كعهود الصحابة والتابعين ، وخاصَّةً عند عزل السلوك النبويِّ الأبويِّ وثوران عاطفة التسلُّطِ والطباع ، وهي كذلك ..وبتميُّزٍ نوعيٍّ في عصر الغُثاء والوهن ..[2]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن مُعالجة قضايانا وأمورنا كلها من كل أوجهها مُنحصِرٌ في [[الديانَةِ]]، أي النصوص الواردة في التحولات ، لأن الدين أساسُ المُعالجةِ ؛

والمقصود بالدِّين والديانة : حقيقة ما جاءت به الرسالةُ بعيداً عن التسييس والمغالطة ، وفي ذلك يقول ﷺ :« أصابَكم دَاءُ الأُممِ: البغضاءُ والحسدِ ، لا أَقُولُ :حالقةُ الشَّعْرِ ، ولكنها حالِقةُ الدِّين ، أَلا أدُلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتُم ؟ افْشُوا السلامَ بينكم »، وإفشاء السلام هو الأصل ، وأما الأخذ بالجريرةِ والقِصاصُ العشوائيُّ واستباحةُ الدماءِ وحبُّ الانتقامِ من الخصم فمبادئُ طَبْعِيَّةٌ نفعِيةٌ أنويةٌ شيطانيةٌ .

وهذا النداءُ من النبي ﷺ للأمةِ يجمعُ بين إصابةِ الأمَّةِ بداءِ الأمم ((البغضاء والحسد)) وهي أساسُ التحريش والمغالطة ، وبين المُعالجةِ الجِدِّيَّةِ ((أفشُوا السَّلامَ بينكم)).

والسلام مبدأ الديانة ، ويقابلُه التحريشُ مبدأ الخيانةِ ، وبينهما صراعٌ أزَليٌّ طويلٌ ، والسعيدُ من سلَّمه الله من طرفي الإفراط والتفريط [3].

---

[1] إهـ من كتاب : الزوبعة العاصفة ط1لعام ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥ م ص [٩٣] .

[2] . إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط1لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٦٩] .

[3] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط1لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٧٠] .

أنَّ هناك قضـية إسلام .. وهنا وظيفـة مسلم ..

فالحال الدائر اليوم إنما هي وظائف يؤديها المسلمون ضد بعضهم البعض ، وِفق مـا أخـبر المصـطفى ﷺ عنهم في آخر الزمان ، عند سقوطهم جميعاً في الغُـثاءِ والوهن والاستـتباع ، وأما قضيـة الإسـلام فهو كتابٌ وسـنة وفهوم شرعيـة قائمـة على قواسم إسلامـية مُشتركـة .

وهذا فيما يخص المسلمين أنفسهم ، أما ما يخُص غير المسلمين فهناك قواسم إنسانيــة مشتركــة ، ولكِلا القواسم ضوابط شرعيـة ، وليس خاصـة بتفسير العقل وحده .

وعندما بدأ الإسلام في مرحلته الأولى بين مكـة والمديــنة ، بـدأ بـاختراق الواقـع ومتناقضاتــه بمبدأ القواسم الإسلامـية المشتركـة ، في الوقـت الـذي كانـت الجاهليــة والكفـر تعامـل الإسـلام والمسلمين بالضديـة والمحاربـة والبتر والإقصاء والتربّص .

إذاً فحيث ما كان الإسلام الحق كان العدل والانصاف والوسطيـة ..

وحيثما كان الفهم البشري المطلق كان الاختلاف والصراع والحرب ، وكِـلا الحـالين حُكـم الله في تركيب طباع خلقـه ؛

فالإسلام تهذيب للطباع ..

والعقلانيـة تُـثير الطباع ..

وإذا ما مُزج الإسلام بضابط العقل الواعي ، وضبط العقل بتهذيب الإسـلام المشـروع : بـرزت القِيَم والأخلاق ، واشتمّت الشعوب الأُلفـة من ألـسنة العلـماء والـدعاة لعَـظمــة الأهـداف التـي يعملون معاً من أجلها ..[1]

[1] إهـ من كتاب :المرصـد النبوي ط١العام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥ م ص[١٨٩].

عَلَمِيّ فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن النصوص النبوية في فقه التحولات لا تُعطي أي حصانة لنظام سياسي في المرحلة الغُثائية وإنما قد تُعطي إشارة أو بشارة للشعوب المتمسكة ببعض عُرى الإسلام دون البعض ..

((كُلَّمَا نُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَمَسَّكَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، أَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاَةُ..)) ،و عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: ((لَتَنقَضَنَّ عُرَى الإِسْلاَمِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاَةُ..)) ، وهذا النقض المُتتابع في العُرى يشير إلى انحدارات خطيرة في مستوى القرار باعتبار قوله : ((كلما نقضت)) بالبناء للمجهول ..(مفصل القرار السياسي) الذي يعمل لتنفيذ البرامج المُسَيَّسة طوعاً وكرهاً ..كما يشير إلى ضرورة قبول الشعوب هذا النقض المُسَيَّس دون قدرتهم على تغييره ، وإنما قدرتهم على الحفاظ على ما دونه من العرى ((تَمَسَّكَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا)) ثم يشير الحديث إلى تراتب النقض المُسَيَّس خلال مسيرة الحياة الغُثائية ((أَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ)) وهكذا يكون النقض في كل مرحلة (المؤامرة المُدَبَّرة على نقض القرار) بأي أسلوب وبأي وسيلة وأي حُجَّة.. ((وَآخِرُهُنَّ الصَّلاَةُ)) ويلحق نقض الحُكم وإزالة القرار العمل على نواقض أُخرى تخُص العلم بثوابته المتعددة حتى يبلغ النقض المتراكم من مرحلةٍ إلى أخرى ، ومن نظام إلى آخر حتى تنقض الصلاة في كافة شؤونها العلمية والعملية نَصَّاً ورُوحاً.

وقد شهدنا نقض الصلاة خلال مرحلتين مُتناقضتين :

الأولى : مرحلة الاستهتار والشيوعية ، وقد استخف بالصلاة والمصلي حين صارت مطعناً ومغمزاً في وطنيته وولاءه ..

الثانية : في مرحلة الاستثمار ومع ظهور دعوات النقض والقبض المتأسلمة من طاعن المذهب والولاء والانتماء، ومبطل الصلاة خلف الصوفي والقبوري كما يُطلق عليه بشبهات مُلفّقة ، ولازلنا ننتظر نماذج أخرى من نماذج النقض للصلاة في مسيرة التحولات الموعودة .. [1]

---

[1] إهـ من كتاب :إظهار العلم المكنون ط١لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥ م ص [٣٣ـ٣٥].

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ:

أن بداية العد التنازلي الذي حصل في العالم العربي والإسلامي ..كان مقروناً بسقوط قرار الدولة الإسلامية الواحد ، وهذا السقوط كان نتيجة :

المؤامرات الخارجية..

والغفلة الداخلية لدى المسلمين .. حتى تمكّن العدو من استغفالهم وسحب قرار الحكم الإسلامي العام واستبداله بالقرارات القومية المتعددة ، وتجزئة الوطن الواحد ؛ ليصبح عِدة كيانات ومجموعات متفرّقة من الحدود والقوميات والقبائل مع إثارة الفتن والصراعات والحروب ، وإشغال كل بلدةٍ من داخلها بالصراع ومن خارجها بالضغوط السياسية والاقتصادية ، وهذا التعليل الذي نضعه يُعدُّ جزءاً لا يتجزّأ من علم الدين ، ولا علاقة له بالتدخلات في السياسة كما يعبر عن هذا بعض القُراء أو بعض المشتركين في خِداع الأمة وتغريبها عن حقائق المصير سواءً على المستوى الإسلامي والعربي العام أو حتى على مستوى مجريات الأحداث التي حصلت في الوطن الميمون ..[1]

---

[1] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠ م ص [٧٣].

الباب العاشر :

باب : إحياء منهج السلامة الواعي

عَلَّمَتْنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتِ :

أن أنتهجَ منهج السلامة وأن النجاة في أساسها قائمةٌ على طلب السلامة ..؛

والسلامة مشتقة من السلام ، وهو في أحد معانيه الأمان ، وهو أيضاً اسم من أسماء الله تعالى أنزله الله في العالم لإقامة العدل بين الناس ، وفيه يقول المصطفى ﷺ: ((واللهِ لا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))

والسلامة تحمل هذا المعنى الذي ورد في الحديث الشريف ، وهو منهجٌ شرعي أصَّلتهُ الديانة الإسلامية لمعالجة شؤون الأمة في حياتها .

وكما أنَّ النجاة الحقيقية في هذا المبدأ العظيم ((السَّلامة)) فهي أيضاً منوطةٌ في من تحلَّى بها أن يبعد عن كل ما يوجب الملامة ، والملامة من اللوم وهو العتب ، وحامل منهج السلامة لا بد أن يتجنب مواطن الريب والشَّك والعيب : ((دَعْ مَا يَرِيبكَ إِلى ما لا يَرِيبَكَ))[1] .

عَلَّمَتْنِي فِقْهُ التَّحَوُّلَاتِ :

أن منهج السلامة القائم بحفظ الجوارح وتجاوز مجموع العلل القادحة في ديانة المتدين : مُلزِمٌ للإنسان حتى يسلم من العلل كلها أن يتبع المنهج السماوي ، وهو الثلاثي الشرعي :

- الكتاب .
- السنة .
- أخلاق النبوة .

والمقصود بالكتاب : تفَهُّم مراد القرآن المُنَزَّل على رسول الله ﷺ في إقامة منهج السلامة في الحياة كمثل قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ

---

[1] منهج السلامة الواعي ص (١٩) .

مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ .. }.

والمقصود بالسنة ما ورد عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير في تحديد منهج السلامة من خلال المعاملة بين الناس .

وأما الأخلاق : فهي المواقف الذاتية له ﷺ من الناس كلهم ومن أقرب الناس إليه في شؤون العامة والخاصة في المرحلتين المكية والمدنية وما تفرع عنهما .

وقد أهمل الكثير من المسلمين هذا الثلاثي الشرعي لإقامة منهج الدعوة الإسلامية على مبدأ السلامة ، ونهجوا بأنفسهم منهج العدو ، وهو ما يُعرف بمنهج (التحريش بين المسلمين) ، وهو المبدأ المعروف بـ (فرِّقْ تسدْ) ، وقد تبناه العديد من حملة الأفكار الحزبية والفئوية ومارسوا به أشد نماذج العداء والاعتداء في الألفاظ والأحكام على غيرهم ممن هم على شاكلتهم في الدين ..

فالحقيقة المُرَّة أن منهج السلامة والإسلام يأبى الإفك وينأى بالمسلم الحق عن الدعاوي التي هي نوع من أنواع الجنوح إلى الإفراط والتفريط ..[1]

علمني فقه التحولات:

أنَّ منهج السلامة لا يعني الاستسلام والخمول أو تعطيل وظيفة الجهاد والعِزة ـ كما يصفه البعض ـ ؛

وإنما يُعتبر هذا المنهج أساس المعاملة في كافة الظروف سواءً ظروف السِّلْم أو ظروف الحرب ، وما عدا ذلك فمواقف ناتجة عن عوامل الإفراط أو التفريط التي تُخالف منهج السلامة الذي خاطب به النبي ﷺ به الغُرباء في المراحل كلها ، وأشدّها مرحلة الإسلام بمكة والمدية ثم مرحلة الانحسار في عصر الغُثاء ، وهي مرحلة الغُربة مع شمول أثر الكُفر والكافر وامتلاكه قرار الحرب والسِلم في العالم بالوسائط المنظِّمة لأمره ونَهيه ؛

---

[1] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص[٢٢ــ ٢٣] .

وقد ورث العمل بمنهج السلامة سلسة من الخلفاء الذين جمع الله لهم بين شرف الديانة وشرف المحافظة على الأمانة .. [1]

عَلَمِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ:

أن المجالسة والمصاحبة لهؤلاء الشيوخ [من أهل الله الصالحين]، والأخذ عنهم والارتباط بهم له عائدٌ إيمانيٌّ كبير ؛

فلم نرى منهم غيرَ الأعمال الصالحة والقُرَب :أي كل ما يُقرِّب إلى الله ، وما يأخذ من يجالسهم إلا الآداب والأخلاق مع الخاص والعام ، وفي هذا القول ردٌّ اعتباريٌّ للأشياخ العلماء بعد أن حرّفَ آخرون وصفهم ورَمَوْهُم بما ليس فيهم من النعوت والصفات ..

ومجالسهم غير مجالس الآخرين ، فإن مجالسهم تَحفّها السكينة والهيبة وكذلك ألفاظهم وأحاديثهم محمودة الأثر والتأثير ، أُمناء على الأعراض والأديان والعلاقات ..

ومن صفاتهم : أنهم لا يفضحون أحداً ولا يكشفون سِتراً عن حي ولا ميِّت ، ولا يشتغلون بالمجادلة ، كما أنهم بعيدين كل البُعد عن الأهواء والمجاملات ..

ومن أخلاقهم مع الناس : أنهم يتغاضون عن عيوب الناس في صمتٍ وأدب ، ثم يعملون بطريقةٍ أخرى على إصلاح هذا العيب بما يتناسب مع الموقف والظرف وشخصية الناس ، دون كَلَف أو جهد يضر بهم أو بغيرهم ..

ومن آدابهم التي عرفناها فيهم وتحق وجودها في سلوكهم : أنهم إذا قُرئ عليهم في بعض الكتب عِباراتٍ تحمِل قدحاً أو مالا يليق بمنهج السلامة : تلطّفوا مع القارئ والسامع في ردِّه ، أي : في رد هذا القول السيء دون خدش أو جرح لأحدٍ من المسلمين ، بل يحرصون على إيضاح الدليل المناسب ويبدون رأيهم باتزانٍ وتعقُّلٍ دون شططٍ أو عجب أو استنقاص لأحد ، وهذه صفةٌ نادرةٌ في عصرنا وزماننا ، ولا نجد من يجسِّدها من حملة المناهج الدعوية أو العلمية غيرهم إلا القليل ..

ومن محاسنهم : أنهم لا يعجبهم ممن انطوى تحت رعايتهم أن يكون ثرثاراً أو مُتطاولاً في النقاش والكلام مع الغير ؛

---

[1] إهـ من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠ م ص [١٣] .

بل يدعونه بلطفٍ إلى طول الصمت والتأمل وعدم الاستعجال في الردّ على الآخرين ، ووجوب تقبُّل الرأي الآخر وحُسن التّفهُّم للمقصود ..

ومن صفاتهم : عدم الانخراط في الأحزاب ولا في القرار الحكومي ؛

بل إنهم لا يهتمون بتحصيل الرُّتب والامتيازات وهذا ليس مطعناً في حاملي الحُكم والحزبية ، وإنما إبراز نموذج التميُّز لدى هؤلاء المُشار إليهم بمنهج السلامة ..

ومن صفاتهم المُـميَّزة: أنه لا يوجد فيهم ذو حقدٍ أو ضغينة على وقائع التاريخ المؤلمة ، ويرغبون في السكوت عن كل ما جرى في تاريخ الأوائل طلباً للسلامة مع اهتمامهم التام ببناء الحاضر على ما تيسّر لهم من حُسن الإتباع بالمتبوع الأعظم ﷺ ، خلافاً لما عليه الدعوات المُسَيَّسة التي ولِعَ أتباعها باللعن والطعن والتبديع والتشريك ، وإثارة الضغائن والأحقاد ، وشغلوا الأجيالَ بمحاكمة التاريخ مع عدم قدرتهم على إعادة رجاله لا ظالماً ولا مظلوماً ، فصارت مناهجهم هدماً للتاريخ وعيشاً استثمارياً على حساب أخطاء الآخرين مع انعدام الحل الأمثل والعلاج الأشمل لحقيقة مواطن التعفن والانحراف في الواقع ..

وأهل هذا المنهج الرشيد : لا يتناولون الشُّبَه في المال والمعاملة ولا يُتاجرون بالدين في سوق العرض والطلب ، وإن حصل شيء من الخلل في الحياة الاقتصادية تحرّوا في التناول ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً حتى لا يُصيبهم من الشبه والحرام شيء يعلمونه أو يعرفون حقائق مصدره ..

وهؤلاء الرجال هم أهل الصدق وقد كان من فوائد مُجالستهم : أن تعلّم الكُلُّ منهم مفهوم الصدق على وجهه الشرعي ، كما أُخِذت عنهم مفاهيم بناء الإرادة في الإنسان المؤمن ، وهي سلامة العزم والتصميم في خدمة الطريق وبناء الذوات لأجل الله وفي الله ..[1]

كما أن من خصائصهم : تعليم الأتباع والمرتبطين بمنهج السلامة سِرّ الأسانيد المتصلة ، وما لها من أثر ومظهر وجوهر في الدراسة الشرعية والعلاقات بين أهل العلم النافع ، وكونها فيما بينهم لغة التفاهم وسِرّ الارتباط الجامع بين أهل هذه المِلّة وأمنائها ؛

وكل صاحب رؤية أو فكرة ذات علاقة بهذا الدين يجب أن تُعرف ويُعرف صاحِبُها بأمرين:

---

[1] إهـ بشيء من التصرف من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠ م ص [١١٤ــ١١٥]

الأول : سند الأشياخ الذين أخذ عنهم هذا الأمر .

الثاني : صِيغة المفهوم ذاته وعلاقته بأمر الشريعة من حيث القبول والرد عند أهل المعرفة والعلم أنفسهم ، ولهذا فإن من شرطنا لمعرفة كل منهج وروّاده أن نقرأ تراجم حياتهم وبدايات تكوينهم المعرفي ، وبهذا الأمر يبرُز سِرّ الاتصال أو عكسه.

وأهمية علم الإسناد المأخوذ عن الأشياخ بالسند إلى أهل المعرفة المجتمعة فيهم شروط الأدب والخُلُق الحسن ، حيث يرتبط هذا الشرط بالمعنى الشرعي المنصوص عليه في ثلاثي الدعوة الذي جاء في قوله تعالى : [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ]، فالكتاب هو القرآن ، والحُكم هو السنة الشريفة ، والنبوة هي المعادل الثالث ((أخلاق النبوة)) ، فالذين سخَّروا نَصَّ الكتاب والسُّنَّة مُجرَّدة عن أخلاق النبوة ركبوا الشطط في الماضي والحاضر وأخرجوا النصوص عن وعائها الشرعي ، وهي الأخلاق .

ومن وصف رجال منهج السلامة عدم الدخول في المِراء والجدال مهما كان أمر القضايا المختلف عليها ، عملاً بقوله ﷺ : ((دَعُوا المِراءَ)) ، وقوله : ((مَن ترك المِراء وهو مُحِقٌّ بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة ، ومن ترك المِراء وهو مُبطِلٌ بنى الله له بيتاً في رَبَضِ الجنَّةِ)).[1]

عَلَمَي فِقهُ التَّحَوّلات:

إنَّ أهل منهج السلامة على مَمَرِّ الزمانِ اتخذوا طريق السلام ، فأسلموا لله وسَلِموا من الناسِ وحَفِظوا العهدَ الذي أخذوه على أنفُسِهم بالإسلام ..؛

ومن شروطه : [[المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمون من لِسانِه ويَدِه ، والمهاجرُ من هَجَر ما نهى الله عنه]]، واختار خُلُق الصَّبرِ من أجلِ الله ((وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ)) ، ((وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) ، ((الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) ..

فكان لهم بهذا الخُلُقِ السلامةُ في الدارين ، وهؤلاء هم بُغْيَتُنا وقُدوَتُنا ، ومنهم أهلُنا وأسلافُنا ، وكثيرٌ من أهل الإسلام الذين نشأوا وأخذوا عِلمَهم وأدَبهم من مدرسة السلامةِ

---

[1] إهـ بشيء من التصرف من كتاب : منهج السلامة الواعي ط٢لعام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠ م ص [١١٥ــ١١٧].

مدرسـة الديانـة والتَّـديُّنِ ، ((الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهَّ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيْثَاقَ (٢٠) وَالَّـذِينَ يَصِـلُونَ مَـا أَمَرَ اللهَّ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَـبَرُوا ابْتِغَـاءَ وَجْـهِ رَبِّهِـمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُـوا مِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَـةً وَيَـدْرَءُونَ بِالْحَسَـنَةِ السَّـيِّئَةَ أُولَئِـكَ لَهُـمْ عُقْبَـى الدَّارِ))[الرعد : ٢٠ ـ ٢٢].

ولا شكَّ أن هذه الآيات وغيرِها من مِثلِها إنما تنطبقُ على أهل مـنهجِ السلامــة الـذين فَقَـدتْ أُمَّـةُ القرآن مَنْهَجَـهُم ، وأضاعَ المتأخرون شرفَ العلاقـةِ بهم وبأســانيدِهم ، بـل بـرز في مُجتمعـاتِ الذِّلَّـةِ من يتطاولُ عليهم ، فمِـن متطاولٍ على آل البيتِ وأولئك فريق ، ومِن متطاولٍ على أهل مقـام الإحسان رجالِ التصوّفِ والذَّوقِ ، وأولئـك فريـقٌ آخـر ، ومِـن مُتطـاولٍ عـلى الحـديثِ ورجالِــه وتضعيفِـه وتصحيحـه وتشويشِ مُخرجاتِ معانيـه وأولئك فريقٌ ..، وكلُّ هؤلاء صـارت عـداوتهم بارِزَةً ومبثوثـةً في كُتُـبِهم وإعلامِهم ومدارِسِهم وثقافتهم ، ولم يسلَم من هذه الفـوضى العارِمَــةِ إلا أهلُ النَّمَـطِ الأوسَطِ ، وهم قليلٌ من قليل ..[جاء في الحاشيـة ما يلي :

وهذا لا يعني سذاجتهم وتركهم للعلم وخاصـة علم الحديث من غير تمحيص أو تنقيح ، وإنـما يتناولون ما يجب تناوله مع غايــة الأدب وكـمال الاحـترام للغـير ، ممـن يجمـع أو يكتـب أو يتنـاول الحديث أو التفسير أو السيرة ، فيصوِّبون الخطأ ولا يجرحون العـالم والجـامع ، بـل قـد يوجِّهونـه أو يُعاتبونه عتَـباً يليق بمقامـه واهتمامه..]

ومع أنهم في كُلِّ عصرٍ قليلٌ من قليـلٍ ، إلا أنَّ في أهـلِ كـلِّ عصرٍ مـن كـان يعـترفُ بكـرامَتِهم ومقامِهم وصِدقِ توجُّهِـهم إلى الله ، ما عدا مدارسِ التحريشِ والإفكِ فلها مواقـفُ معلومــةٌ مـنهم ومِن غيرهم [1].

عَلَامَتِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

أن منهج السلامة قائمٌ على ثلاثة محاور :

الأول : معاملة العبد مع المولى سبحانه .

الثاني : معاملة العبد مع الخلق ووسائل الحياة .

---

[1] إهـ من كتاب : المهيع الواضح الميمون ط١لعام ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٤ م ص [٧١ــ٧٢] .

الثالث : التحقق من أسس المعاملات وفق الشريعة .

والمعاملات وفق الشريعة لها ضوابط وأسس وثوابت مبسوطة في كتب العلم ،

ومن علامات سلامة المعاملات التي يأخذ بها المتعلم أو المتلقي :

- تنزيه الصدر من الغش للناس أو الحقد أو غيره من سيء المعاملات المكونة للعداء أو البغض .
- عدم وقوع مادة العلم المقروءة تحت برنامج نفعي مسيَّس ، يستخدم (الجاه أو المال أو القوة) في سبيل تطويع عقول الأمة لمفاهيمه .
- التزام المنهج المقروء بالأسانيد المتصلة بمشايخ العلم الإسلامي إلى رسول الله ﷺ دون حَيْفٍ ولا تحريف .
- كون المادة المقروءة أو المدروسة لا تشتغل بالنظر في عيوب الآخرين وتحجيمها .
- كون مادة التعليم موافقة لمنهج سلف الأمة قبل مرحلة الغثاء والوهن
- سلامة ثقافة المعلم من الانتماءات ذات العلاقة بالتعليم المسيَّس والمقبوض .

وبرغم هذه الدلالات والعلاقات صعبة التحقق في أزمنة الحيف والفتنة ، ولكن ذلك لا يعني ترك الإيضاح أو الإفصاح عنها ، بل ربما احتاج لنصاعتها من كان مفتوناً إذا زالت عنه آثار الفتنة ، أو رجع وتاب وأناب ..

وقد رأينا في تجربة الحياة كيف يعود الموفق ، ويتوب المذنب ، ويُقلِع المفتون عن فتنته ويُصبح عنصراً هاماً وعاملاً في منهج الأبوة الشرعي . فالعَودُ ــ كما يقال ــ أحمد : (ومن لم يؤدبه والداه أدبه الزمان)[1] .

---

[1] الوثيقة ط٢ ص (٤١ ــ ٤٢) .

أنَّ منهجُ السلامةِ هو مَعَاذُ المُسلِم من الفتن ، ويُقصد بمنهج السلامة الأخذ بالنصوص الشرعية المُبَيَّنة موقف المسلم عند ظهور الفتن المضلة ؛

وظهور الأئمة المُضلين ، الذين حذَّرَ مِنهم من لا ينطق عن الهوى ﷺ في قوله : ((غيرُ الدجال أخوفُ على أُمَّتي من الدجال .. الأئمةُ المُضِلّون ، وهم الذين يسلكون منهج الصراع والتصعيد وإثارة الاختلاف بين المصلين .

وقد عقد العلماء لهذا المنهج (منهج السلامة) فُصُولاً في كتب الحديث ، فالإمام ابن ماجة بَوَّبَ في سُننه باباً بقوله : (باب من تُرجى له السلامة من الفتن) ، ومِنْ فَهْمِ الصحابةِ رضي الله عنهم ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ :

((إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَهَرْجًا)) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ : ((الْقَتْلُ)) فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ)) ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللهِ .. وَمَعَنَا عُقُولُنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((لا .. تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنْ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ)) ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ : وَايْمُ اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ ، وَايْمُ اللهِ مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا .

والمقصود من قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : (إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا) :

أن نلتزم مَنهج السلامة ، وخلاصته :

- حِفْظُ اللِسَانِ مِنَ الذَّمِّ .
- وَحِفْظُ اليَدِ مِنَ الدَّمِ .

وإلى ذلك تُشير جُملةُ المعاني من أحاديث المُصطفى ﷺ المُتَنوّعة في هذا الباب ، ومنها ما رواه أبو داودَ : ((كُن كَخيْرِ ابْنَيْ آدم)) ((واضربوا سيوفكم بالحجارةِ)) و ((فَاتخذْ سيفاً من خشبٍ)) .

وهذه هي المواقف التي وقفها أَكْثرُ أصحاب النَّبي ﷺ وآلِ البيت الأطهار والتابعين وتابعيهم عندَ شُمول الفتن المُضلة في عصورهم ، ومن أجلها تنازلَ الإمام الحسنُ رضي الله عنه عنِ الحُكم ، ومن أجلها خرجَ الإمام الحُسين رضي الله عنه من الحجاز إلى العراق بأهله وذَويه مُصلحاً في أُمَّةِ جَدهِ ﷺ فقابله البُغاة بالقتل والغلاة بالخُذلان ، ومن أجلها زَهِدَ الإمامُ عليٌّ زينُ العابدين رضي الله عنه في المطالبة بالثَّأر والحكم واشتغل بِوِرَاثَةِ العلم وبلاغ الدعوة إلى الله ، ومن أجلها زهدَ الإمام علي العُرَيضي رضي الله عنه في صراع المرحلة بعدَ طُولِ خروجٍ وعاد إلى المدينة مُتخذاً مِنَ (العُرَيضي) مأوىً لأهله وذُرِّيتهِ وناشراً للعلم والدعوة إلى الله ، ومن أجلها خرجَ الإمام المهاجر أحمد بن عيسى من أرضِ الرافدين إلى الحرمين الشريفين ومنها إلى حضرموت داعياً إلى السلام . ومثلُ هذه النماذجِ كَثيرٌ في تأريخ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ المُباركةِ[1].

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتِ :

أن الداعي إلى النار لا يتورَّع في استخدام أشرس الوسائل وأشدِّها ضرراً للوصول إلى مُبْتَغاه ولو على حساب الآخرين ، (فالغاية لدية : تُبَرِّر الوسيلة)

أما الدَّاعي إلى الجنة والمغفرة فيُراعي شُعور الآخر ويتجنَّب الإضرار به حِرصاً على حصول الثَّواب وتجنباً للوقوع في مسببات العقاب ، لأن (الغاية لديه تُقَرِّر الوسيلة) .. ومن هذا المبدأ الإسلامي المستقيم بَرَزَ مفهوم القدوة الحسنة عندنا ..وتفرَّد رجاله بالسُّمو على غرائز الطَّبْع

[1] النبذة الصغرى ص (٦٥ ــ ٦٧) .

وتأخروا عن تحقيق طموحات النفس مقابل تحقيق تربيـة الـنفس وموتهـا ، ونيـل مـا عنـد الله :{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1]

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

ضـوابط وثـوابت طـريق السلامـة ، وهي عديدةٌ :

فمن ثـوابت طريقتنا عـدم المشـاركـة في تحـولات المراحـل ، وعــدم التفاعـل مع التطــورات السياسيـة وأربابـها ، وأصـل هذا الـموقف دراسـة النصوص النبويـة عن الفتن والتحولات ، ولا علاقـة لها بالشجاعـة والجُبن ، كمـا أنها طـريقـةٌ مُـتّـبـعـةٌ لـدى أئمـة الدين منذ عهد الـنبوّة ، ولا يـخرج عنـهـا إلا :

- طـامحٌ في سـلطـة أخذت بـه الدنيا وغفـلتها مع من أخـذت .
- مُـدافِعٌ عن حقٍ اكـتسبـه بحقٍ أو بـاطل ولـم يُـدرك إيـثـار الأمـر طـلـباً لـمـا عند الله .
- مـفـتون مُسـتغفل قَـصُـرَ بـاعـهُ في العلم الشرعي بالتحولات ، واستفزّهُ الطبع النفسي

ومـوقعنا عـند التحولات إعـطـاء كل ذي حقٍ حقـه بالـنصيحة وسـلامـة الخدمــة ، ومـساعــدة كـل من يستحق الـمساعـدة ، ونـصــرة الـمظـلــوم والأخــذ عـلى يـــد الــظالم ، والـمشاركـة الفعليـة في تـنـميـة الشعـوب والأخـذ بـيـدهـا إلى مـا فيه اسـتقرارهـا المنشــود دون الــوقوع في حـرامٍ أو شُـبهـةٍ أو مخـالفـة .

وكل هـذه الشـروط لـهـا ضـوابطـهـا العلميـة والعمليَّـة وأهـمـهـا :

- أنــنـا لا نـدعـو لحمل السـلاح ، والمشـاركـة مـع حـامـلـيه أيـاً كـانــوا في عـالمنــا المعاصـر .

---

[1] إهـ من كتاب : المواجـهةُ السافرةط١ص[٢٠ـ٢١] .

- أن لا نُشيع في الناس أو مع الناس فتنة اللسان بالذم ، ولا فتنة الاصطدام والحروب بإسالة الدم .
- ندعو جميع الأشتات والفرقاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة تحت القاعدة الشرعيَّة : ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤
- لا نقف مع حاكمٍ في صراعه مع أشباهه وأمثاله على كرسي الحُكم ، ولا ننصر جماعةً أو فِئةً تتطلع لامتلاكه والسيطرة عليه .
- ندعو الجميع حاكماً ومحكوماً لتقوى الله والموت على سلامةٍ وحُسن خاتمة ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وِفق القدرات المُتاحة .
- لا نُشارك في حزبيَّة ولا ندعو إليها ، ولا نعتبرها حلاً في إصلاح الواقع ، بل هي جزءٌ من الأزمة المسيَّسة في واقع الأمة المعاصر ، ونحترم الأفراد والعلماء والعقلاء ضمن الأحزاب والجماعات ، ونشاورهم في مصلحة الأمة وسلامة الديانة وإقامة شروط الأمانة ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ .
- لا نُسقِط فرضية الجهاد في سبيل الله ولا ننفي وجوده في عالمنا المعاصر ، ولكنَّا لا نُشارك مجموعاته الحزبية المُتَكَتّلة ، ونؤمن بأهميّته وضرورته للحصول على الحق المسلوب ، ولأنه وعدٌ استباقي قال عنه ﷺ: ((الجهاُد ماضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إلى أن تُقاتِلُ آخِرُ أُمّتي الدَّجالَ ، لا يُبْطِلُهُ جَورُ جَائرٍ ، ولا عَدلُ عادلٍ)) ، ولكن بالصفة التي تناولتها النُّصوص لا بصفتها المُسَيَّسة في الانقسامات والمُسَميات الحزبية على الخصوص .

ويُضافُ إلى ما سبقت الإشارة إليه ضرورة حَث جيلنا المعاصر من أتباع هذه المدرسة والطريقة أن يُرضِخُوا كآفة ما يطرأ على عقولهم من إشكالات ونقائض على علم فقه التحولات ، بعد دراسته والاطلاع عليه مرتبطاً بالعلوم الثوابت ، ففيه

ــ بعد دراسة ـــ حلولٌ عمليةٌ لِمَا تبثُّهُ المنافيخ المُسَيَّسة والعقول الدجالية المتربصة ، ومعالجة حَسَنة لأطراف الاندفاع بين الغلو والجفاء لدى جميع الفئات المتنوعة ، سواءً من (المدارس التقليدية كالمذهبية والصوفية والعلاقة بآل البيت) ، أو من مدارس الحزبية الإسلامية ، أو السياسية القومية أو الأممية ، أو غير ذلك ممن يُنَشَّؤُون من بين ثنايا ومفاصل التحولات المرحلية من جيلٍ إلى آخر .

فالإجابة السديدة كامنة في هذه الدراسة لا غيرها ، وأُؤكد على هذا الأمر وأجزم به ، ومن لم يفهم المقصود من هذا البيان فلا بد أن يقع الدراسة فريسة المدارس الأنوية وشبه الأنوية ذات العلاقة المُباشرة وغير المباشرة بفتنة المسيح الدجال الموعودة[1].ـ

عَلَمَنِي فِقْهُ التَّحولات :

أننا في حاجةٍ ماسّةٍ لسدّ ثغرات الشيطان في حياة أولادنا وحياتنا ؛

وما أُصيبت الأمة بما أُصيبت إلاّ بترك ثغرات الشيطان مفتوحةً على مصراعيها ، وهذه ــ أي سدّ الثغرات ــ مهمة الآباء والأمهات ثم المعلمين والمعلمات ثمَّ دُعاة المنابر وعقلاء المجتمع .. وهذه الثغرات التي نحن بصدد الحديث عنها هي مادة التفجير العاطفي والعقلي اليوم وقبل اليوم .

وقد استطاع الأوائل الاهتمام بشأنها منذ الصبا تتبعاً لتوجيه رسول الأمة ودعوته الغرَّاء التي جعلت التربية الأخلاقية أساس صلاح المجتمع ، وتبدأ مع نعومة الأظفار للناشئة : ((مُرُوا أَوْلادكُمْ بِالصَّلاةِ لسَبْعٍ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلى تركها لعشرٍ ، و وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)) .

((مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ)).

((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)).

---

[1] رسالةٌ شخصية ص (٤٥ ــ ٤٧) .

لقد حددت أحاديث الرسالة قضية الانتماءات المستقبلية للأجيال من داخل المنزل وعلى يد المربي والمعلم والأب .. مبينة تمرحل العقل والنفس والقلب وحاجة الراعي إلى ضرورة الملاحقة المستمرة للطفل في تناميه العمري والعقلي والعاطفي والاجتماعي . وبمقدار عناية هؤلاء بمسألة الوقاية والحفظ وتمتين مدلولات الأخلاق النبوية فإن الناشيء والناشئة يبتعد عن خطورة الانحدار في مساقات الانتماءات ، ذات العلاقة بالأنفاس الأجنبية يهودية أو نصرانية أو مجوسية ، والتي عَبَّر عنها الحديث في طرحه ووضوحه .

هذا فيما يتعلق بالآباء والأسرة ...

ثم تعود المهمّة الباقية على ما يجب أن يتم فيه التظافر الاجتماعي كالمدرسة والمساجد ومواقع الأنشطة ، وهذه المواطن رغم صُعوبة السيطرة على توجيهها في المرحلة المعاصرة ؛ ولا كن يمكن توجيه الأبناء والناشئة إلى المساجد والمدارس والأنشطة التي يمكن فيها الاستئناس إلى الجهات المشرفة عليها أو مشاركة العلماء وأهل السلوك والخُلُق فيها بحيث تكون مأمونة النتائج[1] .

عَلْمِيَّةُ فِقْهِ التَّحَوُّلات :

إنَّ فقه التحولات يعتني اعتناءً كبيراً بالمراحل المُتَقلّبة ويدرسها دراسةً وافيةً وواعيةً ، ولكن ليس من واقع الأحداث الجارية وثمراتها السياسية ، وإنما من واقع النصوص الشرعية كتاباً وسُنةً ؛

وبهذه القراءة النوعيةَ يتمَيَّز علم فقه التحولات عن بقية العلوم الشرعية والعلوم العقلية الوضعية ، ويتجرّد في بحثه وتقريره عن العواطف الناشئة بحكم القرابة والسلالة والقبيلة والجماعة والحاكمية والحزبية والطائفية والمذهبية المتشددة وغيرها ، حيث لا حكم في قراءة المراحل ومظاهرها وظواهرها وحملة قرارها

[1] الوثيقة ط٢ ص (٤٣ ــ ٤٤) .

ودعاتـهـا ورعـاة اسـتـقرارهـا واستثـمـارهـا إلا للـنـصـوص المختصــة بالــركن الــرابع مـن أركـان الدين ..

وهـذا الـركن الـشرعي أشـبـه ما يكون بالوعــاء أو الإطــار الــذي يـحفـظ الأمـانــة مـن العبث والتَّـلـوث ، ويـمْـنَع الـوجـوه الـمُـقَـنَّـعـة والـفـهـوم الـسياسيـة المُـصَـنَّـعـة من اختـراق الـديـانـة واختراق الأمـة .

ولأهـمـيـة هذا الأمـر وحساسـيته يحتاج هـذا العلـم الشرـعي إلى مَـلَـكَـه التـدرج في عـلى الركـن الثالث من أركـان الـدين ، وهـو علم الإحـسـان ، وهــو العلـم الـذي يضـبط الأمـزجـة النـفسيـة والـغرائز الـطـبـعـيـة عـند وقوعـهـا خـلال دراسـة علـم فقـه التحـولات في شيءٍ مـن مظـاهـر التحدي أو ظـواهر التعـديل ، ويـظل الإسـلام والإيــمان والإحســان مُصانــاً بـالأدب الشّـرعي ومُـعترفاً بـه وبثـمـرات مـمـارسته وتـطـبيـقـاتـه في الأمـة المسلمـة ، فلا يُكشف سـتر مسـلم ولا يُـنْـتَـقَـص شـرف مؤمــن ، ولا يُـحكَم عـلى ظــواهر السـلوك بـالظنون ، ولا بمــا تُفرضـه الـحوادث المُسيَّـسـة ،

وإنمـا تُصـدَرُ الأحـكـام في فقه التحـولات باسـتقراء النـصـوص المناسـبـة وحُسن مطابقـتهـا لقـول من لا ينطق عن الهـوى ﷺ ، مـع الاسـتفادة والاسـتيـنـاس بـمـا خـدمـه العلـماء في تنـاولهم لعلامـات الساعـة ، وشـرح مـا عرفـوه من التعليل والتحليل[1] .

عَـلَـمَيِ فِقْهُ التَّحَوّلات :

أن الطائفة المنصورة لا تنطوي تحت ظلِّ سياسـةٍ مُـعاصرةٍ ولا نظامٍ قائمٍ ولا حزبيـةٍ أو فئـويـةٍ مُـسَـيَّـةٍ ؛ وإنما هم عباد الله الصابِرون الصالحون في كُلِّ موطنٍ وأُمَّـةٍ :

لا تجمعهم سياسـةٌ مُحددةٌ ، ولا مذهبٌ مُعيَّنٌ ، ولا إطـارٌ مُسَيَّـسٌ ، ولا مُسَـمًّى خـاصٌّ ، أتقيـاءُ أخفياء يحفظ الله بهم عباده ، ويصونُ بهم ميراثَ النُّبوَّةِ حتى يقضيَ الله أمـراً كان مفعولا .

---

[1] الإقليـد ص (٦٠ ــ ٦١) .

وإن برزَ أحدٌ منهم أو جماعةٌ بِمُسمَّى الجهاد فعلامتهم إقامةُ الجهادِ الشرعيِّ على وجهه الصحيح بعيداً عن تسييسِ التحولات والتكتلات وسياسةِ المُنظمات والجماعات المشبوهة المخترِقةِ .. والله أعلم[1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات:

الأدب مع أمة الحبيب ﷺ وعدم رمي الأمة بالتشريك والتبديع فالتشريك للأمة تهمةٌ باطلة لا أساس لها ولا مستند ؛

لأن الذي جاء بالتوحيد هو النبي ﷺ والذي حصَّن الأمة من الشرك هو أيضاً النبي ﷺ وقد وردت أحاديث كثيرة ترد وتدحض تهمة الشرك عن الأمة المحمدية منها :

١) عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أنَّ النبيَّ ﷺ خرج يوما ، فصلَّى على أهلِ أُحُد صلاتَه على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال :{ إني فَرَط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني واللهَّ لأَنْظُرُ إلى حوضي الآن، وإني أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض– أو مفاتيح الأرض – وإني واللهَّ ، ما أخاف عليكم أن تُشْرِكوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تَنافَسُوا فيها }

وفي رواية قال : « صَلَّى رسولُ الله ﷺ على قَتْلى أُحُد بعد ثمان سنين ، كالمُوَدِّع للأحْيَاءِ والأموات ، ثم طَلَعَ على المنبر ، فقال : { إني بين أيديكم فَرَط وأنا شَهيد عليكم ، وإنَّ مَوعِدَكُم الحوضُ ، وإني لأنظر إليه من مَقامي هذا ، وإني لَستُ أخشى عليكم أن تُشرِكوا ، ولكنْ أخشى عليكم الدنيا أن تَنَافَسُوها}. قال عقبة : « فكانت آخرَ ما رأيتُ رسولَ الله على المنبر ».[2]

٣) وأعظم دليل لمن وعى انتفاء الشرك من هذه الأمة ما رواه البخاري عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قالﷺ : { هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم

---

[1] الأسس والمنطلقات ص (٣٢٧ ــ ٣٢٨) ط ٣ .

[2] أخرجه البخاري ومسلم.

القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها..الخ }[1]

فالأمة لا يُلصق بها شرك أكبر مُخرج عن الملة والعياذ بالله . إهـ[2]

٤) جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : { إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم }[3] .

وفي روايةٍ أُخرى {إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه ولكن رضي منكم بما تحقرون }[4]

٥) عن سعيد بن المسيب عن علي وبن جريج عن أبي الزبير عن جابر قالا : قال رسول الله ﷺ :{بني الإسلام على ثلاثة : أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب ولا تشهدوا عليهم بشرك ، ومعرفة المقادير خيرها وشرها من الله ، والجهاد ماض إلى يوم القيامة مذ بعث الله محمدا ﷺ إلى آخر عصابة من المسلمين ، لا ينقض ذلك جور جائر ولا عدل عادل}[5]

٥) عن عمرو بن الأحوص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع :{ أي يوم هذا ؟ } قالوا : يوم النحر الأكبر ، قال :{ فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، ألا لا يجني جان على نفسه ولا يجني جان على ولده ولا مولود على والده ، ألا وإن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم فسيرضى به} .[6]

---

[1] رواه البخاري

[2] الزوبعة العاصفة ص (٥٠) .

[3] اخرجه مسلم .

[4] رواه أبو نعيم عن أبي هريرة) الذي في الحلية (٧/ ٨٦) عن أبى هريرة أو عن أبى سعيد الخدري بمعناه . ثم رواه بإسناده إلى أبى هريرة من غير شك ولم يذكر لفظه وأحال على ما قبله . وأخرجه أيضا : أحمد (٢/ ٣٦٨ ، رقم ٨٧٩٦) ، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٣٢٢ ، رقم ٢٨٥٠) . قال الهيثمي (١٠/ ٥٤) : رجاله رجال الصحيح .

[5] المعجم الأوسط – (ج ٥ / ص ٩٥)

[6] رواه ابن ماجه والترمذي وصححه

ومع ذلك فبين الفينة والأُخرى يخرج علينا خارجٌ يـدعي الغـيرة عـلى ديـن الله والخـوف عـلى بـلاد المسلمين من عودة الشرك إليها !!!

ولعل أمثال هؤلاء قد غفلوا عن حديث رسول الله ﷺ الذي أوضح لنا مصدر الخـوف الـذي كـان يخاف على أُمته ،

٦) فعن عبادة بن نسي قال : دخلت على شداد بن أوس رضي الله عنه في مصلاه و هو يبكي فقلت : يا أبا عبد الرحمن ما الذي أبكاك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ فقلت : و ما هو ؟ قال : بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني فقلت : بأبي و أمي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهك ؟ قال :{ أمر أتخوفه على أمتي من بعدي ؟} قلت : و ما هو ؟ قال : {الشرك و شهوة خفية } قال : قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال :{ يا شداد أما أنهم لا يعبدون شمساً و لا قمراً و لا وثناً و لا حجراً و لكن يراؤون الناس بأعمالهم } قلت : يا رسول الله الرياء شرك هو ؟ قال : { نعم } قلت : فما الشهوة الخفية ؟ قال : {يصبح أحدكم صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر }[١]

أما ما يدندن عليه عساكر النقض والقبض ،وينفعلون من أجله فهو على أحد أمرين :

- غيرةٍ على التوحيـد يجـب الاسـتفادة منهـا بـالنظر في تصـحيح كافـة الإفراطـات اللفظيـة والعملية . وتوجيه عامة المسلمين إلى السلامة في العقائد بالحكمـة والموعظـة الحسـنة دون لجاج أو إحراج .
- استتباع لسياسة الخوارج في حمل الشبه على المصليين وتكفيرهم بها واسـتثمار هـذا الصـراع لإقصاء آل البيت والصوفية والمذهبية عن موقع التأثير الروحي والاجتماعي ليصـفو الجـو والزمان لمروجي التكفير والتبديع وأكل المـال الحـرام والمعـاملات البنكيـة الربويـة وشـبه الربوية وغمط حقوق الشعوب من العمال والمصلين والسخرية بهم مقابل خدمة التوحيـد السياسي المندرج ضمن علامات الساعة [٢].

---

[١] هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه المستدرك على الصحيحين

[٢] أهـ الأسس والمنطلقات ص (٢٨٦)

فهل هناك أوضح من هذا البيان ؟

فقد نفى رسول الله ﷺ وقوع الشرك وعبادة الأوثان والأحجار من بعده وكل ما خاف منه هو الرياء ، فهل نُصَدِّق رسول الله ﷺ أم نركن إلى إرجاف المرجفين وأوهام المتنطعين ؟![1]

٧) وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد ابن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب البجلي في هذا المسجد أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حدثه قال : قال رسول الله ﷺ { إن مما أخاف عليكم .رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله ،انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك } قال : قلت يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي ؟قال : { الرامـــي }[2]

إذاً فظاهرة التشريك والتبديع قد برزت جليةً في عصر الغثائية بحيث صارت علاقة الدنيا وقطيعة التشريك والتبديع صفتان متلازمتان .

فالرسول ﷺ أشار إلى اطمئنانه حول الخوف على الأمة من الشرك ، إنما يبعث برسالة إلى مستقبل الزمان لمن يمتطي الشبهة والحرام ، ويملك أسباب الدنيا وهي : أن الوسيلة المتخذة في هذه المرحلة من الخوف أو القلق الصوري على الأمة من الوقوع في الشرك باطلة من أساسه ، وإنما حقيقة الأمر عند التمحّص لا يتعدى المنافسة على الحكم والمظهر والجاه والتملك وقد كشف الله لنبيه ما سيصل إليه حال الأمة في هذه المرحلة الخطيرة ولبّى رسول الله ﷺ نداء الأمة المتهمة عند بعض الفئات وإبراز الحقيقة الناصعة ، ولكن مع هذا البيان النبوي فهناك من يستغرب نفي الرسول مادة الشرك عن الأمة مع وجود بعض الظواهر المشيرة إليه لدى بعض المسلمين .

---

[1] إهـ من (لا ذرائع لهدم آثار النبوة) ص (٢٦ ـــ ٢٧)

[2] إسناده جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرمَ بشيء سوى الإرجاء وقد وثقه أحمد بن حنبل ويحي بن معين وغيرهما وحسّنه أيضاً الهيثمي في (المجمع) كتاب العلم باب فيما يُخاف على الأمة (٨٩٠) إهـ من تفسير ابن كثير ج ٢ ص (٣١٣ ـــ ٣١٤) ط المكتبة التوفيقية

والجواب الحاسم :ــ

أن الظواهر القائمة لدى بعض المسلمين ليست شركاً ، وإنما هي حالةٌ من حالتين :

إما إفراط أو تفريط ، وكلا النقيضين عِلـةً في وجه الأمة المحمدية ،

وللإفراط والتفريط معالجات شرعية ، وأهمها: نشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة ، وفي مدرسة الإسلام ما يغني الصادق عن تكفير الأمة ؛

إلا أننا نعتقد أن كلا النقيضين إذا برزا في شرائح المجتمع وصار لهـما مـن يغـذيهما فهنـاك علـةٌ أُخرى أكبر من الإفراط والتفريط وهي : السياسة .[1]

إذاً عرفنا مما سبق أن كافة الأقاويل والتُّهم الناطقة بالتشريك في الأمة لا أصل لها من أساسها وما بُني على باطل يكون تناميه ومرقومات أصحابه جزءٌ من الباطل ؛

حيث لا شرك موجب للكفر أو الخـروج عـن الملـة حيـث أن المقـررين تهمـة الشرـك الأكـبر عـلى المسلمين أنما برروا وضع سيوفهم في أعناق المصلين كي يسيطروا على مواطن القرار والحكم عنـدما اجتاحوا أطراف الجزيرة بالسلاح .[2]

فالذي حصل بالأمة إنما هو إفراطٌ وتفريط عند الجماعات والطوائف والفِرق والمذاهب ..

فالإفراط :ــ

هو الغلو ا ومنه ((ما نهجته مدرسة التبديع والتشرـيك)) عنـدما أفرطـت في إصـدار الأحكـام .. ونماذج الاتهام .

والتفريط :ــ

هو الإسقاط والتخلي عن الثوابت ومنه أيضاً ((ما نهجته مدرسة التفريط باحتضـان الربـا والإتبـاع لليهود والنصارى في شؤون الاقتصاد والتربية والتعلـيم والإعـلام وهـذا النظـر مـا سـمي بطـرفي الإفراط مخرج سليم للأمة كي تعالج من خلاله طرفي النقيضين وتعود إلى سلامة الوسطية الشرـعية والاعتدال الواعي بديلاً عن هذه الهجمات والتهمات وتسخير الأمـوال والطاقـات وتجنيـد المـدارس

---

[1] إهـ باختصار من التليد والطارف ص (٢٩٩ ــــ ٣٠٠) .

[2] إهـ الزوبعة العاصفة (٤٩ ــ ٥٠)

والجامعات والدعاة والداعيات لحربٍ لا منتصر فيها غير الشيطان والكفر والدجال ، وهم الثلاثة الحُلفاء .[1]

فعرفنا مما سبق أن التشريك تُهمةٌ مُصَنَّعة لا دليل عليها ولا أساس لوجودها في أمة سيدنا محمد ﷺ وإنما هي مؤامرة الحُلفاء ، وخذ مني الدليل الحق إن كنت من أهله : فقد روى ابن أبي شيبة في (المصنف) برقم(٣٨٩٠٣) حديثاً عن عبد الملك بن أبي سليمان قال سئلت أبا جعفر هل في هذه الأمة كفر ؟ قال (لا أعلمه ولا شرك) قلت فلماذا ؟ قال : (بغيٌ)

ويؤيد ذلك ما روي أن علياً رضي الله عنه سُئِل عن أهل الجمل قال قيل أمشركون هم ؟ قال : { من الشرك فرُّوا } قيل منافقون هم ؟ قال : { إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً } قيل فماهم ؟ قال : { إخواننا بغوا علينا }[2]

ويؤيد هذا المعنى حديث رباح بن الحارث قال : كنت إلى جانب عمار بن ياسر في صفين وركبتي تمس ركبته فقال رجل كفر أهل الشام فقال عمار : لا تقولوا ذلك . نبينا ونبيهم واحد وقبلتنا وقبلتهم واحدةٌ ولكنهم قومٌ مفتونون جاروا عن الحق فَحُقَّ علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه . وفي رواية لا تقولوا كفر أهل الشام ولكن قولوا فسقوا ظلموا .. }[3]

---

[1] إهـ بتصرف من الزوبعة ص (٥١)

[2] المصنف رقم(٣٨٩١٨).

[3] المصنف ٣٨٩٩٦) اهـ من النمط الأوسط ط٢ (١٨٤ ـــ ١٨٥).

وأخيراً : تصحيح فتنة التشريك للمسلمين :ــ

يقول سيدي العلامة / أبو بكر العدني بن علي المشهور في كتابه الأسس والمنطلقات : لا شك أن التصحيح والإعادة يتمُّ بأمورٍ :

أولها :ـــ رد شبهة الشرك الأكبر عن أمة محمد ﷺ وخاصةً شبهة الشرك المؤدية إلى استحلال الدماء والأعراض وإلصاق تهمة الشرك الأكبر وإثارة الفوضى بها في عموم بلاد المسلمين كما قد حصل .

ثانيها :ـــ أن كافة الآيات والنصوص التي استدلت بها هذه المدرسة (أي مدرسة التبديع والتشريك) لا تنطبق على المسلمين المصلين وإنما موقعها الصحيح مرحلتين :

الأولى :ــ مرحلة الشرك الجاهلي التي حاربها رسول الله ﷺ وانتهت بفتح مكة وإخراج الأصنام من الكعبة ومن كافة المواقع الأخرى في جزيرة العرب فيما بعد ذلك وانحصرت بعد ذلك في من بقي من مشركي العرب ومن يرفض الإسلام من اليهود والنصارى والأمم الكافرة .

الثانية :ـ مرحلة العودة إلى الجاهلية الصريحة فيما بعد موت عيسى عليه السلام .أهـ[1]

[1] من الأسس والمنطلقات

الباب الحادي عشر

باب : المرأة في فقه التحولات

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ :

أنّ المرأة هي الضحية الأولى في تاريخ الطموح ..والسُّلَّم المتحرك في سوق النَّخَاسة .. والمخلوق المحبب في شهوات الذات ..

والكل مُستثمر لهذا المثال والرمز ــ وكما سبق القول ــ الضجيج لا يسمح بالإفصاحَ ولا بالاستماع .. وربما صار العقل والعدل في قواميس مرحلة الضجيج أن تستمع إلى الضجيج .. أو أن تصم أذنيك تماماً .. وكل هذا على حساب عِزّتك ووعيك ودينك أن كنت أهلاً لذلك ..وإن لم تكن كذلك .. فما أنت إلَّا سُخْرة أو بَهيمة في زرائب التَّهجين شئتَ أم أبيت ؛ بل ربما كلنا كذلك إلَّا من حفظ الله من عباده ، وقليلٌ مَا هُم .

والمرأة قد صارت جُزءاً من خُطَّةِ التسييس وخَلْطة التدنيس ، بل صارت أسساً من أُسُسِهِ .. وهي كذلك منذ أن لَفَتَ إبليس نظره إليها في عالم الجَنَّة ورأى فيها المخلوق الأنسب لاستثمار العاطفة وإثارة الطموح وقبول الرأي الإبليسي البديل منذ ذلك الحين ، إلا أنَّ حوَّاء الأم قالت كما قال آدم: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وبدأت مرحلةً إيجابيةً جديدةً على واقع الكوكب الأرضي .

أما حوَّاء المرحلة فماذا تقول ؟.. وماذا صار يُملي عليها وسواس الشيطان المطوَّر..

إنها تقول بلسان الحال والمقال : ((ربنا ظلمتنا)) ، ويقول المُنَظِّرون والمفكِّرون العَلْمَانِيون : ((المرأة مظلومة في الأديان ، ولا بدَّ من النظر في تحريرها وإعادة كرامتها ، وأن يكون أمرها بيدها لا بيد غيرها)) ، فضاعت الحقوق واختُرِقَت الوظائف ، وتحقق لإبليس مطلب الخروج بديلاً عن الالتزام الشرعي فخرجت حوَّاء وآدم من الجنة بتغليب الطَّبع على الشرع ، وخرجت المرأة عن طاعة الله في الأمر والنهي بتغليب الطبع على الشرع ، وتخلت عن الحجاب ثم

الحشمة بتغليب الطبع على الشرع ، وخرجت عن بيتها ومؤسستها الخاصة إلى مزاحمة الرجل على غير ضوابط بتغليب الطبع على الشرع ، وتبوأت أعلى مناصب الرجولة على حساب مناصب الأنوثة بتغليب الطبع على الشرع ، ثم أدانت الشرع كلّه ونظرت إليه في طباع الرجال وطموح النساء ، فضاعت الديانة ، وتحققت الخيانة بتغليب الطبع على الشرع وهكذا دواليك ..

إن كلّ هذه المواقف هي من تأثير الأنوية الإبليسية ، وخصوصاً في المرأة التي لم تتلقَّ التربية الأبويَّة منذ نعومة أظفارها ، وهذا هو إشكالنا الخطير .

فَعِلَّةُ المرأة في العصر الأخير انعدام التأثير الأبوي الشرعي منذ الصِّبا ، وهي أيضاً عِلَّة الرجل ، وبهذا الانعدام بدائل الثقافات والرؤى المتنوعة التي تعلق مع مرور الزمن في العقل المفتوح فتصبح جزءاً من السلوك والمواقف ، ومن المعلوم أن كثيراً من الثقافات المرئية والمسموعة إنما هي ثقافاتٌ مُوجَّهة وذات أبعاد فكرية يُقصدُ منها زعزعة الثِّقة بالموروث الشرعي إهـ[1] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

أنَّ الحقَّ المشروع للمرأة مكفولٌ في الإسلام إذا رغبت المرأة في تحقيق مَطْلبها المشروع إذ لا حقَّ لها مَكْفُولٌ ولا للرجل في غير الإسلام ؛

فالأفكار الوضعية والقوانين الدولية والضوابط القانونية في غالبها توليفٌ عقلاني يتلاءم مع الأوضاع القائمة بحسب العلاقة الفكرية بالسياسات العالمية ومدى تأثيرها في الأمة .وحتى يومنا هذا إذا نظرنا إلى المرأة من واقع الحقَّ المشروع لها في الإسلام نجد أن كافة القوانين الوضعية لم تكفل لها مطلباً سلبياً سديداً بقدر ما كفلت لها التنافس مع الرجل وتعطيل وظائفها ووظائفه .. وهذا مطلب الشيطان في البشرية .. يُخرجهم من حدِّ الاعتدال في المواقف والوظائف إلى طرفي الإفراط والتفريط ، وهما الطرفان اللذان يعيش الشيطان منتصراً بهما في الإنسان[2] .

---

[1] المواجهة السافرة ص (٥٥ ـ ٥٨) .

[2] المواجهة السافرة ص (٥٩ ـ ٦٠)

عَلَّمَني فِقْهُ التَّحَوُّلات:

أن أُدين ظاهرة الخروج الدائم من النساءِ الغريرات من منازلهن والتضايُقِ المُستمرِّ من المُكثِ داخل البيت .

وشعورِهِنَّ بالانقباض وجَوِّ السجنِ الإجباري عليهن إن طالبهن أحدٌ من الأسرةِ أو من غيرهم للجلوس في المنزل والاستفادةِ من الوقت بما يناسبُ ، فالعادة التي غرسها الحياةُ الجديدةُ بدءاً من تشجيع الخروج إلى المدرسة ثم المشاركات الثقافية والرياضية وغيرها قد كوَّنت عازلاً خطيراً لدى الفتيات عن حياة المنزلِ والأُسرةِ ، بل وكونت لدى البعض الآخر عُقدةَ الشُّعورِ بالإحباط أمام الأسرة المُشار إليها من وجهة نظرِ الأبناء والبنات ، وكراهية كُلِّ شيءٍ يَمُتُّ إلى الآباءِ والأمهاتِ والأُسرةِ والعادات والتقاليد مما يؤدِّي في المقابل إلى كوارثَ خطيرة في العلاقات ومن ذلك

١) إضاعَةُ دورِ المنزلِ الإيجابيِّ في المجتمع .

٢) حصولُ ظاهرةِ الكراهيةِ للمنزلِ وما يتعلَّقُ به .

٣) اندفاع الغريراتِ إلى صراعِ الحياةِ قبل النُّضجِ التَّامِّ .

٤)الانخراطُ في التجاربِ الخاصَّةِ ، والميولِ الذاتيِّ مما يُؤدِّي إلى ما لا تُحمَدُ عُقباهُ [١].

عَلَّمَني فِقْهُ التَّحَوُّلات:

أن المنزل في الإسلام أعظم المؤسسات المنتجة والمثمرة إذا كانت الزوجة والزوج على درايةٍ شرعيةٍ بهذا الموقع الحساس ،

وعندهم من الوعي الديني ما يجعلهم على اهتمامٍ وحذرٍ كامل لحماية هذه المؤسسة التربوية التعليمية من كافة الدسائس والوساوس والمخادعات التي يبثها الشيطان وجنوده لتقويض صرح هذا المكان الهام أو إفساد وظائفه وتفريغه من محتواه .

لقد صارت قضية تربية المرأة وقضية بناء المنزل على الصفة المقررة في الإسلام أهم قضايانا المعاصرة ، وهي الآن أهم محاور المعركة المصيرية بيننا وبين الشيطان ، وقد استطاع إبليس الرجيم أن

---

[١] التبصرة الدعوية ص (٩١) .

يُسقِطَ كثراً من البيوت ، ويُحولها إلى مواخير لهوٍ وعبثٍ وإضاعة أوقـاتٍ ومواقـع شـهوات ، واندك بهذا الفتح السلبي كيان المرأة وكيان الرجل وكيان الإسلام .

وإذا ما بذلنا جهدنا وقدرتنا لإعادة تحصين المنزل والمرأة ولو بنسـبٍ متدرجـة فـنحن بـلا شك سنكسب المعركة لصالح الأخلاق والقيم وبناء المجتمع المثالي الشرعي المطمئن .

فالمعركة معركة أخلاق ، وأيُّ ديانةٍ أو تديُّنٍ من غـير أخـلاقٍ فهـو طبـلٌ أجـوف ، وأيُّ مُجتمعٍ لا يعتني بالأخلاق في محاضنها الشرعية فهو مجتمعٌ دجاليٌ شيطانيٌ أنويٌ إبليسي .

والإسلام يضع المرأة كما ذكرنـا سـلفاً العنصرـ الأول في بنـاء الجبهـة الداخليـة للأمـة ، والجبهة الداخلية الأولى : المنزل ..والمشكلة المعاصرة أن إبليس الرجيم غزا المرأة والمنزل معـاً بوسائله ، حتى صار الجيل يبحث عن المرأة في مواطن اللذة ومواقع العمل ومدارس الـتعلم ليُحَقق مشروع الأنوية الأنثوية ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ .

وقد استشرت علة هذا المشروع في عصر هيمنة الكفـر والكـافر ، وازدادت فاعليـة سياسـته وساسته وهذا المشروع هو عين دمار العالَمين العربي والإسلامي من قواعدهما .

إن معركتنا مع العدو لا تبدأ بالسلاح ولا تنتهي بالهزيمة والاستسلام .. وإنما تبدأ بالمنازل والنساء والأطفال والحياة الخاصة والهوايات والرغبات والأماني ، وتنتهي بانتقال كلٍ منا إلى عالم الآخرة إما محسناً أو مُسيئاً ، والعياذ بالله ، وإذا كان العدو هو الـذي يرسـم لنـا مطالـب المنزل ومطالب المرأة والطفل ، ومطالب حياتنا الخاصة وهواياتنا ورغباتنـا وأمانينـا ، فـنحن أمةٌ مهزومة دون الحاجة لإقامة الحروب ، بل ربما صارت الحرب بعد هذا كله مُجَـرَّد امـتلاكٍ للرقاب واستعبادٍ إضافي لموجودات الشعوب وليس لذواتهم ..

وهذا ما تعيشه بلاد المسلمين اليوم وتُعاني من ويلاته . إ هـ[1] .

[1] الوثيقة ط ٢ ص (٦٣ ــ ٦٥) .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلاتْ :

وأرشدني إلى مسألةٍ هامّةٍ في حياة المرأة المسلمة ذات العلاقة بالغَيرَةِ على الإسلام والراغبة في تأدية دورها بسلامٍ ؛

ومن تُرِد أن تتعرّف حقيقةً على دينها الخالي الصافي من الشوائب والصراعات والخلافات المفسدةِ ؛

فلتَتَّبع التوجيهات التالية :

١ ــ تبحث أول مراحل طلبها للعلم الشرعي عن شيوخ الإسناد أهل العلم من صدور الرجال الصالحين المرتبطين بأهل النمط الأوسط ، وتجتنب العلماء المضلين الذين وصفهم النبي ﷺ بأنهم علماءُ الفتنة ((أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون)) ، وهم في الغالب علماء التسييس الذين يخدمون مصالح الدنيا بالآخرة ومن علامتهم :

الكذب ، والرشوة ، والتساهل في الطاعات والعبادات ، وسوء الظنِّ بالناس ، وإدخال العلم كل مَدخلٍ من أجل الدنيا.

٢ ــ تتجنب طلب العلم من الواقعين تحت التأثيرات الحزبية دينيةً ودنيويةً ، أو ممن يشتغلُ بالصِّراع السياسي والبحث عن السُّلطة والكراسي ، فهؤلاء في الغالب يُوَظِّفون نصوص العلم لصالح الفئات والكتل والأحزاب ولو على حساب المصلّين.

٣ ــ لا تأخذ العلم عمن شغل نفسه ولسانه بإلصاق تُهَمِ التشريك والتكفير للمسلمين عَلَناً في المنابر أو الجرائد والصُّحف والمؤلفات المتنوّعة ، وخاصةً المُتَّخذين من الشُّبه والمتناقضات الفقهية والمذهبية وسيلةَ نَبْذٍ وإثارةٍ بين المصلين ، لأنهم واقعون تحت تأثير مدرسة القبضِ والنَّقضِ الغُثائية ذات العلاقة المباشرةِ بعلامات الساعة .

وكل هذه النماذج لا تحملُ منهج السلامة الصحيح ، وربما حملت نصيباً من المعرفة والعلم الموجّه لخدمة التحريش والمنافسة .

٤ــ تبحث عن البـديل الصحيح في الأخـذ والتلقي للعلم الشـرعي الأبوي النبوي ، وهـم : أهــل الله ، ومن ظـواهـر سلوكهم : السلام ، ومن علامتهم :

- حفظ ألسـنتهم عن اللـغوِ والغيبـة والنمـيمـة والبَهتِ والكــذب وغيرهمـا مـن معـاصي اللسـان ؛

ملـتزمـين المعاني الشـرعيـة فيما بينهم وبـين أمثالهم وأشباههم من أهل التوحيـد والـديانـة بـقولــه ﷺ : ((المسلم من سَلِمَ المسلـمون من لسانه ويـده)) ، ((المُسلمُ أخـو المسلم لا يظلمه ولا يسلُـبُــه ولا يخذلـه، بحسب امرئٍ من الـشَّـرِّ أن يحقـر أخـــاه المسـلم)) ، وهـــذا التعيـين النبـويُّ منـوطٌ في النَّـصِّ بعموم المسلميـن ، فكيف بمن كان عالمـاً وأميناً على ميراث النبوّة في الأمـة ، أو متمثِّــلاً لــه متحدثاً باسـمه ؛

- ومن علامـات أهل منهج السلامــة أنهـم يُشـغلون أنفسـهم وتلاميـذهم بعــد التزكيــة والعبادة بـدروس التفـقـه في الدين وعلوم القرآن والحديث والسيرة النبوية ولكن بالسـند المتصل إلى النبي ﷺ .

- ومن سمـات أهل منهج السلامـة التزامهم بإقـراء القرآن حفظاً وتفسـيراً وتــدبراً لأجـل الاقتـداء بـه والاهـتداء بما جاء فيه ، ولا يشتغلـون بما يتكلم بـه أهل الفـتن والإحـن مـن المتناقضـات وفقه التناقضـات المفضي إلى التباغض والأحـقـــاد ، أمـــا أهــلُ الفتنــةِ فـلا شُغلَ لهم إلا إثـارة الإحـن بيـن الناس وفتح باب الجــدل في المختلـف عليـه والمسـكوت عنه ، حتى ترى طـالب العلم يعود إلى أبيـه وأُمـه ليجـادلهم في متناقضات الـولاء والعمل والعقيـدة ، فيُشـاعُ بذلك الشـكُّ والقلـق والاسـتخفاف ، ويصـطاد المفســدون للــدين والأمـة في هـذا الماء العكر .

- ومن سمات أهل منهج السلامة أهل الله : إعذارُ الناسِ في مذاهبهم ومفاهيمهم ولا يستهزؤون بأحدٍ أو يستقصونه بذاته بل يحترمون الرأي الشرعي وإن خالفهم في المَشربِ والمَذهب .إهـ[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوّلات :

أنَّ توجيه النبي ﷺ في قوله : ((تَصدقنَ فإنِّي رأيتُكُنَّ أكثر أهل النارِ)) ، المقصود منه هو تذكير المرأة بما عليها من واجبٍ للحذر من أسباب النار ، ولعل جُزءاً من الأسباب ما أشار إليه الحديثُ : ((تَكْفُرنَ العشير)) ، وفي رواية :

((تُكثرنَ اللَّعنَ وتَكفُرنَ العشيرَ)) ، وهذه إشارةٌ إلى أهمِّيَّةِ موقعها الخاصّ بالتربية وبناء المنزلِ ، والعشيرُ الزَّوجُ ، وفي الحديثِ مَلحَظٌ هَامٌّ لما عليه بعض النساءِ مِن نُكران الجميلِ الذي يبذله الرجل لاستقرار حياتهِ وحياةِ زوجتهِ وأولاده ، ويتكلف في سبيل ذلك الكثيرَ الكثيرَ ، فيكون في الغالب جزاؤه من زوجته ساعة غَضَبها وانفعالها أن تنفيَ كُلَّ خيرٍ فَعَله ، وقد حدَّدَ الرسول ﷺ ما تقوله الأنثى لزوجها ((لو أحسنَ إلى إحداكُنَّ الدَّهرَ ثُمَّ رأتْ منه شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قطُّ)) إذاً فيجب على المرأة أن تسلك طريق الأمان في حياتها باستماع النصح النبوي ، حتى لا تخسرَ الموقفَ يوم القيامة ، ومن النُّصحِ النَّبويِّ قوله ﷺ : ((تصدَّقنَ)) ، والصدقة ــ كما ورد ــ تُطفِئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماءُ النارَ ، وعلاقة الصدقة بالمرأة في هذا المقام كعلاقة الماء بالنار ، فقد شبَّه النبي ﷺ (الصدقة) بالماءِ ، فلا شَكَّ أنَّ لها دوراً عظيماً في غفرِ ذنوب المرأةِ بعد وقوعها في الخطأ بكُفرانِ العشير وكثرة اللعن .

ونذكر المرأة المسلمة أنَّ لها وظيفةً شرعيةً في البناء التنموي فهي : (وعاء) يحفظُ للبشريةِ شرف السُّلالاتِ وصونَ عِفَّةِ البنينَ والبنات ، وصياغة وعي الأمهات ، وبالتزامها بهذا المدلول تفتحُ طريقاً واسعاً للأمن الأُسريِّ والاجتماعيِّ ، وتُعيدُ صياغة التوعية للأجيالِ على مُراد اللهِ ورسوله في الحياتين الدنيوية والأخروية[1].

---

[1] بتصرف واختصار من التبصرة الدعوية بشرح المنظومة النسوية ص (٧٠ ــ ٧٦) .

أن الدين الإسلامي ميَّز النساء بالتوجيهات في أُخريات الزمان ؛

ومن هذا الباب المتحوِّل في أُخريات الزمان لم يَزَل ﷺ يحثُّ النساء في كل عصرٍ وجيلٍ وأُمَّـةٍ على الاستقامـةِ والحفاظ على ثوابت الدين ، كمثل إشارته ﷺ في الحديث : (إني رأيتُـكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ) ..

وما كانت الأكثريـةُ في النار إلا لشمولِ المخالفـةِ والعصيان المؤَدِّي إلى التَّفَـحُّمِ في نـار جهنَّم ، ولسهولـةِ الأخذِ بهن من الشيطان إلى خدمـة مشاريعـه الأنويـة في البشريـة ، ولأن النساء شقائق الرجال فالدين الإسلامي أكثر حرصاً عـلى الواحـدةِ مـن النسـاءِ عـلى نفسـها كحرصـه عـلى الرجـل المسـلم مـن نفسِـه ، ويؤكِّـد ذلـك قولـه تعـالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[٢].

---

[١] التبصرة الدعوية بشرح المنظومة النسوية ص (٢٦٥ ــ ٢٦٦)

[٢] إهـ من كتاب : التبصرة الدعوية ط١ العام ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م ص [٤١ــ ٤٢].

الباب الثاني عشر :

باب : مداخل الفساد الأساسية على الأمة

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتْ :

أن الفساد دخل علينا بصفةٍ عامةٍ من عدة جوانب ونواحٍ كثيرة كما أخبرنا بذلك الحبيب المصطفى ﷺومن هذه الجوانب و أعظمها ثمانية أشياء :ـ

١) ضياع الأمانة

٢) التوسيد

٣) التحريش

٤)التنافس

٥) النقض والنقائض

٦) القبض

٧) التداعي

٨) الوهن .

فالأول التوسيد :ـ

وهو دعم المخالف ووضعه في مكان القرار بديلاً عن صاحب الحق ؛ وهذا التوسيد مأخوذٌ أيضاً من حديث النبي ﷺالذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال : بينما رسول الله ﷺفي مجلس يُحدِّثُ القومَ ، جاءَهُ أعرابيٌّ فقال : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدِّثُ ، فقال بعض القوم : سَمِعَ ما قال ، فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يَسمع ، حتَّى إذا قَضَى حديثَه ، قال : { أين السائل عن الساعة ؟ } قال : ها أنا يا رسول الله ، قال : { إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة } . قال : كيف إضاعتُها يا رسول الله ؟ قال : { إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غير أهله فانتظر السَّاعة }[١].

---

[١] أخرجه البخاري.

وضياع الأمانة في كافة الأحوال سببه نقض العرى ، ونقض العرى يبدأ بنقض الحكم وصورة النقض في هذه الحالة أن يوسَّد الأمر إلى غير أهله ، والإسناد إضافة الشيء إلى الغير فإن كان الإسناد صحيحاً استقامت العُرى وتماسك المجتمع ، وإن كان الإسناد خطأ انفرطت العرى وتشتت المجتمع وزاد الفساد أ هـ[1]

والثاني ضياع الأمانة :ـ

وهي مشتقةٌ من الإضاعة المعتمدة كثمرة من ثمرات التوسيد المسيس ؛

وهذا مأخوذٌ من حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال : بينما رسول الله ﷺ في مجلس يُحَدِّثُ القومَ ، جاءَهُ أعرابيٌّ فقال : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحَدِّثُ ، فقال بعض القوم : سَمِعَ ما قال ، فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يَسمع ، حتَّى إذا قَضَى حديثَه ، قال : « أين السائل عن الساعة ؟ » قال : ها أنا يا رسول الله ، قال : « إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة ». قال : كيف إضاعتُها يا رسول الله ؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غير أهله فانتظر السَّاعة ».

فالفساد الذي دخل علينا أساسه : انتزاع الأمانة ، وهذه الأمانة هي كافة مظاهر المسؤولية التي استرعى الله عباده وهي التي أشفقت من حمل ثقلها السموات والأرض والجبال ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢

وكان رسول الله ﷺ يشير إلى أصحابه بثقل الأمانة في الأعناق .. ويبرز لهم صورها في حياة الناس آخر الزمان ، عن حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا :{ أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة } ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال :{ ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا

---

[1] باختصار وتصرف من كتاب الإحاطة والاحتياط ص (١٢ ــ ١٣)

وليس فيه شيء قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة من خردل من إيمان } ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه فأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلان.[1]

والثالث التنافس والمنافسة :ـــ

وأما التنافس فهو التنافس على الدنيا وهو الأساس في انتشار الفساد وأما المنافسة فهو المغالبة على الامتلاك والهيمنة على القرار أو أسبابه ومجالها القرار وأسباب الاستقرار ؛ ولذلك يشير النبي ﷺ إلى أساس الفساد والإفساد: ـــ

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه : { أنَّ النبيَّ ﷺ خرج يوما ، فصلَّى على أهلِ أُحُد صلاتَه على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : إني فَرَط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني واللهِ لأَنْظُرُ إلى حوضي الآن، وإني أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض- أو مفاتيح الأرض - وإني واللهِ ، ما أخاف عليكم أن تُشْرِكوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تَنافَسُوا فيها } .

وفي رواية قال : { صَلَّى رسولُ الله ﷺ على قَتْلى أُحُد بعد ثمان سنين ، كالمُوَدِّع للأحْيَاءِ والأموات ، ثم طَلَعَ على المنبر ، فقال : إني بين أيديكم فَرَط وأنا شَهيد عليكم ، وإنَّ مَوعِدَكُم الحوضُ ، وإني لأنظر إليه من مَقامي هذا ، وإني لَستُ أخشى عليكم أن تُشرِكوا ، ولكنْ أخشى عليكم الدنيا أن تَنَافَسُوها ، قال : فكانت آخرَ نَظْرَة نَظَرتُها إلى رسولِ الله ﷺ } .

وفي أخرى « إني فَرَطُكم على الحوض ، وإنَّ عَرْضَهُ كما بين أيْلَةَ إلى الجُحْفة - وفيها - ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تَنافَسوا فيها ، وتَقْتَتِلوا فَتهْلِكوا ، كما هَلَكَ مَنْ كان قبلكم } . قال عقبة : « فكانت آخرَ ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر ».[2]

---

[1] رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم .

[2] أخرجه البخاري ومسلم.

بل حذر النبي ﷺ من داء التنافس أوائل الصحابة والتابعين فقال : {إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما أمرنا الله ، قال رسول الله ﷺ { أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض } .[1]

فالمنافسة مادة الصراع الأساسي في النفس البشرية وهي طبعٌ من الطباع المودعة في الإنسان ، ولا تروضها إلا الديانة الشرعية المتكاملة ، ومتى ما وجد الشيطان النفس البشرية المجردة عن التزكية والديانة فتح لها باب الإثارة والطموح لتبدأ حالة التنافس والمنافسة[2] .

والرابع التـــحريـــش :

وهو الإثارة المفضية إلى الصراع ومجالها القلم والفم ...

والتحريش أيضاً هو الإغراء بالشر والتحريض بين الأفراد و هو المعني من الحديث الشريف الذي روي عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : {إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم }[3].

إن المشروع الأسبق للتحريش في الجزيرة قد أعطى دوره كاملاً واختلط بدماء الشعوب فجاء آخرون على نفس النمط المُسيَّس وبدعمٍ عالمي ، ولكن بِلُغةٍ أُخرى ودماءٍ جديدة ومشروع أكثر إغراءً وإغواءً ، إنه مشروع الولاء والبراء في مسألة آل البيت والإمام المنتظر ، والتشيع المسيَّس ، وهذا المشروع ليس جديداً في ذاته ، وإنما جديد في إنزاله إلى سوق العرض والطلب منافساً تجارياً للأفكار المسوَّقة ، وقد جاء مرافقاً لمرحلة اقتصاد عالمية هي العولمة ، فدوره لابد أن يكون عالمياً مُسيَّساً وهو جزء من برنامج التحريش لا غير[4] . أهـ

---

[1] رواه مسلم (٧٦١٦) أهـ من الأسس والمنطلقات ص (٣٠٤)

[2] أهـ الإقليد ص (٢٣) .

[3] رواه مسلم .

[4] منهج السلامة الواعي ص (١٢٦) .

إن عامل إنجاح المنافسة مادة ((التحريش)) القائمة على الغيبة والنميمة والكذب والبهت وسوء الظن والتحسس والتنابز بالألقاب والمسميّات ، وبهذه المادة الطبعية البشرية ـــ التي تزيد بالجهل والعصبية والحمية وحُب الذات ــ تنجح مادة (النواقض والنقائض) في إشعال الفتن ومضلاتها في الشعوب . أهـ[1].

والخامس النقض والنقائض :ـــ

أولاً : المقصود بالنقض :

هو فك العرى المركبة بقادحٍ مقبول وهو نقض عرى الدين ودليل ذلك هو قوله ﷺ { لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ }[2]

وفي الحديث إشارةٌ إلى تفكك عرى الدين و الشرع بأيدٍ متنوعة غير مرئية لأن الفعل كما هو مُلاحظ مبني مجهول { لينقضن عُرى الإسلام عُروةً عروة } .

وكأنها في الأصل عُرى منتظمةٍ كحبات المسبحة فبدأ بالنقض لها من مستوى القرار :

{ أولهنَّ نقضاً الحكم } ، وبنقض الحكم وسقوط دولته يبدأ العمل الخفي والظاهر بصورٍ شتى على ملاحقة بقية عُرى الإسلام والناس في المجتمعات الإسلامية لا يستطيعون إعادة ما نقضه الفاعلون لأنهم تحت قرارٍ فاعلٍ وسلطةٍ خارجيةٍ مهيمنةٍ فيلتزمون ما بعدها محافظين عليها ما استطاعوا حتى يُتم نقض العُرى متتابعة . :{أولهنَّ نقضاً الحكم وآخرهنَّ الصلاة } والحكم أعلى سقف هامٍ في حياة الأمة ؛والصلاة أطول شرعةٍ يُتعبد الناس بها مولاهم عبر العصور حتى يقع الفساد المتلاحق في المصلي ذاته . أ هـ[3]

---

[1] الإقليد ص (٢٣)

[2] رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم .

[3] التليد والطارف ص (٣٠٧ـــ ٣٠٨ .)

والنقض: نقض المبرم من العبادات والعادات بقـوادح مسيّسـة والـنقض يكـون بـنقض قـرار الحكم بالتعدي والمؤامرة والانقلابات ونقض العهود والاتفاقيات والعمل على إبطالها .

والنقض : علامة من علامات الساعة وهذه العلامـة الخطـيرة قـد بـرزت جليـة في واقعنـا العـربي والإسلامي مرحلةً بعد أُخرى وتنقسم إلى قسمين :

١) القسم الأول : النقض الكائن داخل الخيمة الإسلامية وقـد بـدئ هـذا الـنقض بـادئ ذي بـدءٍ بدولة الملك العضوض في عهد بني أُمية ، ثم تلا ه نقض عرى العلم ثم ما تلا عهد بنـي أُميـة مـن عهد الملك العضوض في حكم بني العبـاس ثـم في الصرـاع الـداخلي بـين المسـلمين خـلال عصرـ الدويلات وما ترتب على ذلك من رؤى فكرية متناقضةٍ منها ما نقض قرار الحكم واستبدَّ بـه ومنهـا ما نقض قرار العلم وسيّسه ودنسَّه .

٢) القسم الثاني : وهو الأنكى والأخطر : مـا عـم العـالم العـربي والإسـلامي حكـماً وعلـماً وربـط القرارين بالكفر والكافر بعد إسقاط خلافة السلطان عبد الحميد الثـاني آخـر خلفـاء الإسـلام قبيـل مرحلة الاستعمار .

وهذا هو النقض المشار إليه في جملة الأحاديث من قوله ﷺ: ((لتنقضن عرى الإسلام عـروةً عروةً))وقد تم هذا النقض مرحلةً بعد أُخرى تحت إشراف وهندسة الخبراء من المستشرـقين حتـى آل العالم العربي والإسلامي إلى نموذجين متعارضين :

١) نموذج علماني علمنيٌّ يرتبط بالفكر الغربي والشرقي ومخرجاتـه العلميـة والثقافيـة والاجتماعيـة والحزبية والسياسية ...الخ

٢) نموذجٌ ديني متطرف متناقض يعمـل عـلى هـدم ثوابـت المذهبيـة الإسـلامية وحـب آل البيـت وسلوك التصوف والزهد الشرعي في الأمة بمسمياتٍ وأُحجياتٍ سياسية وشـبه سياسـية متطرفـة ، وكلا النموذجين يعملان تحت ظل السياسة العالمية المهيمنة على القرار الإنساني كله[1].

---

[1] من الأسس والمنطلقات ص (٣٢١ ــــ ٣٢٢)

ثانياً : النقائض لغة :

فجمع نقيض ، مأخوذة من صيغة المفاعلة (ناقض يناقض) أي جاء بما يخالف المألوف والسائد ويعارضه .

وفي فقه التحولات : إسم لكل موقف ضديًّ يصدر من فرد أو جماعة يخالف العمل الشرعي السائد ، ويأتي بضده بدليل مناقض وفهم معارض ، فهو يأتي بمعنى الضدية والإتيان بما ينافس الأمر وينازع فيه على صفة الصراع الفكري في العقائد والعبادات والعادات وفي السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والثقافة والإعلام ، بما يزعزع ثوابت شرعية سائدة بنقائضها المسيَّسة لتصب في نهاية الأمر إلى التفرق والعداوة والبغضاء بين المصلين . أهـ[1].

وعند النظر الواعي في مسيرة القبض والنقض المُشار إليه في علامات الساعة نُلاحظُ أن هذه المسيرة قد مرّت بمراحل مُتدرجة ــ بصرف النظر عن المنفِّذ والمستثمرِ ــ اشتملت على ما يلي :

١ ــ نقض الحُكم .

٢ ــ نقض العلم .

٣ــ الفصل بين الدين والدولة .

٤ــ الفصل بين التاريخ والديانة .

٥ــ الفصل بين الثوابت والمتغير .

٦ــ الفصل بين العلم والدين .

٧ ــ الفصل بين التربية والتعليم والدعوة .

٨ ــ الفصل بين علم الإحسان وأركان الدين .

---

[1] الإقليد ص (٢٢) .

٩ ــ الفصل بين علم الإحسان والتصوف .

١٠ ــ الفصل بين المثلث المدموج والمعادل الرابع .

١١ ــ الفصل بين التصوف والسنة .

١٢ ــ الفصل بين التصوف والإسلام .إ هـ[1].

والسادس القبض :ــــ

والمقصود بالقبض هو : الاحتواء والمنع والانتقاء والإحباط .

والقبض : قبض العلم أي : تحويله إلى مناهج منتقاة ومُسيَّسَة ، ودليل ذلك ما أخبر عنه المصطفى ﷺ بقوله : { إِنَّ اللهَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا }[2] والقبض في لغة العرب يحمل أكثر من معنى ، وفي ربطه بمدلول الحديث المعبر عن آخر الزمان يُفهم من القبض ما يلي :ــ

١) موت العلماء وذهابهم واتخاذ الناس من بعدهم رؤوساً جهّالاً .

٢) انقباض العلماء في بيوتهم لِما يُصاحب الزمان من الفتن المضلة وقبض العلماء منعهم وتحييدهم عن التأثير والمشاركة .

٣) قبض العلماء في (إدارات ووزارات) تُلزِمهم السير وفق السياسة .

٤) قبض العلم أي تحوله إلى مفاهيم مقبوضةٍ ممنهجة قابلةٍ للحذف والإضافة وفق المنهج السياسي في المدارس والجامعات . أ هـ[3]

---

[1] الأسس والمنطلقات ص (٢٩٣ ــ ٢٩٤) ط٢ .

[2] رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي .

[3] إحياء لغة الإسلام العالمية ص (٩٣ ـ ٩٤) وأيضاً من دوائر الإعادة ص (٦٠)

والسابع التداعي :ـــ

والتداعي هو تهافت الدول الكبرى وحلفاءها على الموارد والثروات .وأيضاً تكالب الأمم على الأمة المحمدية ، ودليل ذلك قول المصطفى ﷺ:{ يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها } قالوا : أوَ مِن قلةٍ بنا يومئذٍ ؟ قال : { أنتم يومئذٍ كثير ولكن تكونون كغثاء السيل تُنْزعُ المَهابة من قلوب عدوكم ويُجعلُ في قلوبكم الوهن } قلنا : وما الوهن ؟ قال : { حبكم للدنيا وكراهية الموت }[1].

والثامن الوهن :ـــ

وهو الضعف النفسي وهبوط الإحساس بالعزة والكرامة الإسلامية ودليله أيضاً في الحديث المتقدم وهو قول المصطفى ﷺ:

{ يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها } قالوا : أوَ مِن قلةٍ بنا يومئذٍ ؟ قال { أنتم يومئذٍ كثير ولكن تكونون كغثاء السيل تُنْزعُ المَهابة من قلوب عدوكم ويُجعلُ في قلوبكم الوهن } قلنا : وما الوهن ؟

قال : { حبكم للدنيا وكراهية الموت } أ هـ[2]

---

[1] رواه أحمد والطبراني في الأوسط .

[2] باختصار من دوائر الإعادة وإحياء لغة الإسلام

أن النقائض والنواقض هي في الأصل وسيلة الشيطان في البشريـة لإنجاح مشروعه الأنوي الخطير ومشروعه المُشار إليه يكمن في أمرين أساسيين :

١ ــ المنافسـة .

٢ ــ التحريش .

فالمنافسـة مادة الصراع الأساسي في النفس البشريـة ، وهي طبعٌ من الطبـاع المودعـة في الإنسـان ، ولا تروِّضها إلا الديانة الشرعيـة المتكاملة ، ومتى مـا وجـد الشـيطان الـنفس المُجـرَّدة عـن التزكيـة والديانة فتح لها الإثارة والطموح لتبدأ حالة التنافس والمنافسـة .

وعامل إنجاح المنافسـة :مادة [التحريش] القائمــة عـلى الغيبـة والنميمــة والكـذب والبهـت وسوء الظن والتحسس والتنابز بالألقاب والمسميـات ، وبهذه المادة الطبعيـة البشريـة ـــ التـي تزيـد بالجهل والعصبيـة والحَمِيّـة وحُب الذات ــ تـنجح مـادة [النـواقض والنقـائض] في إشـعال الفـتن ومضلاتها في الشعوب ..

وشاهدُ عِلَةِ المنافسـة المُشار إليها في المشروع الأنـوي الإبليسي قـول المُعلـم الأعظـم ﷺ: ((إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْـدِي ، وَلَكِنِّـي أَخْشَـى عَلَـيْكُمْ الـدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُـوا فِيهَـا وَتَقْتَتِلُـوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) . وهذا الحديث ملحظٌ نبويٌّ هام إلى مسـألة التنـافس في قضـايا العلم والاعتقاد. والثاني من شواهد النبوة في عِلَّة التحريش الذي تصاب به الأمـة قوله ﷺ : ((فو الله مَا الْفقْرَ أَخْشى عليكم، ولكني أخشي أنْ تُبْسَط الدُّنيا عليكم كما بُسِطَتْ عـلى مـن كـان قـبلكم ، فَتَنافَسُوها كما تَنافسوها وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ))، وفي روايـةٍ : ((وَتُـلْهِيكُم كَمـا أَلْهَتْهُم)) ، وهـذا أيضاً ملحظٌ نبويٌّ هام في مسألة التنافس في قضايا الحكم والاقتصاد ..

وقد استفحل الداء الناخر في الأمـة على هذين العنصرينِ المفسدينِ حتى عصرنا اليوم ، وتوارثـت الشعوب الحقد والبغضاء والأزمات جيلاً بعد جيل ومرحلةً بعـد أخـرى ..ومـن خلفهـا الشـيطان بخيله ورَجِلـه ..[1]

[1] إهـ باختصار وتصرف من كتاب : الإقليد ط١لعام ١٤٣٦هـ ــ ٢٠١٥م ص [٢٢ ــ ٢٤] .

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

أن التحريش والمنافسة لغة هلاك ودمار لا حل فيها ولا علاج من حيثما كان الناطق بها والمتبنِّي لها .. بل هي جسر الشيطان والمختلفين ..

إن قراءتنا لفقه التحولات أبرزت لنا موقع التسييس الدجالي تحت الأقبية المدافعة عن القرار وامتلاكه ..سواءً كان المتحدثون عنه من أهل الحق أو من ظالميهم .. حيث إن السلامة في الأطراف تكمُن في تجنبنا المنافسة والتحريش ووسائلها .. لأن الحق إذا شابه التنافس ثم التحريش خرج من دائرة الشرعية إلى طرفي الإفراط والتفريط .. فالحق في ذاته ناصِعٌ بنصاعة مصدره الأساسي ، ولكن ضبابية الناقلين له والمتحدثين عنه قد يُضعِف هذه النصاعة وقد يُسَيِّسُهَا وهذه إحدى ظواهر استتباع الأمم ((أصابكم داء الأمم)) ، والكل يأبى أن يوصف بهذا الداء ــ ولو كان مصاباً ــ وهو ما سمّاه الرسول : ((بحالقة الدين .. البغضاء والحسد)) .

والبغضاء والحسد عِلةٌ تفسد العلاقة بين حملة بين حملة الأمانة أنفسهم فضلاً عن غيرهم ، وإذا ما وقع الفرد أو الجماعة في داء الأمم ترتب على هذا الوقوع جملةٌ من الممارسات والمواقف المعبرة باسم الطبع لا بضوابط الشرع .. وهنا تكمن بصمات المسيخ الدجال وإيحاءات الشيطان بعلمٍ أو بدونه.[1].

عَلَّمَنِي فِقْهُ التَّحَوُّلاتِ :

إن المسألة مسألة نصوص ، وأكررها ((مسألة نصوص)).

وأغلب هذه النصوص الخاصة بمسألة النقض والقبض والوهن والتداعي والتوسيد وضياع الأمانة ..وما شاكلها من العبارات النبوية محبوسةٌ في قمقم الركن الرابع من أركان الدين ، وهو الركن الرابع الذي لم يُدقِّق النظرَ فيه حاكمٌ ولا عالمٌ ولا حزبيٌّ ولا فئويٌّ ولا تياريٌّ ولا غير ذلك .

إن هذه النصوصَ المحبوسةَ هي الاحتياطي الشرعي لأمة الإسلام ساعة سقوط قراري الحكم والعِلم في أيدي الثلاثي الهالك الماسخ :

الشيطان ، الدجال ، الكفر[2] .

---

[1] المرصد النبوي ص (٢١٦) .

[2] إهـ من المرصد النبوي ج ٢ ص [٣٢ـ٣٣] ط ١ لعام ١٤٣٦هـ .

الباب الثاني عشر

باب : المدارس النفاقية[1]

علمني فقه التحولات :

أنَّ مدارس النفاق برزت منذ استقرار النبي ﷺ بالمدينة المنورة كظاهرة من ظواهر المنافسة والمعارضة مع إعلانهم شأن الإسلام بألسنتهم والعمل على عكس ذلك في بواطنهم ، وهم نماذج متعددة ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

وكان الدور المتميز الذي يقوم به المنافقون في المدينة هو الاختراق للواقع النبوي ، والتعرف على دقائق سلوكه ومواقفه ، مما يؤكد حقدهم الطبعي وحردهم النفعي وسعيهم الدؤوب في : ((إجهاض نور الإسلام)) بالإرجاف والدعايات والأكاذيب وهم نماذج وأنواع ومنهم :

(١) المدرسة السلولية :

المدرسة السلولية نسبة إلى رأس النفاق ومصدره ومحرك أتباعه ((عبد الله بن أُبي بن سول) وقد أسلم عبد الله بن أُبي مع دخول النبي ﷺ المدينة ، وكان أهل المدينة قد اتفقوا على تتويجه ملكاً عليهم ومرجعاً قبل هجرة النبي ﷺ ، فلما قدم النبي ﷺ انقطع أمله وظهر رسول الله بالإسلام ظهوراً بيناً ، فحقد أبن أُبي على رسول الله ﷺ وأخذ يعمل على الإرجاف والأذى في مواقف عديدة استفاض ذكرها في القرآن والسنة ويبدوا أن إسلامه كان لتأمين نفسه وماله ، ولهذا رصد المسلمون كثيراً من ملابسات سلوكه النفاقية .

---

[1] المدارس جمع مدرسة .. والمقصود بها(الرؤية) أو (الفكرة) التي تجمع أكثر من عنصر وذات ، تتفق آراؤهم ووجهات نظرهم ، ويكون لها أتباع يتحالفون على أمرٍ ما ومصالح مشتركة سلباً أو إيجاباً ، وتكون لهم مواقف من المرحلة وظواهرها ..

وقد لـمَّح النبي ﷺ في أحاديثه إلى مفهوم الكتلة التي تعنيها مدارس الجنوح ، واجتناب النبي ﷺ التصادم مع مجموعتهم في قوله : ((إنَّ مِنْ ورائِـهِ أَصْحـاباً)) ، وفي العبارة دلالة على أن ولائهم مخالف للـولاء الذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ. إ هـ من التليد والطارف ص (٦٩) ط ٣ .

منها أنه إذا رأى النبي ﷺ قادماً خرج يستقبله بالبشاشة والفرح المصطنع : أهلاً برسول الله أهلاً بكذا وكذا ، ثم إذا ولى رسول الله ﷺ ضحك مع أصحابه واستهزأ.

ومنها أنه كان يرسخ مبدأ ((المواطنة)) وهو من مبادئ النفاق وإلى هذا المبدأ أشار القرآن في سورة المنافقين ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ المنافقون(٨)

ومن مبادئه النفاقية أيضاً فرض الحصار الاقتصادي على المسلمين المهاجرين ، ومنع التغذية عنهم ظناً منه بأن هذا سيساعد على إنفكاكهم عن رسول الله ﷺ وقد وصف الله هذا المبدأ في سورة المنافقون في قوله تعالى :

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾

ومن مبادئهم الإرجاف والإشاعة والسخرية ، وقد أشارت كتب السير والتفسير عند قوله تعالى في سورة التوبة :﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ..

بأن المنافقين خرجوا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، وكانوا يسيرون خلف جيش رسول الله ويضحكون ويستهزئون ، ويقول قائلهم : إن محمداً سيهزم وسيكبّله بنوا الأصفر بالحبال هو وأصحابه ، فنزل جبريل على رسول الله وأخبره بشأن سخريتهم فطوقهم رسول الله بالجيش وقال لكل منهم : ((أنت قلت كذا وكذا وأنت قلت كذا وكذا)) فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله الآيات على نبيه مقرراً حال كفرهم ومروقهم .

ومنها ((الإفك)) إشارة إلى ما في صدورهم من الغيظ والتشفّي ، ومحاولتهم استغلال حادثة الإفك الشهيرة والإرجاف بها والكذب فيها ، وترويجهم لما تصورته نفوسهم المريضة في شأن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وكيف صار هذا الإفك مدرسةً متسلسلة يروجها البعض إلى اليوم لو لا أن القرآن نزل ببراءتها من فوق سبع سموات . وقد تعددت آيِّ القرآن في تناول مكرهم وخداعهم

وخزيهم على عهد رسول الله ﷺ وأنه طبعٌ يتوارث وينتقل منهم إلى أشباههم وأمثالهم ممن يحلوا لهم الولوغ في المقام النبوي وآل بيته .

وان حقيقة النفاق قد لا تُعرف ، ولكن مظاهر السلوك وثمرات الأعمال والمواقف تظل مؤشراً خطيراً لمفهوم العلاقة بين أسس مدرسة النفاق الأولى وبين آثارها في الحياة .أ هـ[1]

(٢) مدرسة الضِّرار لأبي عامر الفاسق :

وهي مدرسة أبي عامر الخزرجي المشتهر بالفاسق ، وكان مهيباً في قومه وتنصّر في الجاهلية وأظهر الورع ، وزعم أنه ينتظر النبي المبعوث ، وصار يذّكر الناس بكثير من صفات النبي ﷺ التي عرفها من التوراة والإنجيل ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وصار فيها للإسلام كلمة عالمية انتكس أبو عامر وانسلخ من آيات الله وأظهر الحقد على النبي ﷺ وبارزه بالعداوة والبغضاء واتخذ سبيله إلى المشركين بمكة لاستشارتهم إلى حرب رسول الله ﷺ وظل معهم حتى تم له ما أراد بغزوة أُحد التي أصاب المسلمون فيها ما أصابهم ، ثم انقلب على وجهه هائماً في قبائل العرب يغريهم بقتال النبي ﷺ وأصحابه ، وأقسم أن لا يساكن النبي في المدينة ولا في غيرها ،فلما فتح النبي ﷺ مكة خرج إلى الطائف ، ولما أسلم أهلها فرّ إلى الشام يستنصر ملك الروم على النبي ﷺ . فوعده ومناه ، ومن الشام كتب إلى المنافقين أن يستعدوا ويبنوا له مسجداً ، لأنه سيأتيهم بجنود قيصر لحرب رسول الله وأصحابه ونفّذ المنافقون مخطط أبي عامر وبنو المسجد تحت شعار التجمع لعبادة الله وللليلة المطيرة ولابن السبيل والمنقطع .

وبالفعل بنو هذا المسجد وأحكموا بناءه وأنفقوا عليه المبالغ وبعد إتمامه ذهبوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا إن بيوتنا قاصية عن مسجدك ويصعب علينا الحضور فيه ونكره الصلاة من غير جماعةٍ وقد بنينا مسجداً لهذه الغاية وللضعفاء وأهل الحاجة فإن رأيت أن تصلي فيه لنتيمن ونتبرك بالصلاة في موضع صلاتك .

---

[1] باختصار من التليد والطارف ص ـ (٨٣ ــ ٨٧)

فلما قفل عليه الصلاة والسلام راجعاً على المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين ، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه إلى المدينة ، ونزل قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ التوبة (١٠٦ ـ ١٠٨)

تعتبر قصة هذا المسجد، قمة الكيد الذي وصل إليه المنافقون بالنسبة لرسول الله ﷺ وأصحابه المسلمين وليس هو هذه المرة نفاقاً فحسب ، بل هو مؤامرة وكيد يدبّر ضد المسلمين .

هذا وإنك إذا تأملت في خطوات هذا الكيد المتلصص من المنافقين وكيفيته ووسائله علمت أن طبيعة النفاق واحدة في كل عصر وزمان ، وأن وسيلة المنافقين لا تتبدل ولا تختلف وأنهم دائماً في جبنهم الذليل وكيدهم الحقير وفي ابتعادهم عن النور وتعلقهم بالظلام .

فهم الذين دائماً يسجدون بجباههم على أقدام المستعمر الأجنبي ليعينهم في وسيلة حرب ضد إسلام المسلمين في بلدهم حتى إذا افتلوا إلى بني قومهم من المسلمين المؤمنين تظاهروا بالإسلام واصطنعوا مظهر الإعجاب به والدعوة إليه . فإذا أمكنتهم الفرصة من خنق حقيقة من حقائق هذا الدين والقضاء على بعض دعائمه أعلنوا أنهم يقومون برسالة تطويره وأنهم إنما يقضون على مستغليه من أعداء الأمة [١]. وفي ذلك إشارة إلى أن سياسة النفاق والمنافقين القائمة على الغش والخداع والتربص والفتنة والإرجاف ..الخ مستمرةٌ في الحركة داخل الخيمة الإسلامية ، منذ عهد الرسالة وما بعدها ، تعمل على ضرب الدين والديانة بأساليب شتى وتحالفٍ مقيتٍ مع الكفار والمستعمرين تمهيداً لفتنة المسيح الدجال .أ هـ [٢]

---

[١] أ هـ باختصار من فقه السيرة للبوطي ص ـ (٣١١ ـ ٣١٢)

[٢] التليد والطارف ص (٩٠) .

(٣) المدرسة النبتلية لعبد الله بن نبتل :

قال السري : كان (عبد الله بن نبتل) المنافق يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله ﷺ في حجرةٍ من حجراته ، إذ قال : { يدخل عليكم الآن رجلٌ قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان } فدخل عبد الله بن نبتل ، وكان أزرق العينين فقال النبي ﷺ .

{ تشتمني أنت وأصحابك ؟} فحلف بالله ما فعل ذلك فقال له النبي ﷺ : { بل فعلت } فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المجادلة ١٤ .

(٤) مدرسة الإرجاف ومرضى القلوب :

مدرسة الإرجاف هم العناصر المشكّكَة داخل الجسد الإسلامي والموصوفون في سورة الأحزاب بقوله تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ ؛

ومنها أيضاً مدرسة مرضى القلوب ﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ الأنفال

وهذه المدرسة لها ذكر في مواقع كثيرة من القرآن ، فقد جاء ذكرها في أول سورة البقرة عند قوله تعالى ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة (٨ ـ ١٠) ؛

وورد ذكر هذه المدرسة في سورة الأحزاب عند قوله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الأحزاب .

وقد ظلت آثار هذه المدرسة في الأمة وسارت سيراً مطرداً في سلوك الكثير ممن لا يعتني بالأخلاق وحقائق الاستقامة في عموم المسلمين ممن تضعف قلوبهم وقابلهم عن الالتزام بالآداب الشرعية لسبب أو لآخر ، وفي ذلك يلمّح النبي ﷺ لمثل هذه الظواهر تحذيراً فيقول :

{ آية المنافق ثلاثٌ : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان } وفي روايةٍ { وإذا خاصم فجر} . أ هـ[1]

(٥) المدرسة الحرقوصية :

المدرسة الحرقوصية المنسوبة لحرقوص بن زهير الذي أعترض النبي في هوازن .

وهو أصل مدارس الخوارج وقد ورد ذلك في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل قال رسول الله ﷺ: {ويلك ومن يعدل إن لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل} فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه قال رسول الله ﷺ: {دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية} وفي روايةٍ ((إن من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))[2]

والقراءة المستقبلية لدى صاحب الرسالة ﷺ من واقع عصره ، وكشف سر تطور الفتنة من مصدرها الأول مقرنةً لبروز الشريعة من مصدرها الأول ، وأن الحق سبحانه وتعالى جعل للخير أصولاً وثوابت وللشر مثل ذلك . والحديث الشريف يبرز ملحظ الجرأة لدى أهل الفتنة وما تزينه لهم عقولهم في شأن نصرة الحق من منظور النفس والهوى والدنيا و وساوس الشيطان فيفهمون الأثر القائل((قل الحق ولوا كان مراً)) ((ولا تأخذك في الله لومة لائم)) على غير معناه ولا مبناه .

فهذا حرقوص بن زهير أو ذو الخويصرة فردٌ يحمل منهج مراحل وأسلوب جحافل ، ظل ينسج حول نفسه مفاهيم الشرع بصورة الأنانية حتى برزت حقيقته في غزوة هوازن

---

[1] متفقٌ عليه أ هـ التليد والطارف ص (٩٢ ــ ٩٣) .

[2] صحيح مسلم – (ج ٥ / ص ٢٩٩)

متجرئاً على رسول الله بما قال على مختلف الروايات ، فقد قال (أعدل) وفي روايةٍ قال (هذه قسمةٌ ما أريد بها وجه الله) ، وكل تلك المقولات دلالة على تحول في الذات وطرح خطير في أفضل المجتمعات ، فلابد أن يظهر مقابل هذا التحول موقف .وبرز هذا الموقف في قراءة رسول الله ﷺ لذات الرجل وما يخرج من أمثاله في مدرسة الإسلام من أقوام ـــ وليس أفراد ـ ميزتهم الاعتناء التام بالقرآن ـــ وفي بعض الروايات ـــ بصحيح السنّة ،

ولكنهم مع هذا الاعتناء بالنصوص يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لتشابه عنصر الجرأة منهم على الذوات المؤمنة ، كما تجرأ ذوا لخويصرة على ذات رسول الله يقول : اعدل ،مع أنه يعتقد في نفسة معرفة حق الله والإسلام لما ورد فيه الرواية الأخرى : ((إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله)) .

فالمنطوق المطروح إنما هو غِيرةً على مراد الله ، والحقيقة المنشودة في صدر الرجل هو نقد موقف رسول الله ﷺ، وكانت إرادة الله متجليةً خلف هذا الحدث الخطير لتبرز أحكام المستقبل ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ،

والمشاهد في عالمنا المعاصر اهتمام الجيل الأوسع من المسلمين بالقرآن طباعةً وتجويداً وتلاوةً وتحسيناً للأصوات وتنافساً عليه مع واقعٍ إسلامي محطمٍ وضعيف ومنهوك ، تكتنفه الأمراض والأغراض والوهن والغزو الفكري الكافر والبرامج التعليمة والتربوية الماجنة بكل صورها ونماذجها.[1]

---

[1] باختصار من التليد والطارف ص (٩٤ ـــ ٩٦) .

الـخاتِـمَـة

ذكـر وسـائل السلامـة والوقـاية والتحصين من الفتن

عَــلَّـمَنِـي فِقْـهُ التَّـحَوّلَاتُ:

الوسـائـل والمخرج من الفتن والمحن وأن المخرج والمواقف الذي يتخذها المسلم في هذا الزمان وخصوصاً عند ظهور الفتن والعلامات هو :

إتباع تعاليم المصطفى ﷺ، وتوجيهاته والامتثال لأوامره ، وذلك بالوسائل المـأخوذة من الأحاديث النبوية ، مثل الالتجاء إلى الله تعالى أولاً و آخراً ، وثـم التعـوذ مـن الفـتن ، وكذلك عدم حمل السلاح إلاّ بوقته الشرعي وكسره أو دقّه عند احتدام الصراع إذا رأى في ذلك حقن الدماء ، وتوقف الصراع والنـزاع أيضـاً ، وكـذلك عـدم الاستشرـاف للفـتن ، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، أو الاعتزال وتجنـب الفـتن ، والفـرار بالـدين مـن أجـل الحفاظ عليه .

وهُـنَـاكَ وَسَـائِـلَ السَّلامَــةِ مِنَ الـــفِـتَـن مِنْـهَـا :

- كـقراءة فـواتح سـورة الكهف حِصناً وحِـرزاً من الـدجـال ، وقراءة الـمـعوذات والإخـلاص في الحفظ من الشيطـان والبلاء والسـلطان والحيَّــة والعقـرب ومـن الأمراض والأسقام .
- كـما أنَّ من أسـباب الـوقايـة من الفتن المضــلة عنـد بروزهـا : العيـاذ بمـلاذٍ آمـن والالـتجـاء إلى ملجأ يـحفظ الــمرء وأهــله وديــنه ويـحفـظــه مـن الـوقــوع بلسانـه من الذم أو الـوقوع بـيده في الـدم ؛

والملـجـأ و الـمعـاذ هـو الهروب من مـواقع الفتـنة وعـدم التعرض لأربـابـهــا ، كمــا ورد في الحديث عن أبي هـريـرة رضي الله عنه قال : ((سَتكُونُ فِـتَنٌ الْقَاعِـدُ فِيهَـا خَـيْرٌ مِـنْ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَـا خَـيْرٌ مِـنْ السَّـاعِي ، وَمَـنْ يُشْرِـفْ لَهَـا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مِـنْـهَـا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)) .

- ومن وسـائل السلامـة في الفتن : تعـطـيل آلة الحرب وتـرك استخـدامـهـا عنـد اختلاف الناس على المُلكِ والحُـكم والسـلطات لـقــول النبي ﷺ : ((يَعْمِـدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقَّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَـاءَ .. إلــخ الحـديث)) وفي روايـة الطبراني ((وإلا فَـمَـن أَتَتْ عليه فَـلْـيَمْشِ بِـسَـيْفِـهِ إلى صَـفاةٍ)) ـ أي : حَـجَـرٍ ـ ((فَـلْـيَـضْـرِبْ بِـه حَـتّى يَنكَـسِـرَ ثُمَّ يَـضْـطَـجِعْ حَتَّى تَـنْـجَلِيَ عـمَّـا انجلت)) وذكر الـحديث .

- ومن وسـائل السـلامـة في الـفتن : اعتـزال الـكُـتل والجمـاعــات المُـختَـلفـة لـقـول حـذيفـة رضي الله عنه للـنَّـبي ﷺ : فإن لم يكن لهم جماعـةٌ ولا إمـام ؟ قال : ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْـلِ شَـجَرَةٍ حَتَّـى يُـدْرِكَكَ الْمَـوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)) . حيثُ تكون المشـاركـة والمسـانـدة للـفِـتـنـة وأربابـهــا إثــماً وضلالـةً لـقولـه ﷺ : ((مَن كَـثَّـرَ سَـوادَ قَـومٍ فهـو مِنـهُم ، ومـن رضي عَــملَ قــومٍ كـانَ شـريكَ مَن عَـمِـلَ بـه)) ، وخـاصـةً في العصـور التي يــؤول أمــر الأمـةِ فيـها إلى ((العـدو الـكافر)) اقتـصـاداً وسياسـةً وإعلامـاً وثـقـافـةً .

- ومن وسـائـل السلامـة : الاهتـمـام بالخـاصـة وتـرك الـعـامَّـة ، فعن أبي هريـرة رضي الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ لعبد الله ابن عمر و : { كيف بك إذا بقيت في حثالةٍ من الناس ، قـد مَرِجَت عهودهم وأماناتُـهم واختلفوا فصـاروا هكـذا

ـ وشبّك بـين أصـابعه قـال : قلـتُ رسـول الله فـبما تـأمرني ؟ قـال : ((عليـكَ بـخاصتك ودعْ عنكَ عـوامَّـهم)) .[1]

- ومن وسـائل السلامـة حفظ القلـب مـن الأحقـاد والغـل والحسـد والأمـراض لقـول النبي ﷺ لسيدنا أنس رضي الله عنه : { يا بُني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غِشٌ لأحد فافعل } ثم قال :(يا بُني وذلك مـن سـنتي ومـن أحيـا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة)[2] إذاً ففي سياق معنـى الحـديث إشارةٌ لطيفة إلى حسن المعاملة وكمال الإعراض عن صراع الحياة الدنيا إذ هي سبب كل فتنة وغش وكدورة .

- ومن وسـائل السلامـة : الهروب بالـدين إلى الـشَّعــاب والجبـال واتخــاذ الغـنم وسيـلـة عـيشٍ ورزق ، لحـديث أبي سعيـد الخُـدَري رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ ((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَـعَفَ الْجِبَـالِ ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ)) ، وحديث النبي ﷺ :

((إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْجَالِسِ ، وَالْجَالِسُ خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَـائِمُ خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي)) فَـقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ ((مَنْ كَانَـتْ لَـهُ إِبِـلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ فَلْيَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ فَلْيَضْرِبْ بِحَدِّهِ صَخْرَةً ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاةَ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاةَ ..

[1] رواه أبو داود والنسائي .

[2] جزء من حديث أنس الطويل ، رواه الطبراني .

وأيضاً : يجب على المؤمن الموقن بالله واليوم الآخر أن يعرف الواجب من العلم في شأن العلامات والأمارات والفتن المضلة حتى لا يقع بعلمه في شيء منها .

كما أن من وسائل السلامة :

أنه يجب على المؤمن أن يعرف الموقف الشرعي من الفتن وما يلزمه أمام كل تحول وتغير سلبي ، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ في قوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) [المائدة: ١٠٥] { ... إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعْ الْعَوَامَّ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ } قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : { بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ }[1]

ومن وسائل السلامة من الفتن :

مُدارات الناس وحُسن المعاملة معهُم فيما يُمكِن المعاملة به من حُسن الخُلُق ، شاهد ذلك حديث أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ((يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة ؟)) و شبَّك بين أصابعه . قلت : يا رسول الله فما تأمرين ؟ قال : اصبر اصبر اصبر خالقوا الناس بأخلاقهم و خالفوهم في أعمالهم)) .إهـ[2].

كما فتح لنا الإسلام باب التفاؤل من خلال هذا العلم بالأخذ المفيد للعلوم النظرية والتطبيقية مع ربطها بالخالق وحده ، وانه المسبب لإيجادها وشمولها والانتفاع بها .

---

[1] رواه الترمذي وغيره .

[2] باختصار وتصرف من الإقليد ص (٢٨ ــ ٣٠)

وإن جاءت على يد الكافر والملحد فهي عليهم حُجة ، وللمسلم الموقن بها نفع وفائدة ، ولا يتعارض الدين مع العلم والأخذ به ، وإنما يتعارض الدين مع العقل الكافر والملحد الذي يتعسف الأمور ، ويفسرها تفسيراً مادياً مجرداً ، واتخاذ هذه العلوم وسيلة حياة وسبباً يدل على القدرة الإلهية العظمى .[1]

أسأل أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه ،

ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ،

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

كان الفراغ من جمع هذه التلخيصات المباركة والتنسيق والإضافة الجمعة ٢٤ رجب ١٤٣٨هـ الموافق ٢١ / ٤ / ٢٠١٧ م القويرة دوعن حضرموت.

نسأل الله القبول وبلوغ السول والمأمول وأن ينفعنا بهذا العلم ويمدنا بالمدد الأكبر وبالعطاء الأوفر ويمتعنا بشيخنا وإمامنا وسيدنا المربي الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور ويُطيل عمره في خيرٍ ولطفٍ وعافية آمين..

---

[1] باختصار من التليد والطارف ومن النبذة الصغرى .

الفهرس العام